الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة العاشرة ـ العدد ١١٠ ـ غرة صفر ١٣٩٤ هـ ـ فبراير ١٩٧٤ م



يا أيها الذين آمنوا

صبروا وصابروا ورابطوا

واتقوا الله لعلكم تفلحون

صومعة جامـــع القيروان ، وهى ذات طوابق ثلاثة ، وارتفاعهـــا ٣٥ مترا . بناها الأمير حسان بن نعمان ، وقـــد بنى جامـــع القيروان بتونس القائد المظفر عقبة بن نافع بعد ٤٩ عاما من وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

(تصوير مجلة العربى)



اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العـــدد ١١٠

غرة صفر ١٣٩٤ هـ

فـبراير ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســـياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالـــكويت فى غـــرة كل شـــهر عـــربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

اما الافراد فيشـــتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

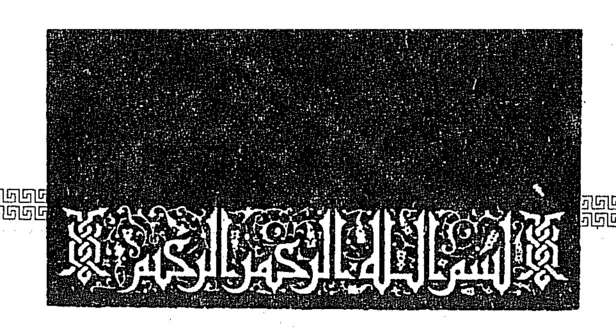
الثمـــن :

الـــكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـــال
العـــراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيـــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـــزائر	دينار وربع
المغـــرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعـــدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـــوان المراســـلات :

مجـــلة الوعى الاسلامى ـــ وزارة الأوقاف والشـــئون الاســـلامية

صـــندوق بريد : ١٣ ـــ كـــويت ـــ هـــاتف : ٤٢٨٩٣٤ ـــ ٤٢٢٠٨٨



الله

هذا الاسم الكريم علم على الذات المقدسة التى نؤمن بها ، ونعمل لها ونعرف أن منها حياتنـــا واليها مصيرنا .

والله تبارك وتعالى اهل الحمد والمجد وأهل التقوى والمغفرة ، لا نحصى ثناء عليـــه ، ولا نبلغ حقه توقيرا واجلالا .

ولو أن البشر منذ كتب لهم تاريخ والى أن تهمد لهم على ظهر الأرض حركة ــ نسوا الله ما خدش ذلك شيئا من جلاله ، ولا نقص ذرة من سلطانه ، ولا كسف شعاعا من ضيائه ، فهو سبحانه أغنى بحوله وطوله وأعظم بذاته وصفاته وأوسع فى ملكوته وجبروته من أن ينال منه وهم واهم او جهل جاهل .

ولئن كنا فى عصر عكف على هواه ، وذهل عن أخراه ، وتنكر لربه ، ان ضير ذلك يقع على أم راسه ولن يضر الله شيئا .

ووجوده تعالى من البداهات التى يدركها الانسان بفطرته ، ويهتدى اليهــا بطبيعته ، وليس من مسائل العلوم المعقدة ، ولا من حقائق التفكير العويصة ، ولولا أن شدة الظهور قد تلد الخفاء ، واقتراب المسافة جدا قد يعطل الرؤية ما اختلف على ذلك مؤمن ولا ملحد **(أفى الله شك فاطر السموات والأرض)** .

وقد جاءت الرسل لتصحيح فكرةالناس عن الألوهية ، فانهم وان عرفوا الله بطبيعتهم الا انهم أخطأوا فى الاشراك به والفهم عنه .

والبيئة الفاسدة خطر شديد على الفطرة فهى تمسخها وتشرد بها وتخلف فيها من العلل ما يجعلها تعاف العذب وتسيغ الفج ، وذلك سر انصراف فريق من الناس عن الايمان وقبولهم الكفر أو الالحاد مع منافاة ذلك لمنطق العقل وأصل الخلقــــة .

وقد اقترنت حضارة الغرب التى تسود العالم اليوم بنزوع حاد الى المماراة فى وجود الله والنظـــر الى الأديان جملة نظـــرة تنقص ، أو قبولها كمسكنات اجتماعيـــة .

ولا شك أن المحنة التى يعانيها العالم اليوم ، أزمة روحية منشؤها كفره بالمثل العليا التى جاء بها الدين ، فلا نجاة له مما يرتكس فيه الا بالعودة الى هذه المثل يهتدى اليها بفطرته كما يهتدى الجنين سبيله فى ولادته ، ومتى هدى العالم الى الفطرة هدى الى الاسلام فان الاسلام هو دين الفطرة .

□□□□

ان الانسان لم يخلق نفسه ، ولم يخلق اولاده ، ولم يخلق الأرض التى يعيش عليها ، ولا السماء التى يستظل بها ، والبشر الذين ادعوا الألوهيـــة لم يكلفوا أنفسهم مشقة ادعاء ذلك ، فمن المقطوع به ، أن وظيفة الخلق والابداع من العدم لم ينتحلها لنفسه إنسان ولا حيوان ولا جماد ، ومن المقطوع به كذلك أن شـــيئا من ذلك لا يحدث من تلقاء نفسه فلم يبق الا الله .

((أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ، أم خلقوا الســـموات والأرض بل لا يوقنون)) .

ولو دخل المرء دارا فوجد فيها غرفة مهيأة للطعام ، واخرى للمنام واخرى للضيافة واخرى للنظافة لجزم بأن هذا الترتيب لم يتم وحده ، وان هذا الاعداد النافع لا بد قد نشأ عن حكمة وتقدير وأشرف عليه فاعل يعرف ما يفعل .

والناظر فىالكون وآفاقه والمادة وخصائصها يعرف أنها محكومة بقوانين مضبوطة شرحت الكثير منها علوم الطبيعة والكيمياء والنبات والحيوان والطب ، وما وصل اليه علم الانسان من أسرار الكون حاسم فى ابعاد كل شبهة توهم أنه وجد كيفما اتفق .

((تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا . وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا) .

وهذه الكواكب السيارة التى تخترق أعماء الجو والتى تلتزم مدارا واحدا لا تنحرف عنه يمينا ولا يسارا ، وتلتزم سرعة واحدة لا تبطىء فيها ولا تعجل ، ثم نرتقبها فى موعدها المحسوب فلا تخالف عنها ابدا .

هذه الكرات الغليظة الحجم . الحى منها والميت . المضىء منها والمعتم معلقة لا تسقط . سائرة لا تقف . كل فى دائرته لا يعدوها ، وقد يصطدم المشاة والركبان على أرضنا وهم أهل بصر وعقل .. أما هذه الكواكب التى تزحم الفضاء فانها لا تزيغ ولا تصطدم .

من الذى هيمن على نظامها وأشرف على مدارهـا ؟ بل من الذى أمسك بأجرامها الهائلة ودفعها تجرى بهذه القوة الفائقة .. انها لا ترتكز فى علوهـا الا على دعائم القدرة .

« ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا » .

اما كلمة الجاذبية فدلالتها العلمية كدلالة حرف (س) على المجهول .. انها رمز لقوانين تصرخ باسم الله ، ولكن الصم لا يسمعون .

ان وجود كل منا له بداية معروفة ، فنحن قبل ميلادنا لم نكن شيئا يذكر **« هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا »** .

وعناصر الكون الذى نعيش فيه كذلك لها بداية معروفة ، وعلماء الجيولوجيا يقدرون لها اعمارا محدودة ، مهما طالت فقد كانت قبلها صفرا .. وكان هناك ظن بأن المادة لا تفنى ، اعتمد عليه فريق من الناس فى القول بقدم العالم وما يتبع هذا القدم الموهوم من أباطيل .. على أن تفجير الذرة هدم هذا الظن ، ولو لم يتم تفجيرها ما قبلنا هذا الظن على أنه حقيقة ثابتة فان المفتاح الذى يفتح على العالم أبواب الفناء ليس من الضرورى أن يضعه الله فى أيدى العلماء . وعدم اهتـداء الناس الى ما يدمر مادة الكـون لا يعنى أن مادة الكـون غير قابلة للدمار والفنـاء .
اننا جازمون بأن وجودنا محدث لأن تفكيرنا واحساسنا يهدينا لذلك ، وغير معقول أن يتطور العدم الى وجود تطورا ذاتيا .

انه اذا وقعت حادثة لم يدر فاعلها قيل أن الفاعل مجهول ، ولم يقل أحد انه ليس لها فاعل ، فكيف يراد من العقلاء أن يقطعوا الصلة بين العالم وبين ربه . اننا لم نكن شيئا فكنا .. فمن كوننا **(قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون)** .

□□□□

نشوء حياتنا هذه ودوامها يقومان على جملة ضخمة من القوانين الدقيقة يحكم العقل باستحالة وجودها هكذا جزافا ، فوضع الأرض أمام الشمس مثلا ، ثم على مسافة معينة لو نقصت بحيث ازداد قربها من الشمس لاحترقت أنواع الأحياء من نبات وحيوان ، ولو بعدت المسافة لعم الجليد والصقيع وجه الأرض وهلك كذلك الزرع والضرع .. أفتظن اقامتها فى مكانها ذاك جاء خبط عشواء .

وحركة المد والجزر التى ترتبط بالقمر ، أفما كان من الممكن أن يقترب القمر من امه الأرض اكثر فيسحب امواج المحيطات سحبا يغطى به وجه اليابسة كلها ثم ينحسر عنها وقد تلاشى كل شيء ؟

من الذى اقام القمر على هذا المدى المحدود ليكون مصدر ضوء لا مصدر هلاك .

اننا على سطح الأرض نستنشق الأوكسجين لنحيا به ونطرد الكربون الناشيء من احتراق الطعام فى جسومنا ، وكان ينبغى أن يستنفد الأحياء وما اكثرهم هذا العنصر الثمين فى الهواء فهم لا ينقطعون عن التنفس أبدا .. لكن الذى يقع أن النبات الأخضر يأخذ الكربون ويعطى بدله أوكسجين ، وبهذه المعاوضة الغريبة يبقى التوازن فى طبيعة الغلاف الهوائى الذى يحيا فى جوه اللطيف الحيوان والنبات جميعا . أفتحسب هذا التوافق حدث من تلقاء نفسه ؟

اننى أحيانا أسرح الطرف فى زهرة مخططة بعشرات الألوان التقطها من بين مئات الأزهار الطالعة فى احدى الحدائق ، ثم أسأل نفسى : بأى ريشة نسقت هذه الالوان ؟ انها ليست الوان الطيف وحدها .. انها مزيج رائق ساحر من الألوان التى تبدو هنا مخففة وهنا مظللة وهنا مخططة وهنا منقطة .

وانظر الى أسفل الى التراب الأعفر انه بيقين ليس راسم هذه الألوان ولا موزع أصباغها .. هل الصدفة هى التى أشرفت على ذلك إن المرء يكون غبيا جدا عندما يتصور الأمور على هذا النحو .

ان انشاء الحياة فى أصغر خلية يتطلب نظاما بالغ الاحكام ، ومن الحمق تصور الفوضى قادرة على خلق (جزىء) فى جسم دودة حقيرة فضلا عن خلق جهازها الهضمى والعصبى . فما بالك بخلق هذا الانسان الرائع البنيان الهائل الكيان . ثم ما بالك بخلق ذلك العالم الرحب ؟

ان العلم برىء من مزاعم الالحاد ومضاد لما يرسل من أحكام بلهاء .. الحق ان الالحاد الذى يشيع بين طوائف المتحذلقين والمتنطعين لا يستند البتة الى ذرة من المعرفة أو التفكير السليم .

محمد الغزالى



للدكتور محمد عبد الرؤوف

تحدثنا فى المقال الثانى من هذه السلسلة عن المرحلة الأولى من مراحل تدوين الحديث الشريف ، وسميناها « مرحلة الصحيفة » ، وذكرنا أن الصحابة وكبار التابعين ترددوا أمدا طويلا فى شأن تدوين الحديث ، فقد كان يدفعهم لكتابته رغبتهم فى الحفاظ عليه والانتفاع بالمكتوب فى تأييد الذاكرة ، غير أن تخوفهم مما قد يترتب على الكتابة من اثر على القرآن الكريم ومكانته الفذّة جعلهم يحجمون عن كتابة الحديث لغرض التداول ، ثم ان الصحابة على العموم كانوا يتحرّجون من فعل لم يعهد عمله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانا لنذكر كيف أن الصديق وزيد بن ثابت رضى الله عنهما ترددا فى شأن جمع الصحف القرآنية التى كانت كتبت على عهده صلى الله عليه وسلم حتى قال زيد : « لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان اثقل علىّ مما أمرونى به من جمع القرآن » .

فمع أن القرآن كان قد كتب وقيّد فى أثناء حياة الرسول صلوات الله عليه وبأمره فقد اعتبر ابو بكر وزيد جمع هذه الصحف القرآنية وترتيبها أمرا خطيرا ترددا فى عمله حتى اقتنعا وشرح الله صدرهما له ، وكذلك بدا للصحابة رضى الله عنهم أن تقييد الحديث وجمعه فى شكل كتاب أو كتيب أو كتيبات أمر خطير ، فترددوا وأحجموا حتى تغير الحال وتبدلت الظروف حوالى العقد الثامن من القرن الأول الهجرىّ حين تبدد الخوف على القرآن المجيد وخُشى على ضياع الحديث بذهاب حفظته من الرعيل الأول ، ومسّت الحاجة لدراسته وتمييز السليم من الدخيل منذ اشتدت الخصومات وكثرت الفتن واستخدم الحديث فى الجدل وسعت كل فرقة لتجد فى السنة ما يؤيد رأيها ويدحض موقف خصومها .

ولنستطرد قليلا فنسوق مثالا واحدا لبيان أهمية الحديث فى هذا الصدد ، وهو ما رواه مسلم فى أول صحيحه عن حميد بن عبد الرحمن قال : « كان أول من قال فى القدر بالبصرة معبد الجهنى ، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميرى حاجين أو معتمرين ، فقلنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول فى القدر ، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد ، فاكتنفته أنا وصاحبى أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله ، فظننت أن صاحبى سيكل الكلام الىّ فقلت : أبا عبد الرحمن ، انه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم ، وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف ، قال : فاذا لقيت أولئك فأخبرهم أنى برىء منهم وأنهم برآء منى ، والذى يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم ملء الأرض ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ، ثم قال : حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال : « وساق ابن عمر الحديث الذى يذكر فيه رجل طلع وجلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسند ركبته الى ركبتيه ، وسأله عن الاسلام والايمان والاحسان ، فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تعريف الايمان : « وتؤمن بالقدر خيره وشره » (١) .

وبينما لجأ المخلصون الى السنة يستضيئون بهديها ويستمدون من نورها ، عمد بعض أهل الزيغ الى الابتكار فنسبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقله ، وهكذا تعددت الأسباب المقتضية لتدوين الأحاديث وارتفعت الموانع ورأى الصحابة وكبار التابعين أنه لم يبق مبرر للتردد ، فصح عزمهم على تقييد العلم .

على أننا نعتقد أن هذا التحول لم يحدث فجأة بل تدرج مع الزمن ، لذلك نجد أنه كان لبعض الصحابة والتابعين صحف ترجع الى تاريخ مبكر ، كالصحيفة الصادقة المنسوبة لعبدالله ابن عمرو بن العاص الذى قبض عام ٦٣ هـ ، وكصحيفة همام بن منبه التى اقتبسنا صدرها من قبل وذكرنا أن كتابتها كانت قبل وفاة شيخه أبى هريرة عام ٥٨ هـ .

واذا وصفت صحيفة همام بن منبه بأنها أقدم تأليف فى الحديث فلا يعنى ذلك أنها سبقت كتابتها كتابة غيرها من الصحف المنسوبة الى الصحابة رضوان الله عليهم ، ولكن المقصود أنها أقدم تأليف بقيت منه نسخ مستقلة وصلت الينا ككتاب مستقل بصرف النظر عن كونها قد استوعبت فى المسانيد والصحاح التى جمعت بعد ذلك ، فالصحيفة الصادقة لا نعرف منها الآن نسخة مستقلة بذاتها ككتاب أو كتيب مؤيد بالسند ، وان هى استوعبت فى الكتب الكبرى كما استوعبت صحيفة همام ، ولكن قد تكشف البحوث والجهود عن وجود مخطوطات لصحف قديمة أخرى ، وقد عثر فعلا على صحيفة تنسب لصحابى آخر هو نبيط بن شريط الأشجعى الكوفى ورواها عنه ابنه سلمة الذى يعتبر من الثقات ، ويقال انه توجد نسخة منها فى مكتبة الظاهرية بدمشق وأخرى بدار الكتب بالقاهرة (٢) ، فاذا صح نسبتها فهى من أقدم الصحف الباقية .

* * *

ولنعد الآن الى النص الذى اقتبسناه فى الحلقة الثانية من هذه المقالات ، من صحيفة همام بن منبه ، ولنلق نظرة على الطريقة التى أوصل

بها همام أحاديثه الى النبى صلى الله عليه وسلم :

يقول همّام : « هذا ما حدثنا به أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « وساق الأحاديث الأول فالثانى فالثالث ، وهكذا ، فاصلا بينها بمثل هذه الكلمات » . « وقال صلى الله عليه وسلم » أو : « وقال أبو القاسم » .. وهكذا ..

فلم يبدأ همّام قائلا : « قال النبى صلى الله عليه وسلم » ولكن ذكر ما يدل على انه تعلم هذه الأحاديث من شيخه أبى هريرة الصحابى وتلقاها عنه ، فأبو هريرة هو طريقه الى الرسول وسنده الذى اعتمد عليه فى معرفة الحديث ، لذلك يسمى ذكر الراوى أو مشايخه الذين تعلم الحديث عن طريقهم : « سندا » أو « إسنادا » وغلب استعمال الاصطلاح الثانى وهو « الإسناد » .

وحيث ان عهد همّام كان قريبا من عهد رسول الله ولم يكن بينه وبين صاحب الحديث صلى الله عليه وسلم الا جيل واحد فان إسناده مكوّن من ذكر معلم واحد وهو الصحابى ، ولكن اذا نزل الراوى زمنا وكان بينه وبين المصطفى عدد من الاجيال فان سلسلة الاسناد تمتد وعدد حلقاته تتعدد ، فأبو بكر القطيعى ، راوى الصحيفة كما وردت بمسند احمد بن حنبل — بعيد العهد من رسول الله(٣) ، لذلك نجد اسناده طويلا نسبيا ، فهو يروى عن شيخه عبدالله ابن أحمد ، وعبد الله هذا يروى عن شيخه وأبيه الامام ، ويروى الامام أحمد عن شيخه عبد الرزاق ، وهو بدوره يروى عن معمر ، فعن همام ابن منبه ، فعن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فكل من حلقات هذه السلسلة فوق القطيعى شيخ لمن دونه وراو عمّن فوقه ، والشيخ أو المعلم الأول هو النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد يكون صحابيا اذا كان لفظ الحديث له كأن يقصّ شيئا عن أحوال الرسول أو يذكر فعلا من افعاله عليه الصلاة والسلام .

وعليه ، فالاسناد هو سلسلة المحدثين الذين يروى الراوى حديثه عن طريقهم سواء قلّ عددهم أو كثر ، وقد يتصل هذا الاسناد وقد ينقطع كما سنشرحه فيما بعد ان شاء الله .

وفى تقديم الحديث بذكر اسناده أمارة على صحة نسبة الحديث الى صاحبه عادة ، وتمكين للباحث من معرفة درجة هذه الصحة بناء على ما يثبته البحث من درجة ضبط رواته الواردة أسماؤهم فى الاسناد ومبلغ عدالتهم ، وفيه كذلك وقاية من خطر الكذابين والوضاعين ، فلو لم يكن هناك اهتمام بالاسناد وسُمح لمن يرغب فى التحديث أن يكتفى بقوله : « قال عليه الصلاة والسلام » : لكان الأمر أسهل وأيسر على الوضاعين دون أن ينكشف أمرهم أو يفتضح غشهم ، لذلك كان الاسناد — وهو مما ميز الله به هذه الأمة — أمرا من أمور الدين ، وقد روى مسلم فى مقدمة صحيحه أن عبد الله بن المبارك كان يقول : « الإسناد من الدين ، ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء » وروى أيضا فى نفس المقدمة أن محمد ابن سيرين قال : « ان هذا العلم (الحديث) دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم » .

ويمكننا أن نستنبط من استعمال همام بن منبه الاسناد فى رواية صحيفته — ويغلب انه حررها فى

منتصف القرن الأول من الهجرة ـ أن استخدام الاسناد عند رواية الحديث كان مبكرا ، ويبدو أن هذا كان أمرا طبيعيا ، فالراوى يحدث عن صاحب المقام الجليل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا روعة واحساس عاطفى بليغ ، فالراوى من شأنه فى مثل هذا الموقف المهيب أن يتذرع بذكر سنده وطريقه الى الرسول فيدعم دعواه بذكر مصدرها ويلتمس الكرامة بذكر اسم شيخه وخاصة اذا كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لذلك نعتقد أن الاسناد نشأ طبيعيا ثم نما وتطور ، ثم لما اساء البعض استخدام الحديث وتجاسر الملحدون على الوضع والكذب تعمد المحدثون الصادقون التأكيد على الاسناد والاهتمام بشأنه ، لذلك نقرأ لمحمد بن سيرين فيما رواه مسلم وغيره : « لم يكونوا يسألون عن الاسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم ، فينظر الى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم » . ولا يعنى ابن سيرين الذى عاش فى النصف الثانى من القرن الهجرى الاول وتوفى عام ١١٠ هـ ، أن الاسناد لم يكن مستعملا أول الأمر ثم مست الحاجة اليه عند ظهور الفتن ، بل قد كان الاسناد مستعملا فى رواية الحديث قبل ذلك حتى اننا نجده فى حالة رواية الصحابى عن صحابى آخر ، ولكن المعنى ـ على ما نعتقد ـ أن الانتباه أول الأمر كان منصرفا الى نص الحديث وفحواه فلما حدثت الفتن وجه جزء كبير من العناية الى الاسناد وفحص حال رجاله للنظر فى درجة الحديث من الصحة والقبول أو غير ذلك .

ومن المهم أن نلفت النظر الى أن المواظبة على الاتيان بالاسناد كان شأن المحدثين ، وهم العلماء المعنيون برواية الحديث واثباته بصرف النظر عن مغزاه وأهميته ، فالاسناد كان لذلك هاما دائما بالنسبة اليهم أما الفقهاء ، والمفسرون وأصحاب السير فان عنايتهم كانت منصرفة نحو دلالة الحديث فى القرينة التى يساق لها ، لذلك كان هؤلاء يأتون بالاسناد أولا يأتون به ، وقد يقتبس أحدهم الحديث مرات فى مواضع مختلفة . فيأتى بالحديث مسندا فى موضع ثم يسوقه دون اسناده فى المواضع الأخرى ، وليس ذلك شأن المحدثين .

ولقد حاول بعض الغربيين من المستشرقين أن ينال من الاسناد ويثير حوله الشبه ليسىء الى الحديث نفسه باثارة الشك فى صحته ، كما خاض بعضهم فى شأن القرآن الكريم وتاريخه ولكن الله رد كيدهم فى نحورهم ، يزعم هؤلاء أن الأسانيد استحدثت مؤخرا ، وأن محدثى القرنين الثانى والثالث ابتدعوها من عند انفسهم ورفعوها من راو الى آخر حتى تصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كى يوهموا بها صحة احاديثهم ويؤيدوا بها دعاواهم ، وهذا زعم لا يقوم على أساس صحيح ولا على دليل معتمد ، وانما هو حدس وتخمين ورمى بغير حق يصاغ فى أسلوب قد يؤثر على خالى الذهن ممن يجهل شأن الحديث ودقة رواته وامانتهم ، ولقد رأينا صحفا قديمة يرجع تاريخها لمنتصف القرن الأول وفيها رويت الأحاديث بأسانيدها ، كما أننا نجد أحاديث كثيرة روى الواحد منها بأسانيد مختلفة ، وينتمى الرواة فى الأسانيد الى فرق متباينة ولا يتأتى أن يتفق هؤلاء الرواة على اختلاق

الأسانيد لما كان بينهم من جفوة وشقاق ، اضف الى ذلك أن الرواة الذين بدات بهم هذه الأسانيد كانوا يعيشون فى أمصار متفرقة واقطار متباعدة لا يعرف الكثير بعضهم بعضا ومع ذلك فقد يروى عدد منهم الحديث الواحد متفق المعنى واللفظ أو متفق المعنى مع اختلاف لفظى يسير ، وهذا شأن كثير من الأحاديث الشريفة ، ولا يتصور مع التفرق وبعد الديار وعدم معرفة بعضهم البعض الآخر أن يتفقوا على الاختلاق والكذب ثم تأتى أسانيدهم بنصوص حديثية متفقة ومعان منسجمة متناسقة . « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون ! »

ويجمل بنا وقد فرغنا من تعريف الاسناد وشرح ثمراته واكدنا قدم استعماله أن نتحدث الآن عن الطريقة أو الطرق التى تلقى بها الرواة الأحاديث عن شيوخهم ، وهذا موضوع هام لأن نوع الطريقة التى تلقى بها الراوى الحديث قد تؤثر على درجته من الصحة والسلامة . لذلك عنى رجال الحديث بدراسة هذا الموضوع ، واطلقوا عليه : « تحمل الحديث » ، اى تعلمه وطريقة تلقيه من الشيخ أو المعلم .

يقول العلماء ، أن هناك طرقا ثمانية لتحمل الحديث ، أولها وأعلاها طريق « السماع » ويلعب فيه المعلم الدور الهام فيلقى بالعلم على طلابه وهم يسمعون ليعوا فى ذاكرتهم أو ليقابلوا على ما فى كتاب بأيديهم أو ليحرروا من املائه بكراساتهم ، وهذا اقدم الطرق واقربها الى الطبيعة ، وقد كان طريق المصطفى صلى الله عليه وسلم فى تعليم صاحبته رضوان الله تعالى عليهم .

الطريقة الثانية تسمى « القراءة » اى القراءة على الشيخ ، يقرأ التلميذ على الشيخ من الذاكرة أو من كتاب بيده ، فيقر الشيخ ما قرىء عليه ويجيز القارىء وزملاءه الحاضرين للقراءة ما قرىء عليه بحضرتهم ، وهذه طريقة هامة معتبرة ايضا وان كانت تعتبر دون سابقتها .

الطريقة الثالثة : « الاجازة » وهى أن يجيز الشيخ تلميذه برواية نص أو اكثر أو يمنحه رخصة برواية ما تحتوى عليه كراسة أو كتاب أو جزء معين منه ، ولكن لا بد أن يكون المجاز به معينا وان يكون المجاز له من الثقات الماهرين ، وعلى كل حال فالاجازة أدنى منزلة من طريقى السماع والقراءة .

والطريقة الرابعة : « المناولة » ومعناها أن يناول الشيخ مريده كتابا على سبيل التمليك أو الاستعارة لينقل منه ويجيز له روايته وهى طريقة سائغة فى تحمل الحديث حتى أن بعضهم يرفعها لدرجة السماع ولكن المرجح أنها دون السماع والقراءة .

والطريقة الخامسة تسمى : « المكاتبة » ، وذلك أن يكتب الشيخ لتلميذه حديثا أو احاديث ويبعث لتلميذه بالمكتوب أو يسلمه اياه اذا كان حاضرا ويجيزه بروايته ، ويقدم الرواى الذى تحمل بهذه الطريقة حديثه بعبارة « كتب الىّ » أو « من كتاب » .

والطريقة السادسة من طرق تحمل الحديث تسمى : « الاعلام » ومعناه أن يعلم الشيخ تلميذه أن حديثا ما أو أن عددا من الأحاديث من مروياته أو أنه سمعها أو يرويها عن فلان ، ثم يسيغ له روايتها .

والطريقة السابعة تسمى : « الوصية » وهى طريقة عجيبة يوصى

فيها الشيخ بكتاب له ليكون لآخر عند موته ويروى عنه منه ، وانما يسوغ للتلميذ رواية ذلك اذا نص على أن تحمله كان عن طريق الوصية .

والطريقة الثامنة والأخيرة تسمى « الوجادة » بكسر الواو ، ومعناها ان يجد الراوى كتابا صحيح النسبة لصاحبه لكنه لم يسمعه منه ولم يقرأه عليه ولم يناوله اياه ولم يجز له روايته ولا كاتبه بشأنه ، وليس للراوى ان يروى من ذلك الا بالنص على انه وجد كذا بخط فلان ، كما كان يصنع عبد الله بن احمد أحيانا فيقول: « وجدت بخط أبى كذا » ويسوق الحديث .

وقد اتفق العلماء على جواز رواية الراوى مما تلقاه بالمناولة أو المكاتبة اوالاعلام اوالمكاتبة مجردة عن الاجازة الشيخ للتلميذ برواية ما ناوله اياه او كاتبه عنه أو أعلمه به ، واختلفوا فى جواز الرواية اذا كانت المناولة أو الاعلام أو المكاتبة مجرة عن الاجازة والواقع أن العلماء — رحمهم الله — أفاضوا فى دراسة طرق التحمل وشرح تفاصيلها وما يترتب على كل منها من جواز الرواية أو عدمه ، وارجع ان شئت الى ما كتبه ابن الصلاح مثلا بشأن ذلك فى مقدمته المسماة « علوم الحديث » ، مما يعكس حرص العلماء البالغ على سلامة الحديث ودقة التحرى فى تلقيه وروايته .

وقد اهتم العلماء ايضا بضبط العبارات وتحديد الألفاظ التى يستعملها الراوى للدلالة على تلقيه ما يرويه عن شيخه ، فكان لا بد أن تتناسب مع الطريقة التى تحمل بها الحديث عنه ، فاذا كان التحمل بطريق « السماع » فله أن يقول : « سمعت فلانا يقول أو يحدث » مثلا أو « حدثنا فلان » أو « حدثنى » ، ويختلف الضمير على حسب ما اذا كان قد سمع وحده أو مع غيره . واذا كان نوع التحمل « القراءة » فللراوى أن يقول : « قرأت » أو « قرأنا عليه » أو « أخبرنا » أو « أخبرنى » . وهذا التفصيل هو اصطلاح المحدثين المتأخرين ، وأما الأقدمون فانهم اجازوا استعمال لفظ التحديث والإخبار فى كل من حالتى السماع والقراءة . ومن الألفاظ التى استعملها الرواة فى حال القراءة : « نبأنا » و « أنبأنا » ولكن كان ذلك نادرا نسبيا . وقد سوغوا للراوى فى حال التحمل بالاجازة أو المناولة أن يستعمل لفظ « أخبرنى » ، كما أن له أن يستعمل لفظ « أجازنى » فى حال الاجازة . ولفظ « ناولنى » فى حال المناولة .

ولنلق نظرة الآن — على ضوء ما تقدم — على الاسناد الذى رويت به صحيفة همام بن منبه ، وفيه قال أبو بكر القطيعى ما يلى :

« حدثنا عبد الله ، حدثنى أبى (أى الامام أحمد صاحب المسند) ، ثنا (أى حدثنا) عبد الرزاق بن همام ثنا معمر ، عن همام بن منبه ، قال : هذا ما حدثنا به أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

نرى أن كل الرواة فى هذا السند — ما عدا معمر بن راشد — يستعملون لفظ « حدثنا » أو «حدثنى» وهذا يعنى أن كلا من هؤلاء تحمل أحاديث الصحيفة سماعا أو قراءة على الأقل اذا كانوا ممن يستسيغون استعمال لفظ التحديث فى حال التحمل بالقراءة ، أما معمر فقد اتصل بهمام فى هذا السند بلفظ « عن » ،

وحرف الجر هـذا كثيرا ما يرد فى الأسانيد ، ويوصف فى هذه الحالة بكونه « مُعَنْعَناً » ، والعنعنة تتضمن معنى الاجازة ، ولكنها تحتمل فى نفس الوقت أن الراوى لم يسمع مباشرة من الشيخ الذى يرد اسمه بعد حرف الجر بل قد يكون قد تلقاه عن شيخ هو أحد رواة الشيخ المذكور . وحيث سقط اسم هـذا الراوى من الاسناد فلا يمكن الحكم على مبلغ عدالته أو درجة ضبطه ، لذلك اشترط الامام مسلم — كما سنفصله فيما بعد — أن يكون الراويان فى الحديث المعنعن قد تعاصرا حتى يمكن لقاؤهما وتلقى أحدهما من الآخر ، وتشدد الامام البخارى فاشترط أن يثبت لقاؤهما .

ولكننا نعلم فى حال همام بن منبه ومعمر بن راشد أنهما تعاصرا ، فقد ولد أولهما فى ٤٠هـ وتوفى عام ١٣١هـ على الأظهر ، وولد معمر عام ٩٦هـ وتوفى عام ١٥٣ أو ١٥٤هـ ، كما ثبت أن معمر بن راشد كان أشهر تلاميذ همام بن منبه ، وأنه سمع من همام بعض الصحيفة وقرأ عليه بعضها الآخر ، حيث صاحبه معمر بعد أن كبر سنه وسقط حاجباه على عينيه ، ولقد قرأ همام على معمر حتى اذا ملّ أخذ معمر الصحيفة فقرأ الباقى (٤) .

وحيث فرغنا من التعليق على إسناد صحيفة همام الوارد فى مسند الامام أحمد . يحسن بنا أن نقارن بينه وبين اسناد الصحيفة نفسها الوارد فى النسخة الدمشقية التى يرجع تاريخها الى القرن السادس الهجرى والتى عالجها الدكتور محمد حميد الله ونشرها فى المجلد الثامن والعشرين من مجلة « المجمع العلمى الصادرة بدمشق عام ١٩٥٣م (٥) ، وهو كما يلى :

« **حدّثنا** الشيخ .. أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المسعودى .. بقراءته علينا من أصل سماعه .. فى السادس والعشرين من ذى القعدة سنة ٥٧٧ ، قال : **أخبرنا** الشيخ .. أبو الخير محمد بن أحمد الاصبهانى قراءة عليه وانا اسمع ، قال : **أخبرنا** والدى الامام أبو عبد الله محمد بن اسحق قال : **أخبرنا** أبو بكر محمد ابن الحسين القطان . قال : **حدّثنا** أبو الحسن أحمد بن يوسف السلمى قال : **حدّثنا** عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميرى ، **عن** همام بن منبه ، قال : هذا ما **حدّثنا** أبو هريرة عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : .. »

وبالتأمل نلاحظ ما يلى :

أولا : يلتقى السندان فى عبد الرزاق بن همام الحميرى ، فيشتركان فى الرواية عنه ، ثم عن معمر بن راشد ، فعن همام بن منبه صاحب الصحيفة ، فعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعليه فقد سمع الامام أحمد الصحيفة من عبد الرزاق كما وردت فى مسنده ، وسمعها منه أيضا أبو الحسين السلمى كما وردت فى النسخة الدمشقية ، وبالرغم من تعدد الأسانيد فان النصوص الحديثية فى النسخة الدمشقية والنسخة الألمانية التى اطلع عليها الدكتور حميد الله ونسخها ، وفى مسند الامام أحمد وكما وردت متفرقة فى كتب الصحاح متفقة تماما الا فيما نـدر مما فقد يحدث نتيجةِ التصحيف أو السهو اليسير ، وهذا الاتفاق العجيب فى نصوص النسخ المروية عن هذه

الصحيفة وامثالها يرد على طعون الذين يطعنون فى الحديث جملة متشدقين باختلاف الروايات فى عدد من الأحاديث ، مما نرجو أن نتعرض له تفصيلا ان شاء الله .

ثانيا : يفرق رواة النسخة الدمشقية بين استعمال لفظ «حدثنا» ولفظ « أخبرنا » ، فيستعملون اللفظ الأول فى حال السماع من الشيخ نفسه ، ويستعملون اللفظ الآخر فى التحمل بالقراءة عليه بذلك يروى صاحب هذه النسخة عن شيخه المسعودى بلفظ « حدثنا » ثم يؤكد تحمله سماعا بقوله : « بقراءته علينا من سماعه » ، ويروى المسعودى « عن شيخه أبى الخير بلفظ «أخبرنا» ثم يؤكد أن تحمله كان بطريق القراءة قائلا : « قراءة عليه وأنا أسمع » ، اى أن احد زملاء المسعودى قرأ على الشيخ أبى الخير بحضرة المسعودى واصغائه لما قرىء على الشيخ .

ثالثا : واشترك السندان فى لفظ الرواية عن عبد الرزاق ، وهو : « حدثنا » ، وفى لفظ الرواية عن همام بن منبه ، وهو : « عن » وفى لفظ الرواية عن أبى هريرة وهو : « حدثنا » ، ولكنهما اختلفا فى لفظ الرواية عن معمر — فهو فى اسناد المسند : « حدثنا » وفى إسناد النسخة الدمشقية لفظ « عن » . فلعل عبد الرزاق روى الصحيفة أكثر من مرة على تلاميذه ، مرة سمعها منه الامام أحمد وفيها عبر عبد الرزاق عن تحمله من معمر بلفظ « حدثنا » ، ورواها مرة أخرى سمعها منه ابو الحسن السلمى وفيها عبر عن تحمله من معمر بلفظ « عن » . على أن التعبير بلفظ « عن » هنا لا ينفى التحمل بالسماع أو بالقراءة بل يحتملهما أو أحدهما ، وقد ثبت أن عبد الرزاق عاصر معمرا وصاحبه وتتلمذ عليه سبع سنوات (٦) ، وقد ولد عبد الرزاق سنة ١٢٦هـ وتوفى عام ٢٦١هـ عن خمسة وثمانين عاما ، وولد معمر سنة ٩٦ هـ وتوفى عام ١٥٣هـ . فتحقق بذلك شرط كل من الامامين مسلم والبخارى ، وعليه فاسناد الصحيفة متصل ، وتحملها رواتها بطريق السماع أو القراءة ، والله أعلم بالصواب .

---

(١) وحيث قبض عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى ٧٣هـ — وهو الاصح — وقيل فى ٧٤هـ . فان هذا الحديث يدل على ان فرقة القدرية كانت قد نشأت واحتدت أزمتها قبل هذا التاريخ ، ويبدو أن تفاقم الامور بمقتل الشهيد الامام الحسين ثم حرق الكعبة عام ٦٤هـ قد أحدث صدمات عنيفة فى نفوس المسلمين جعلتهم يتساءلون عن شأن القدر فى مثل هذه الاحداث التى ما كانت تتصورفنشأ الكلام فى القدر ، فكان المنكر ليسد الباب على الآثم فلا يعتذر بتدخل القدر فى عمله . وكان هناك المثبت دون القول بالجبر ، كما كان هناك من بالغ فقال بالجبر ورفع المسئوليات عن العباد .

(٢) « تاريخ التراث العربى » لفؤاد سزكين ، الجزء الاول (القاهرة ١٩٧١) ، ص ٢٥٥ .

(٣) توفى ابو بكر القطيعى عام ٣٦٨هـ.

(٤) « تاريخ التراث الاسلامى »(الجزء الاول) ص ٢٥٦ ، و «مجلة المجمع العلمى » دمشق ، (المجلد ٢٨ ، الجزء الاول)ص ١١٢ .

(٥) « مجلة المجمع العلمى » دمشق ، (المجلد ٢٨) الجزء الثانى ص ٢٧٠ — ٢٨١ — والجزء الثالث ص ٤٤٣ — ٤٦٧ .

(٦) « تذكرة الحفاظ » لشمس الدين الذهبى (الجزء الاول) ص ٣٣١ .



مشكلات الفواصل (٣)

للدكتور : على محمد حسن

ومما اشكل على الدارسين من الفواصل ما جاء فى قوله تعالى : ((**إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا**)) فقد وقع فى بعض الأوهام أن يكون التذييل فى هذه الآية : ((**انه كان عليما قديرا**)) أو ما الى ذلك ، أى أنه كان المناسب — على ما توهموا — ذكر القدرة لا ذكر الحلم والغفران .

وقد أجاب بعض المفسرين بأن هؤلاء المشركين كانوا يستحقون اسقاط السماء عليهم ، وخسف الأرض بهم ، ولكن الله سبحانه حليم غفور فلم يعاجلهم بالعقوبة ، واستأنسوا فى هذا الموضع بقوله تعالى : ((**وقالوا اتخذ الرحمن ولدا . لقد جئتم شيئا ادا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا . ان دعوا للرحمن ولدا . وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا**))(١) .

ولكن المتأمل فى الآية الكريمة لا يجد إشارة الى ما ذكره المفسرون ، فليس فى هذه الآية ، ولا فى الآيات التى سبقتها ما يشير الى أن الكفار يستحقون العذاب باسقاط السماء أو بخسف الأرض ، على أن ذلك اذا كان حلما فلمن يكون الغفران .. ؟

اللذين تحدثت عنهم الآية السابقة ، والذين يستحقون العقوبة باسقاط السماء أو خسف الأرض : ((**قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا**)) . أم لغيرهم ممن لم يرد لهم ذكر فى الآيات السابقة واللاحقة ؟

وربما صح أن نقول ان إمساك السموات والأرض ابقاء لنعم الله على الخلائق ، وابقاء للجنس البشرى الذى لا بد وأن تقع منه المعاصى ، فالله حليم يبقى العاصين يتمتعون بهذه النعم التى اشتملت عليها السموات والأرض ، والتى

---

(١) سورة مريم : ٨٨ — ٩٢ .

لا يستطيع احد غيره أن يحتفظ بها ، والله غفور يغفر لهؤلاء العاصين ما يقع منهم من الذنوب ما عدا الشرك ، كما جاء فى آية أخرى : **« إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »** .

ولا يزال الملحظ الذى لاحظته فى الآيات السابقة متجها هنا فى هذه الآيـة الكريمة ، على أن ذكر القدرة هنا يغنى عنه ما جاء فى الآيتين الكريمتين ، فالقرآن يتحدى هؤلاء الذين أشركوا أن يدلوه على ما خلق شركاؤهم من الارض ، وأن يدلوه على كتاب أنزل اليهم فهم على بينة منه ، ويؤكد لهم أن الله سبحانه هو ـــ وحده ـــ الذى يمسك السموات والارض أن تزولا ، فكأن الآية جاءت بشىء جديد حين ختمت بالحلم والمغفرة ، حتى يفكر الدارس للقرآن ، ويطيل التفكير ليعرف ما أشارت اليه الآية ، ولا يكتفى بالنظر العابر .

◆◆◆ ◆◆◆

ومن الفواصل المشكلة ما جاء فى سورة الملك :: **« أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن انه بكل شىء بصير »** ، فربما توهم أن الأولى أن تختم الآية ـــ مثلا بـــ (إنه على كل شىء قدير) ولكن التأمل الواعى يحكم بأن ختم الآية يجب أن يكون ما عليه التلاوة ، ذلك أن ذكر الصف والقبض هنا يدل على الصفتين اللتين يكون عليهما الطير فى طيرانه ، وخلق الطير على الصف والقبض ، وتزويده بما يصلح لكل منهما ، وإيجاد الأجزاء الدقيقة فى جسمه التى تمكنه من الطيران والوقوع ، والهامه كيف يصف ويقبض ، وكيف يطير ويقع كل ذلك لا يكون الا من (بصير) عالم بدقائق الأمور وجلائلها ، وبكيفية ابداع المبدعات : **« الا يعلم من خلق ، وهو اللطيف الخبير »** .

وقد ذكر الفخر الرازى سؤالا وأجاب عنه ، قال : (انه تعـالى قال فى النحل) : **« ألم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن الا الله »** . وقال هنا : **« مايمسكهن إلا الرحمن »** . فما الفرق ؟ قلنا : ذكر فى النمل أن الطير مسخرات فى جو السماء ، فلا جرم كان إمساكها هناك محض الإلهية ، وذكر ههنا أنها صافات وقابضات فكان إلهامها الى كيفية البسط والقبض على الوجه المطابق للمنفعة من رحمة الرحمن) .

◆◆◆ ◆◆◆

وقد تتحد آيتان أو أكثر وتختلفان فى التذييل ، وقد يكون التذييل واحـــدا والآيتان مختلفان قبله .

مثال النوع الأول قوله تعالى : **« وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها »** جاء تذييلها فى سورة (ابراهيم) : **« إن الانسان لظلوم كفار »** وفى سورة النحل : **« إن الله لغفور رحيم »** .

قال الزركشى فى البرهان : (من بديع هذا النوع اختـــلاف الفاصلتين فى موضعين ، والمحدث عنه واحد لنكتة لطيفة) . وبعد أن ذكر الآيتين السابقتين قال : (قال القاضى ناصر الدين ابن المنير (م ٦٨٣ هـ) فى تفسيره الكبير (البحر الكبير فى نخب التفسير) : كأنه يقول : اذا حصلت النعم الكثيرة فأنت آخذها ، وأنا معطيها ، فحصل لك عند أخذها وصفان : كونك ظلوما ، وكونك كفارا ، ولى عند اعطائها وصفان ، وهما : أنى غفور رحيم ، اقابل ظلمك بغفرانى ، وكفرك برحمتى ، فلا أقابل تقصيرك الا بالتوفير ، ولا أجازى جفاءك الا بالوفاء . انتهى .

وهو حسن ، لكى بقى ســؤال آخر ــ هكذا يقول الزركشــى ــ وهو : ما الحكمة فى تخصـيـص آية النحل بوصف المنعم ، وآية ابراهيم بوصف المنعم عليه .
والجواب : أن سياق الآية فى سورة ابراهيم فى وصف الانسان ، وما جبل عليه ، فناسب ذكر ذلك ، عقيب أوصافه ، وأما آية النحل فسيقت فى وصف الله تعالى ، واثبات الوهيته ، وتحقيق صفاته ، فناسب ذكر وصفه سبحانه .
فتأمل هذه التراكيب ، ما أرقاها فى درجة البلاغة ! انتهى كلام الزركشى .
وقد ذكر الفخر الرازى عند تفسيره آية ابراهيم : انه تأمل الفرق بين آيتى ابراهيم والنحل ، وأنه لاحت له دقيقته ، ثم ذكر ما نقله الزركشى عن ابن المنير ، فالكلام للرازى ، وقد نسب لابن المنير (توفى الرازى سنة ٦٠٦ هـ أى قبل ابن المنير بزهاء ثمانين سنة) .

◆◆◆ ◆◆◆

ومثاله أيضا ما جاء فى سورتي الجاثية وفصلت : ((**من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها**) ، وقد ختمت آية الجـاثية بقوله ســبحانه : ((**ثم الى ربكم ترجعــون**)) وختمت آية فصلت بقوله ــ علت كلمته ــ : ((**وما ربك بظــلام للعبيــد**)) .
وقد أجاب صاحب البرهان بأن الختام فى الآية الثانية مناسب ، أما فى الأولى فحكمته أن قبلها : ((**قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون**)) . فناسب الختام بفاصلة البعث ، لأن قبله وصفهم بانكاره .

◆◆◆ ◆◆◆

وقد أورد الزركشى فى هذا المقام آيات سورة المائدة : **ومن لم يحكم بمـا أنزل اللــه**)) حيث ختمت الأولى بـ ((**فاولئـك هم الكافرون**)) والثانيــة بــ ((**فاولئك هم الظالمون**)) والثالثة بــ ((**فاولئك هم الفاسقون**)) ، وذكر لذلك بعض الأسرار ، ثم قال (وقيل الكافر والظالم والفاسق كلها بمعنى واحد ، وهو الكفر. عبر عنه بألفاظ مختلفة لزيادة الفائدة ، واجتناب صورة التكرار) .
والذى يعنينا من هذا القول أن من العلماء من أجاز تفنن القرآن الكريم فى التعبير لأجتناب صورة التكرار .

◆◆◆ ◆◆◆

ومثال النوع الثانى قوله تعالى فى سورة النور : ((**يايها الذين آمنـوا ليستاذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ....**)) الى قوله تعالى : ((**كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم**)) وقوله سبحانه بعد هذه الآية ((**واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم**)) .
وقد فسر ابن عبد السلام ــ فى الأولى ــ : (عليم) بمصالح عباده (حكيم) فى بيان مراده . وفى الثانية : (عليم) بمصالح الأنام (حكيم) ببيان الأحكام .
قال الزركشى بعد أن نقل هذا التفسير : ولم يتعرض للجواب عن حكمــة التكرار . ولم يزد الزركشى على ذلك .
قلت : ولم نستفد شيئا لا من ابن عبد السلام ولا من الزركشى . أما ابن

عبد السلام فلم يتعرض لمناسبة هذين الوصفين لكل من مضمون الآيتين ، ولعله ظن أن المناسبة واضحة .

وأما الزركشي فقد عاب صاحبه بأنه لم يتعرض لحكمة التكرار ، وسكت هو عن هذه الحكمة .

وقد ذكر أبو السعود أن التكرير للتوكيد ، والمبالغة فى الأمر والاستئذان .

ويصح أن يقال ان موضوع الآيتين واحد ، وهو بيان آداب الاستئذان ، غير أنه فى الاولى ذكر استئذان الموالى والأطفال الذين لم يبلغوا الحلم ، والأوقات التى ينبغى استئذانهما فيها ، وما عداها فليس على الجميع جناح اذا لم يقع استئذان ، وفى الآية الثانية ذكر استئذان الاطفال الذين بلغوا الحلم .

ولما كان فى هذا البيان ما يدفع كثيرا من الأضرار المتوقعة وغير المتوقعة ، ناسب أن تجىء صفة العلم ، لأنه وحده العالم بخفيات الظواهر والبواطن ، ولا شك أن فى الأمر بهذا الاستئذان حكمة بالغة حتى تتجنب الأسر المفاسد .

وربما كان فى متعارف الأسر والجماعات أن هؤلاء الذين طلب استئذانهم شديدو المخالطة لمن يستأذنون عليهم وعليهن ، ومن هنا يقع التسامح معهم . ــ الذى ملكته اليمين ، والطفل لم يبلغ الحلم والطفل بلغ الحلم . كلهم أصحاب صلة وثيقة ، والقرآن نفسه يقول : **((طوافون عليكم بعضكم على بعض))** فلا جرم يكون أمرهم بالاستئذان حكمة بالغة من الذى يعلم السر وأخفى ، وتهيئة لنفوس المؤمنين أن تتقبل هذا الأمر ، وأن تحافظ عليه لأنه من عليم حكيم .

وكم وقع ويقع من المفاسد بسبب ترك هذا التأديب الإلهى ، بل كم وقع ويقع من الأضرار النفسية التى تتمكن من نفوس الاطفال حين لا يحول بينهم وبين الدخول على أهليهم فى الأوقات التى ينبغى أن لا يدخلوا فيها إلا بعد اذن ، وربما دفعهم هذا العامل النفسى الى ارتكاب القبيح ، فوق ما يسبب لهم من القلق والاضطراب العاطفى . فسبحانه وتعالى ما أجل حكمته ، وما أصدق علمه .

وهذا الذى ذكرت كما أنه يبين مناسبة التذليل لكل من المحدث عنه فى الآيتين ، كذلك يبين حكمة التكرير ، فالنفوس حين تنبه الى أمر لعلها لا تباليه بالة ، ولا ترفع له رأسا تحتاج الى تأكيد ما يدفعها الى الامتثال ، وما ينبه الى خطر التهاون ، ذلك أن الذى شرع هذا الأدب الاجتماعى هو العليم الحكيم .

◆◆◆ ◆◆◆

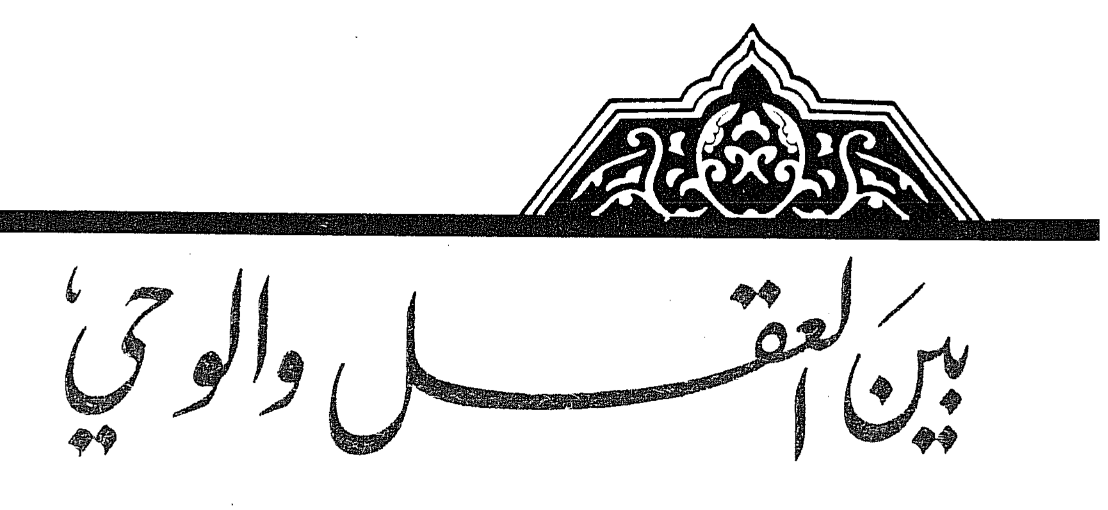
الى هنا نثنى عنان القلم ، مع أمل أن يتاح لى أو لغيرى أن يوفق الى بيان الأسرار فى بقية الفواصل التى قد تغمض الأسرار فيها .

وأكاد أكون اقتصرت على لون واحد منها ، وهناك لون آخر يحتاج الى جهد متواصل ، والى نظر واع ، ذلك هو الذى تنتهى فواصله بمثل هذه الكلمات : (يؤمنون ــ يتذكرون ــ يتفكرون ــ يعلمون ــ يسمعون ــ يعقلون ــ يوقنون) ، وهى فواصل كثيرة فى القرآن .

ولون ثالث تنتهى فيه الفواصل بمثل (السميع العليم ــ السميع البصير ــ اللطيف الخبير ــ الواحد القهار ــ العزيز الجبار) .

ونوع رابع وخامس وسادس . وكل هذه الأنواع تحتاج الى دراسة متفطنة ، والى جهد متواصل .

والتوفيق والعون من الله وحده .



بين العقل والوحي

للدكتور عبد العال سالم مكرم

الاسلام دين عام شامل جاء لإصلاح البشرية ، ونشر القيم الفاضلة والمثل العليا فى أرجاء الدنيا وفى كل زمان ومكان ، لأنه الدين الخالد ، « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » .

هذا الدين العام الشامل قوامه دعامتان : العقل والوحى .

أما العقل فقد أحله الله تعالى منزلة سامية ، لأنه الوعاء الذى يصون العقيدة ويحفظها ، ولأنه الدرع الذى يحميها من سهام الأعداء وطعنات الجهلة والحاقدين .

والعقل هو سلاح الشريعة الذى تدافع به عن رسالتها بحيث تكون مصونة من جموح الهوى ، وغرائز الشهوة ، ووساوس الشيطان .

وأما الوحى فهو النور الذى يساعد العقل على أن يسير فى دروب الحياة ثابت الخطا . رابط الجأش . ذلك لأن هذا العقل قد تؤثر فيه البيئة فينحرف عن الصواب ويميل عن الحق . ومن ثم يتحول الى مارد جبار ، يدمر ولا يبنى ، يهدم ولا يصلح ، يشقى ولا يسعد . ولما كان شأنه كذلك ربطه الله تعالى بالوحى على أيدى رسل كرام يعيشون على هذه الارض يأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق .

وسأتناول فى بحثى التفكير الاسلامى فى ضوء هاتين الدعامتين .

— ● —

مكانة العقل فى الاسلام :

العقل من صنع الله تعالى الذى أتقن كل شىء ، وسعادة الانسانية لا تتحقق إلا فى استخدام هذا العقل فى ضوء وظيفته التى خلق من أجلها .

والعقل هو الحياة ، وفقده هو الموت : « أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس

فى الاسلام

كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » .

والعقل منطلق عظيم للتحرر من سلطان التقاليد التى لا تقوم على ادراك سليم ووعى كامل . « واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون »

والذين لا يستعملون عقولهم لينقادوا الى الحق هم فى الدرك الأسفل من الحيوانية . « ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » .

— ● —

هذا العقل الذى يقوم بهذه الوظيفة الكبرى لم يولد فى الانسان كامل النضج تام التطور ، لأن هذا مخالف لطبائع الأشياء ، فكل مولود على ظهر هذه الأرض أيا كان انسانا أو حيوانا أو نباتا يولد صغيرا ، ثم ينمو ويتطور حينا بعد حين .

ومن أجل ذلك اسقط الاسلام التكاليف الشرعية عن الصبى حتى يبلغ سن الرشد ، عندها يكون العقل وصل الى المرحلة التى يستطيع ان يدرك بها حقائق الأشياء وبذلك يكون فى موضع المسئولية .

ولم يترك الاسلام العقل فى هذه المرحلة يسير من غير توجيه ، لأن الدروب متعددة والمسالك متشعبة بل رسم له منهجا يتربى من خلاله على أصول التفكير السليم .

ومن عناصر هذا المنهج توجيهه الى النظر فى ملكوت السموات والارض لأنه كلما زاد معرفة بأسرار الكون زاد معرفة بخالقه ومدبره وصانعه .

وقد كثرت فى القرآن الكريم الآيات التى تدعو الانسان الى التفكير فى هذا الكون بما حوى من مظاهر مختلفة لينطلق العقل الى آفاق رحبة فسيحة ، فيقر بصانع هذا الكون ومبدعه من أجل أن تستقر العقيدة ، وتضرب جذورها فى القلب وتمتزج باللحم والدم ، والحس والشعور ، والعاطفة والانفعال .

وجهه الى ذلك الكون ليلتمس العبرة بنفسه ، ويحس بالحقيقة

عن طريق ادراكه : « وهو الذى مد الارض ، وجعل فيها رواسى وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار . ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . « وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب ، وزرع ونخيل . صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

ولم يكتف القرآن الكريم بذلك ، بل وجهه الى ادراك الحكمة من صنع هذه المخلوقات ليعرف الانسان مدى مكانته عند الله فيقول : « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت ، فذكر انما أنت مذكر » .

وجهه أن ينظر الى قوام حياته ، الى الطعام الذى قطع مراحل عديدة ليصل الى فمه ، الى معدته ، فيمده بالحياة والحركة ، والنمو والتطور . « فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا . فأنبتنا فيها حبا وعنبا ، وقضبا وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولانعامكم » .

ثم وجه عقله بعد ذلك الى قصة الابداع الكبرى ، قصة خلق السموات والارض ، قصة انبثاق الحياة من العدم : « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى » .

وفى آية أخرى يقول عز وجل : « وآية لهم الارض الميتة أحييناها ، وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون » .

وقد اعجبتنى كلمة فى هذا المقام لعالم من علماء الذرة يقول فيها : « لست فى معملى أعنى باثبات حقيقة الحياة بعد الموت ، ولكنى أصادف كل يوم قوى عاقلة تجعلنى أحس ازاءها أحيانا بأنه يجب على أن أركع احتراما لها » .

ولم يقف القرآن الكريم فى تربية العقل عند هذا الحد ، بل انتقل الى مرحلة أخرى من مراحل التربية ، وهى توجيهه الى الله ذاته ، بين له بالأدلة الفطرية والعقلية أن السموات والارض لا يستقيم أمرهما الا باله واحد : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » .

وهذا الاله الواحد قريب يسمع نداء من ناداه ، ودعاء من دعاه : « واذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى ، وليؤمنوا بى » .

وحينما تستبد أحداث الحياة بالانسان ، وتضيق منافذ الدنيا فى نظره يحس العقل الانسانى بأنه قاصر عاجز ، لا يستطيع أن يدفع عوادى الزمن ويرد نكبات الحياة .

ومن هنا رباه الاسلام على أن يركن فى هذه الحالة الى قوة ترد اليه الاطمئنان ، وتبعث فى نفسه الثقة ، وهى قوة الاله الذى بيده وحده مصائر الامور . « أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الارض » . « وقال ربكم ادعونى أستجب لكم، ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين » .

وينتقل الاسلام فى مجال تربية العقل الى مرحلة أعمق من هذه المراحل جميعا مرحلة مراقبة الله فى السر والعلن ، فى البيت والعمل ، وفى كل شأن من شئون الحياة يتربى العقل فى هذه المرحلة على

يقظة الضمير التى تثير فيه معنى الاحاس بأن الله معه ، يراه ويسمعه « وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير » ومن هنا يتولد فى نفسه معنى الحياء ممزوجا بمعنى الاطمئنان ، والشعور بقوة الله تعالى التى تحل كل مشكلات حياته صغيرها وكبيرها « وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ، ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذن تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين » .

وفى مقام آخر يقول : « الم تر أن الله يعلم ما فى السموات والارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة هو سادسهم ، ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شىء عليم » .

وقصة موسى مع فرعون مثال حى لهذا الاحساس بمعية الله تعالى ، ومصاحبته حيث يمد هذا الاحساس النفس البشرية بطاقات اخرى لا تحد لانها من قوة الله الذى لا يعجزه شىء وحينئذ يسير الانسان الى هدفه لا يحفل بطغيان ، ولا يعبأ باستبداد ، ولا يهتم بما يلقى فى طريقه من صخور واشواك : « اذهب انت واخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى ، اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى . قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى . قال لا تخافا اننى معكما أسمع وأرى » .

ولما خرج موسى وقومه فارين من وجه الظلم والطغيان ، واذا بفرعون يتبعهم بجنوده وحشوده ، ولما رآهم قوم موسى اعتقدوا أن الهلاك مصيرهم ، وأن العذاب نهايتهم ، ولكن موسى كان يشعر بهذه المعية معية الله وصحبته : « فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى : انا لمدركون ، قال : كلا ان معى ربى سيهدين فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك الحجر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، وازلفنا ثم الآخرين ، وانجينا موسى ومن معه أجمعين ثم اغرقنا الآخرين » .

ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومعه صديقه أبو بكر ، واختبآ فى الغار تبعهما المشركون ، ووقفوا على باب الغار ، وهنا تتجلى المعية بأوضح معانيها ، وأعمق صورها حينما يقول النبى عليه السلام لصاحبه أبى بكر : ما ظنك باثنين الله ثالثهما . « الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها » .

على أن هذا العقل الذى أتيح له أن يتربى فى هذه المجالات جميعا ، والذى أتيح له من فرص التفكير ما يستطيع به أن يعى الدرس فى يقظة وادراك وقف عند مرحلة محدودة من التفكير لا يستطيع أن يتجاوزها ، لانها فوق استعداده وفوق طاقته ، وفوق ادراكه . انه تربى أن يفكر فى كل ما تقع عليه العين أو يأتى اليه عن طريق الوسائل الحسية والمدركات ، ولكن ما وراء ذلك ، التفكير فيه تطاول على الحقيقة ، لأن العقل المحدود لا يستطيع أن يلمس هذه المرحلة أو يطرق بابها الا وهى مرحلة التفكير فى ذات الله تعالى ، وحقيقة هذه الذات ، ومن أجل ذلك نهى الاسلام العقل أن يفكر فى ذات الله ،

فعن ابن عباس رضى الله عنهما : « تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله ، وكل ما ورد فى بالك ، فالله بخلاف ذلك » .

ان التفكير فى الله جنون لا يستقيم مع المنهج السليم، وكيف يفكر المحدود فى اللامحدود ، والفانى فى الباقى، والعاجز فى القوى ، والميت فى الحى ؟ .

ان العقل يعجز أن يحيط بادراك هذه المخلوقات العظيمة التى تملأ هذا الكون من نجوم وشموس ، واقمار وكواكب ، ومجرات وراءها مجرات . فكيف يتطاول اذا الى صانع هذه المخلوقات ليدرك ذاته ، وهو « لا تدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » .

ان الاسلام قد وضع يد الانسان على أزرار الكون كما عرضت سابقا ليلمس بعقله العبرة والعظة من وراء هذه المظاهر الكونية ، ولكن عقل الانسان لو تجاوز حدوده لأدى ذلك الى التفكير المضطرب ، الى الانحدار ، الى الهاوية الى الكفر والالحاد ، وهذا هو الهلاك الذى يعنيه حديث ابن عباس . وقد ربى الاسلام العقل على هذا المعنى ففصل فى كثير من القضايا بين الاسباب والمسببات ، والمقدمات والنتائج ، والعلة والمعلول ، وهى مجالات لا يستطيع العقل الا أن يعيش فى مجالها ، فمنها يستمد تفكيره ، وعليها يبنى نتائجه وكانت تربية الاسلام للعقل فى هذا المجال اعلاما له بأن الله الذى جعل لكل شىء سببا قدرته تعالى لاتحد ، يستطيع أن يفصل بين المقدمة والنتيجة ، ويقطع العلاقة بين السبب والمسبب ، والعلة والمعلول . ولا أدل على ذلك من قصة زكريا عليه السلام مع السيدة مريم ام المسيح عليه السلام ، انها قصة مليئة باللفتات العجيبة فمريم يأتيها رزقها رغدا من حيث لا تدرى ، ففاكهة الصيف تجدها فى الشتاء ، وفاكهة الشتاء تجدها فى الصيف ، وليس هناك من يقدم لها هذه الفاكهة . وهنا كان مثار العجب عند زكريا عليه السلام : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا ، قالت هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب »

وما لى أذهب بعيدا وزكريا نفسه امرأته عاقر ، والعاقر لا تلد وقد بلغ من الكبر عتيا ومن كان كذلك فقدرته على الانجاب غير ممكنة ، ولما أراد الله تعالى له أن ينجب توارت الاسباب وتلاشت المقدمات أمام القوة التى فى امكانها أن تقول للشىء كن فيكون . « قال رب انى يكون لى غلام ، وقد بلغنى الكبر ، وامرأتى عاقر ، قال كذلك الله يفعل ما يشاء »

وجاءت ولادة عيسى عليه السلام درسا ملهما لهذا العقل ليقف على حقائق القدرة الالهية ، انها ولادة أحدثت دويا هائلا فى بنى اسرائيل ، أقاموا الدنيا واقعدوها لان عقولهم عجزت عن ادراك حقيقة هذه القدرة العظيمة التى فى اطارها توجد الاشياء . . « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » .

ومن هنا يتلقى العقل أول درس فى الايمان بالغيب ، وبهذا الايمان يستسلم العقل الى ما وراء هذا الكون فيؤمن بالجنة والنار ، والبعث والنشور ، والحساب والعقاب والملائكة والرسل . وكل ما ورد عن طريق رسل الله سلام الله عليهم مما لا يخضع لتجربة ، ولا يوضع تحت مجهر ، مما لا يدركه حس ، أو

يتناوله بصر ولكنه انقياد يدل على الطاعة ، واقرار يدل على الايمان .
وبذلك ننتقل الى الدعامة الاخرى التى يقوم عليها الفكر الاسلامى ، وهى دعامة الوحى .

الوحى :

المدلولات التى تشير اليها كلمة : « الوحى » عديدة :
فالوحى الهام لا ينفرد به الانسان فقد تشاركه بعض المخلوقات فى مجال الالهام دليل ذلك قوله تعالى : « وأوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون » .
وفى جانب الانسان قوله تعالى : « وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه » والوحى اشارة : « فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا » وقد تكون وسوسة الشياطين وحيا : « وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون » ..
والقرآن الكريم وحى : « ان هو الا وحى يوحى » ..

والذى يعنينى فى هذا المقام من هذه المدلولات العديدة لكلمة الوحى هو الوحى فى اصطلاح الشرع . ومعناه : الرسالات السماوية التى يكلف بها نبى مختار من عباد الله ليعمل بها أو يبلغها مع عمله بها الى القوم الذين أرسل اليهم . والوحى بهذا المدلول أنواعه عديدة فقد يكون عبارة عن القاء المعنى فى النفس أو القلب ، وقد يكون كلاما من وراء حجاب ومن أنواعه أن ينزل ملك الوحى وهو جبريل عليه السلام الى الانبياء ليلقى عليهم رسالات السماء وتعاليمها ، وقد يأتى على صور مختلفة .. لا نستطرد فى ذكرها لانها تحتاج وحدها الى بحث طويل .

والذى اريد أن اقوله هنا ان الاسلام تميز عن الاديان التى سبقته بأن معجزته الخالدة قرآن موحى به من الله تعالى ، « وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين » اعنى أن القرآن ليس من صنع عقل بشرى ، والا لتناولته العقول لتجاريه فى مجال القول ، وتنافسه فى مضمار البلاغة ، وتتحداه فى مجال القدرة البيانية . ولا زال القرآن الكريم الى اليوم ، والى أن يرث الله الارض ومن عليها يحمل عناصر القوة التى تفرض سلطانها على العقول والقلوب والعواطف والمشاعر ، والتى لا تملك القوى البلاغية الا أن تستسلم لها فى انقياد وخضوع .

والقرآن الكريم ثورة جارفة قلبت النظم العقائدية ، والسياسية والاجتماعية رأسا على عقب ، لأنه كتاب اصلاح للانسانية التى خربها الظلم ، واستبد بها الباطل ، وشوهها الانحراف ، وهذا الاصلاح نابع من طبيعة القرآن ذاته لانه كما يقول الدكتور عبد الله دراز فى كتابه « مدخل الى القرآن الكريم » : يقول « راجع الى ماله من جاذبية خاصة بتوافقه الكامل مع اسلوب الناس الفطرى فى التفكير والشعور ، وباستجابته لما تتطلع اليه نفوسهم فى شئون العقيدة والسلوك ، وبوضعه الحلول الناجعة للمشكلات الكبرى التى تقلق بالهم . وبمعنى اخر لا بد أنه ينطوى على ما يشبع حاجتهم الى الحق ، والخير والجمال بما يجمع من صفات العمل الدينى والأخلاقى والادبى فى آن واحد » ..
ولنا أن نتساءل : هل القرآن الكريم الذى جاء لاصلاح الانسانية ليقوم بناؤها على أسس ثابتة من الايمان والعلم ، والخلق والعدل ، وقف من

الاديان التى سبقته موقف الخصم العنيد ليثبت وجوده ، ويعزز مكانته ؟

الحقيقة أن القرآن الكريم لم يكن كذلك ، لانه أيقظ ضمائر أهل الكتاب بدعوته الى الوحدة الدينية التى تقوم على اساس أن جميع الانبياء والرسل أمة واحدة تحت لواء الله تبارك وتعالى ، وان غياب هذه الوحدة باطل يقوم على التعصب والتفرقة . ولا أدل على ذلك من أن موسى عليه السلام يعلن أنه من ابراهيم واسحاق ويعقوب ، وعيسى عليه السلام يعلن أنه لم يأت الا ليؤيد من قبله من الرسل السابقين وشرائعهم ، ويؤيد بالبشارة رسالة محمد عليه السلام « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » .

ومحمد عليه السلام يؤمن كما يؤمن اصحابه ، وتؤمن أمته بما أنزل اليهم من ربهم « آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله » .

وبذلك وضع القرآن الكريم أول لبنة فى بناء الوحدة الدينية بعيدا عن التعصب والهوى ، والحقد والانانية .

ومن هذا المنطلق اتجه التفكير الاسلامى يدعو الى هذه الوحدة فى منطق قوى واقناع عجيب . « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

منطق قوى يثير فى العقل تساؤلات لم الاختلاف وقد آمن العقل بوحدة هذا الكون التى أبدعها الاله الواحد ؟ كل ما فى الامر أن هذا العقل قد تشل قواه ، ويضعف بناؤه ، فيركع أمام وثن أو حجر أو يخضع لسلطان كاهن أو راهب ، ومن هنا يأخذ طريقه الى الانحراف فاذا ترك وشأنه ، انزوى الحق ، وضاع العدل ، وظهر الباطل وكثر الفساد ، واظلم الكون .

ومن أجل ايقاظ ضمائر هؤلاء المنحرفين نهانا القرآن الكريم أن نتخذ منهج العنف فى الحوار والمناقشة حينما ندعو أهل الكتاب الى الاسلام لأن العنف لا يقابله الا العنف ، والاسلام دين فوق مستوى العناد ومستوى الاستبداد الفكرى فقال : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن » وقد تعمى العاطفة عيون اتباع الرسل عن الحقيقة فيبالغون فى اضفاء القدسية على أنبيائهم ورسلهم فى تعصب ممقوت ليرتفعوا بها الى درجة الالوهية كما قالت اليهود عزيرا بن الله ، وكما قالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون .

ومن هنا كان القرآن الكريم حريصا على أن يضع الحقيقة واضحة حول رسول القرآن ليكون الأتباع على بينة من الأمر ، وحتى لا يقعوا فيما وقع فيه أتباع الأنبياء من قبل، فأكد القرآن الكريم بشرية الرسول عليه السلام فى أكثر من موضع ليلفت العقول دائما الى الحق : « قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ولا اقول لكم انى ملك . ان اتبع الا ما يوحى الى » .

وفى الاعراف : « قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، وما مسني السوء ان انا الا

نذير وبشير لقوم يؤمنون » ، وقد حرص النبى عليه السلام نفسه أن يؤكد عبوديته لله . فكان يقول : « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

ولم يكن القرآن الكريم مجرد تشريعات تشرع ، أو قوانين تتلى ، أو قيم تعرض فحسب بل كان بجانب ذلك قوة تنفيذية ، لا يستطيع المسلم الفكاك منها ، لأنها قوة تعمل فى ضميره ذاته ، فبعد أن طاف القرآن الكريم بفكر المسلم فى رحاب الكون دارسا وباحثا ، وفى رحاب العقيدة مؤمنا وموقنا حول هذا الفكر الى قوة تنفيذية ، لا يتسرب اليها شك ، أو يعتريها ضعف ازاء أوامر القرآن الكريم ونواهيه ، فمثلا حينما حرم القرآن الخمر ، وكانت الخمر تشرب اذ ذاك لأنه لم ينزل فيها أمر بتحريمها حتى بعد دخول الاسلام ، فلما حرمت الخمر بعد ذلك كان لتحريمها قصة تدل على رفاهة الحس ويقظة الضمير ، وسمو النفس . يحدثنا انس بن مالك فيقول : « بينما أنا ادير الكأس على أبى طلحة ، وأبى عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل حتى مالت رءوسهم من الخمر اذ سمعت مناديا ينادى : الا أن الخمر قد حرمت قال انس : فما دخل علينا داخل ولا خرج منا خارج حتى اهرقنا الشراب وكسرنا القلال ، وتوضأ بعضنا ، واغتسل بعضنا . وأصاب من طيب أم سليم ثم خرجنا الى المسجد » .

وفى حديث آخر عن أبى بريدة عن أبيه قال : بينما نحن قعود على شراب لنا ، ونحن نشرب الخمر اذ قمت حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم عليه ، وقد نزل تحريم الخمر ، فجئت أصحابى ، فقرأت الآية عليهم الى قوله . « فهل أنتم منتهون » ، قال بعض القوم وشربته فى يده ، شرب بعضا وبقى بعض فى الاناء ، فأراقوا ما فى كئوسهم ، ثم صبوا ما فى أباطينهم وقالوا : انتهينا ربنا .

مجرد تحريم الخمر تفعل فى نفوسهم هذا الفعل العجيب ، فيكسرون الأباطى ويحطمون الكئوس وليس هذا القانون فى حاجة الى قوة بوليسية تشهر سلاحها فى وجه من يقف دون تنفيذه . نعم كانت هناك قوة بوليسية ولكنها فى داخل النفس لامن خارجها ، انه الضمير المتفتح ، انه القلب الداعى ، انه الايمان بالله اقوى من كل القوى ، وأعظم من اسلحة الدنيا .

وحتى النساء اللاتى تميزن بالجانب العاطفى نجدهن فى مجال الالتزام بأوامر القرآن الكريم ونواهيه كالرجال على قدم المساواة . فعن صفية بنت شيبة قالت : بينما نحن عند عائشة ، قالت : فذكرن نساء قريش وفضلهن فقالت عائشة : ان لنساء قريش لفضلا وانى والله ما رأيت افضل من نساء الانصار أشد تصديقا لكتاب الله ، ولا ايمانا بالتنزيل . لما نزلت « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » انقلب رجالهن اليهن يتلون عليهن ما انزل الله يتلو الرجل على امراته ، وابنته ، واخته وعلى ذى قرابته فما منهن امراة الا قامت الى مرطها المرحل ، فاعتجرت به تصديقا وايمانا بما أنزل الله من كتاب ، فأصبحن وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن على رءوسهن الغربان .

ولعلك أيها القارىء تحس أن

الدافع لهذا الالتزام ، والسر وراء سرعة التنفيذ انما يرجع الى العقيدة والعقيدة حياة وحركة ، عاطفة وانفعال، قوة والتزام ، ليست العقيدة فلسفة فكرية سلاحها الجدل والمنطق ولكنها قوة ربانية سلاحها الحق والخير . وتعجبنى فى هذا الموقف كلمة أحد الكتاب حينما يقول : « ان الفارق الأساسى بين العقائد والفلسفات هو أن العقيدة كلمة حية تعمل فى كيان انسان ، ويعمل على تحقيقها انسان . أما الفلسفة فهى كلمة ميتة مجردة من اللحم والدم ، تعيش فى ذهنه ، وتبقى باردة هناك »

وحينما يتلاقى العقل والوحى فى الاسلام يتكون الفكر الاسلامى المكتمل لان العقل يستمد مدركاته كما قلت من الحياة والطبيعة والكون ، والوحى يستمد تعاليمه من الله خالق الحياة والطبيعة والكون .

وجوهر الفكر الاسلامى يقوم على العلم يدل على ذلك أن أول آية أنزلت فى القرآن الكريم : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .

وعلم رب الاسلام نبى الاسلام الا يقنع بما عنده من المعرفة والعلم بل طلب منه أن يكون شعاره دائما « وقل رب زدنى علما » .

وكان النبى عليه السلام بعد نزول هذه الآية يدعو فيقول : اللهم علمنى ما ينفعنى ، وانفعنى بما علمتنى ، وزدنى علما ، والحمد لله على كل حال .

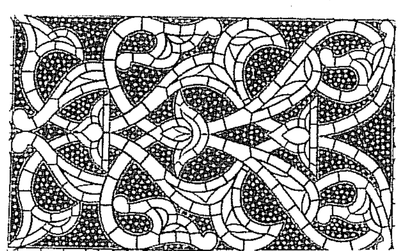
واذا كانت النبوة لا تورث لأنها هبة سماوية ، فهى أكبر من الارث ، ومن صلات اللحم والدم ، ومع ذلك فان الرسول عليه السلام جعل العلماء فى الدرجة التالية للانبياء فقال : العلماء ورثة الانبياء .

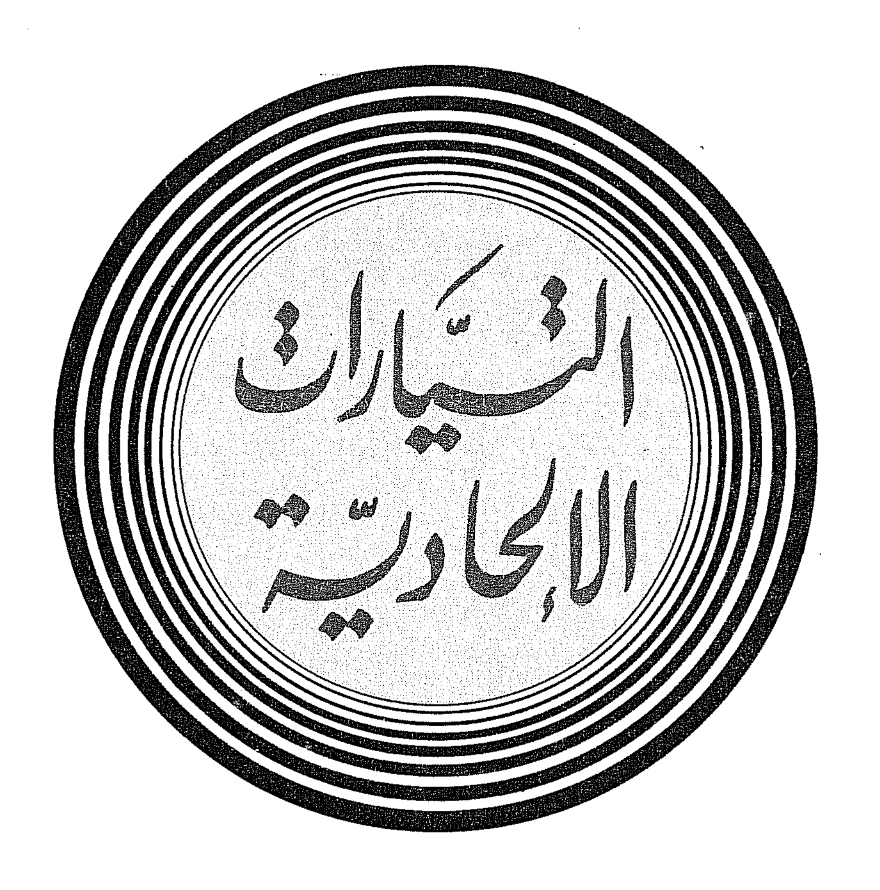
وليس للعلم غاية ينتهى اليها العقل فاذا ما وصل اليها القى السلاح ، لأن الرسول عليه السلام يقول : لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم ، فاذا ظن انه قد علم فقد جهل .

وليس العلم فى الاسلام مقصورا على التفسير والحديث ، والفقه والنحو ، واللغة ، فهذا جانب فقط ، ولكن العلم يشمل جوانب الحياة المختلفة التى تساعد على تقدم البشرية وتطور الانسان ، وتقدم العمران ، لان هذا يدور حول فكرة واحدة هى ربط السماء بالارض ، والدين بالدنيا والحياة بالموت .

لقد اضاء مشعل العلم فى الفكر الاسلامى ظلمات أوروبا ، فتكونت حضارتها التى تفرض وجودها على العالم الآن ، وما خيوط هذه الحضارة الا من نسيج ذلك الفكر العربى المسلم العملاق .

وانى لأدعو أن ننظر فى مسيرتنا الكبرى نحو الحرية والسلام الى هاتين الدعامتين : الوحى والعقل لنصل الى مرفأ السلام تحت رعاية الرحمن .





للدكتور وهبه الزحيلى

منى الاسلام بهزات عنيفة عبر التاريخ ، ومن هذه الهزات فى العصر الحاضر : ظهور بعض الحركات أو التيارات الالحادية المعادية للدين عموما ، والتى تحاول التخلص من الاسلام بوصف براق أو بآخر مزيف تحت ستار التجديد والعصرية ، واستغلال بعض مظاهر الضعف والتخلف الطارئة التى يمر بها العالم الاسلامى أو العربى المسلم بعد انتفاضته الجبارة على يد شرفائه وعلمائه ، وتخلصه من ويلات الاستعمار وآثامه .

وهذه الحركات أو التيارات اما مصادمة لجوهر الاسلام وموضوعه المباشر فى العقيدة ونظام الحياة ، واما موجهة فقط نحو الشق الثانى وهو النظام الذى وضعه للمجتمع .

وكل هاتيك الحركات منشؤها التعصب الدفين ضد الاسلام ، أو التخوف من عودة سلطانه على حياة الناس أو السخف والرعونة التى دفعت سدنتها الى زعم كون الاسلام أو الدين عائقا عن السير فى مضمار

التقدم والمدنية الحديثة ، مما أوقع بعض حكام العرب أو المسلمين فريسة المخططات الاستعمارية المادية والفكرية .

وقد تفاوت تأثير تلك الحركات أو التيارات على نظام الاسلام بمقدار دعم السلطات الدولية الكبرى لها فى الظاهر ، أو فى السر والباطن .

وتمخضت أحداث قرن من الزمان تقريبا عن نشوء تيارات ثلاث أدت الى انحسار تطبيق (الشريعة) فى مجال تنظيم شئون المجتمع وهى :

١ ــ حركات الارتداد عن الاسلام المتمثلة فى (البهائية) منذ قرن ونيف ، وفى (القديانية) فى مطلع القرن العشرين . فالبهائية ألغت كل ما جاء عن الاسلام من أحكام الحلال والحرام فى البيوع والاطعمة وغيرها ، ومسخت أوضاع العبادات وشوهتها ، وأحلت محلها شريعة نسخت الشريعة الاسلامية ، ونشرت آراء قصد بها هدم الاسلام ونشر الفوضى والالحاد بين المسلمين . والقديانية أحلت بعد نبوة خاتم الانبياء نبوة جديدة تزعم تنزل الوحى فيها على زعيمها ، ثم اعتقد مردتها بحلول اللاهوت فى جسد (غلام أحمد القادياني) مؤسس هذه البدعة بوحى من الاستعمار البريطانى الذى قصد بالذات تفريق كلمة المسلمين وتعطيل مفهوم الجهاد كى يقر قراره فى ربوع الهند .

٢ ــ حركات الانتفاض على الاديان عموما ومنها الاسلام الذى يختلف عن المسيحية مثلا بتنظيم شئون الحياة أو العلاقات الاجتماعية بين الناس . ويتمثل ذلك فى (الوجودية) و (العلمانية) التى تولد الشك والفساد ، و (الشيوعية) العالمية عقب الثورة البلشفية عام ١٩١٧ فى روسيا ، والتى ذهب ضحية مجازرها الرهيبة فى آسيا وأوروبا الشرقية ملايين الناس من المسلمين الذين حاولوا الحفاظ على عقيدتهم وتعاليمهم الدينية .

٣ ــ حركات فصل القيم والدولة عن العقيدة الدينية بسبب تقدم العلوم الحديثة فى أوروبا وتقوية الجانب العلمانى فى حضارتها ، سواء فى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومنها الناحية الدستورية والقانونية . وانعكست آثار هذه الحركات فى عالم الاسلام فى الثورة الكمالية فى تركيا بقيادة أتاتورك الذى الغى الخلافة الاسلامية عام ١٩٢٤ ، وأعلن علمانية الدولة أو لا دينيتها ، حتى فى المظهر والشكل والشعائر الدينية ، زاعما تحقيق التقدم لبلاده ، مع أنها الى الآن ما زالت وكأنها تعيش فى القرون الوسطى .

وسارت فى ركاب العلمانية بعض الاحزاب اليسارية فى أواخر الاربعينيات فى بعض البلاد العربية ، والانظمة العسكرية العربية التى (أفسحت المجال لطبع المجتمعات بالطابع الغربى ، وبخاصة فى المجالات التقنية وفى مجالات التعليم) فعطلت الشريعة ، وأحلت محلها دساتير ونظما برلمانية وقوانين غربية . وجاهر بعض قادتهم بأن الاسلام ــ العظيم الرائع ــ قد انتهى ، وأدى دوره فى الماضى ، ولم يعد صالحا للتطبيق فى الوقت الحاضر بحجة كون (المذاهب الفقهية المختلفة) تمثل بيئة اجتماعية معينة ، وتصورا حياتيا خاصا ، أو ظرفا زمانيا ومكانيا محددا . فهل نطبق اسلام مالك أو أبى حنيفة أو الشافعى أو ابن حنبل ، أو الجعفرى أو الزيدى أو الظاهرى . وكيف يصح فرض أحكام الاسلام على غير المسلمين الشركاء فى الوطن الواحد .. الخ ما يهرفون ويخرفون .

والحقيقة أن مثل هذه التيارات

الخطيرة كسابقتها كانت من محض وحى الاستعمار ، ولاسيما فى أرجاء باريس ، ولندن ، وسرت بدعة العلمانية الى الدساتير العربية من الغرب ، دون وعى الواضعين الذين تجاهلوا أو نسوا أن طبيعة الدين المسيحى يقتصر على كونه مجرد معتقد ، ويسمح للدولة بتنظيم شئون الحياة بقوانين وضعية . فقد تقبل الغربى كل القيم الجديدة لمجتمعه ، لأنه وجد أن دينه لا يتمشى مع روح العصر ، وساعد على ذلك تاريخ الكنيسة فى العصور الوسطى فى أوروبا ، حيث قاوم رجال الدين (الكهنوت) كل العلماء والمفكرين ، واضطهدوهم ، واستغل الحكام لتأييد انحرافهم ستار الدين ، وادعوا أحقيتهم بالسلطة بالتفويض الالهى المطلق .

وصدم شعور العربى الذى وجد أن عليه أن يطرح قيم مجتمعه ، وأن يتنكر لحضارة الاسلام التى تعتبر فصل الدين عن الحياة خيانة للمجتمع وتخليا عنه .

وأيا ما كان دافع العلمانية شريفا أم خبيثا فقد ظل الاستعمار الفكرى جاثما فى البلاد العربية بتطبيق قوانينه وتصوراته ومنطقه، وتم تنفيذ مخططات تحالف معسكر الالحاد فى الشرق والغرب ، وانكماش الاسلام فكرا وعقيدة وأخلاقا ، ونظما وشرائع ودستورا وسياسة زهاء قرن من الزمان .

وكان لزاما علينا كشف هذه الحقائق لئلا يفتتن بسطاء المسلمين والجهلة والعامة وبعض المثقفين ببريق التيارات المخادعة باسم التقدم والمدنية ، ولنبذ كل التهم الباطلة الموجهة للاسلام زورا وبهتانا ، أو كيدا وتعصبا ، أو جهلا ومغالطة ، من طريق بيان دعائم خلود الاسلام ، وسبيل العودة اليه أبيض الوجه ناصع الجبين ، لا بالاساليب العاطفية ، وانما بالخطط النظرية والعملية . وأسارع الى القول بأن أغلب رجال القانون الذين يتحمسون للقوانين الغربية المستوردة ليسوا سوى مجرد نقلة ومترجمين ، مما يسهل عليهم الحفاظ على بضاعتهم ، ويريحهم من عناء الجهد والبحث فى معين الاسلام وفقهه الخصب .

وأما رجال فقهنا فيفرقون عادة لأعوام طوال فى تحصيل الفروع والجزئيات الفقهية من الشروح والحواشى ، حتى اذا تم تحصيلهم صاروا أسرى لها ، فوقفوا عندها ، ولم يتصدوا لبحث المشكلات الجديدة، ولم يجرؤ أغلبهم على اصدار رأى جديد فى شأنها ، واذا اقدم أحدهم باحثا قضية ، وأفتى فيها برأى معين، ناله الآخرون بالسب والجرح والطعن فى مروءته ودينه وعرضه . والحق يقال : لم يهيأ لرجال الفقه بحث القضايا الجديدة ، لاعراض السلطة وواضعى القانون عن مخلفات جهودهم وثمرات أفكارهم بسبب طرح الشريعة أساسا عن النفوذ الى مجال التقنين ولقد شجع الحكم الاستبدادى بحق على سيادة الفكر المحافظ . وظلت دور العلم الشرعى تدور فى حلقة مفرغة ، وسيطر اليأس على أذهان طلابها من التفكير فى استنباط الاحكام من الشريعة ، بالاضافة الى تعذر حصول الكثيرين منهم على مورد يكفيه مؤنة العيش ولقمة الحياة . وأما القائمون على تدريس الشريعة فى كليات الحقوق ، فقد فتنوا بالنظريات والمبادىء الفقهية العامة ، وبمحاولة تقريب الشريعة من الافهام القانونية، وتركوا المهمة الاصلية فى تأصيل وتجديد الفقه بصفة عامة ، ونادوا

بضرورة الاجتهاد وفتح بابه ولم يجتهدوا الا في القليل أو النزر اليسير.

وأما مقومات خلود الاسلام التى تجعله غير قابل للانتهاء والانكماش فكثيرة منها ما يأتى :

١ ـ الحفاظ على الكرامة الانسانية واحترام العقل وتحريره من قيود التقليد الاعمى والخرافات ، بنبذ عبادة العباد ، وغرس أصول الايمان الحق بالله ، القائم على المنطق الحر والتفكير والتأمل والاقتناع بالدليل والبرهان .

٢ ـ تأسيس نظام الحياة على اساس العلم والمعرفة والبحث والتجربة والافادة من خبرات الآخرين الصالحة .

٣ ـ توسطه في النظرة الى الانسان والكون والحياة ، والمال والمادة ، بالاهتمام بمصالح الدنيا والآخرة ، وبمطالب الروح والجسد، وتوجيه الانتفاع بالمال وجهة جماعية تقوم على أساس الايثار وحب الغير والتكافل والتعاون والتآلف .

٤ ـ كونه دين اليسر والسماحة والمرونة في الحدود التى تتقبل التطور ، لأن قيم الاسلام الخالدة أصيلة لا يصح تجاوزها ، ولأن فكرة كون الاسلام يتجدد ويخضع لعامل الزمن في تطوره فكرة استعمارية . فالمبادىء القطعية أو الاساسية فى الشريعة لا تقبل التطور كأداء الامانات والحقوق الى أصحابها ، والتزام العدالة فى القضاء والشهادة ، والتراضى فى العقود ، وقمع الاجرام وسد الذرائع الى الانحراف ، والمسئولية الشخصية وضمان الضرر .

٥ ـ اصلاح الفرد بتربية ضميره واصلاح سلوكه وتحصينه بالأخلاق المثلى ـ الواقعية لا الخيالية ، وتوجيهه نحو الخير والمحبة والاحسان ، وتغليب العقل على الأهواء والشهوات والمصالح الموقوتة ، وربطه بالله صباح مساء .

٦ ـ تقويم الجماعة على أساس العدالة والامن والحرية التى تقيم المجتمع الفاضل ، بواسطة العقيدة والايمان والعبادات ، وانظمة المعاملات والعلاقات بين الأفراد ، التى تقيم حياة مدنية راقية تعرف بالحقوق والواجبات ، وتصون الحريات التى لا تصادم مصلحة الجماعة وتوفر أمنها واستقرارها .

وأما المذاهب الفقهية فليست أديانا أو شرائع متنابذة وانما هى مدارس اجتهادية للفهم والاستنباط واستقاء الحلول الصالحة للمشاكل المعقدة ، وتفسير النصوص قانونا أو قضاء ، فوجودها أمر طبيعى ضرورى بسبب اختلاف الافهام والانظار ، كالمدارس التى وجدت تماما لتفسير القوانين الوضعية ، فهى فرع والاسلام هو الاصل والمنبع ، وليست كل اجتهادات المذاهب ملزمة ، وانما الملزم هو نصوص القرآن والسنة الثابتة الصحيحة ، فيعمل حينئذ بالنصوص القطعية الرواية والدلالة التى لا مجال للاجتهاد فيها الا لمانع شرعى من فوات شرط كدرء حد بشبهة ، أو للضرورة المبيحة أو المانعة من المسئولية ، وأما غير القطعى فيعمل فيه الحاكم باجتهاده ، أو يتخير من المذاهب الفقهية ما يتفق مع روح الشرع ومبادئه ، ويحقق مصالح الناس التى لا تصادم النصوص القطعية ، أو الظنية . ويراعى فى الاختيار أيضا الوصول الى العدالة ، والمساواة فى الحقوق والشهادات والاحكام القضائية ، وملاءمة الاعراف والعادات التى لا تصادم النصوص الشرعية ، واباحة المعاملات والعقود والشروط غير الممنوعة شرعا ، والتى تيسر شئون المبادلات التجارية ، وتحرص على

مراعاة مقتضيات الفضيلة والاخلاق ، وتجنب نواحي الفساد والغش واهتزاز الثقة بنظام التعامل ، ونحو ذلك من القواعد الاصلية الثابتة في الاسلام مهما تبدلت الظروف والاحوال .

وقد أكد القرآن الكريم صحة تشريع المذاهب الاجتهادية فى قوله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » « يأيها الذين آمنوا اطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم .. » وأولو الأمر هم في السياسة الحكام ، وفى العلم العلماء الموثوقون الذين عرفوا بسلامة تفكيرهم وصحة تفسيرهم واصابة استنباطهم في الغالب . وأقرت السنة حق اللجوء الى الاجتهاد عند تعذر النص في حديث معاذ الذى رواه البغوى فى مصابيح السنة ، وأخرجه أبو داود في سننه ، وفيه اقرار صريح بممارسة الاجتهاد ، اذا لم يجد القاضي حكما فى الكتاب والسنة . والاجتهاد ومنه الاجماع المعتمد على مستند شرعى اداة حساسة مرنة ووسيلة واعية للحفاظ على خلود الشريعة ، ونمو أحكامها ، وتطور ما يقبل التطور منها ، وفق حاجات البلاد واختلاف الازمان ، كما أنه تماما وسيلة المحافظة على مرونة القانون الوضعى .

وبذلك تظل حركة التجديد مستمرة لحماية مصالح المجتمع والقضاء على المفاسد ، عملا بمبدأ الاسلام الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . ولكن ينبغى الا يفهم أن الاجتهاد أو التجديد معناه الحكم بالهوى أو (حرية الحكم) المطلق ، كما زعم بعض المجددين . وانما هو عملية استنباط الأحكام من مصادرها الشرعية بواسطة العلماء المختصين ذوى الكفاءة العالية فى الفهم والادراك ، وتمثل روح الشريعة وأهدافها العامة .

وأما التباكي على مصالح غير المسلمين أو التعاطف معهم فمنشؤه الجهل بمبادىء الاسلام الحقة التى لا تقر ظلما لأحد من رعايا غير المسلمين ، ولا تكلف عبئا خاصا بهم ، ولا تطالبهم بما لا يطيقون وكل ما قد يشاع من تهم فمصدره الكيد والمغالطة ، والجهل بحقائق التاريخ ، والتعصب البغيض منهم على المسلمين الذين يعاملونهم بمنتهى التسامح . فان التزموا بقوانين الاسلام فى المعاملات وغيرها ، فلأن المسلمين هم الاغلبية الساحقة ، وأيهما خير : هل فرض قوانين المستعمرين الظالمين على المسلمين وغيرهم فى ديار الاسلام أو تطبيق قواعدنا السماوية الاصل ، القائمة على الرحمة والعدل والمساواة ، النابعة من البيئة العربية ومدنية العرب قبل الاسلام وبعده .. ؟!

ولنا أن نبين للذكرى ودحض الحجة المغرضة ما يتجاهله الحاقدون على الاسلام ومنهم بعض رجال القانون ، وهو أن الشريعة صالحة فعلا لتنظيم الحياة الانسانية ، والفقه الاسلامى يلبى هذه الحاجة ويقرر أوجه الصلاحية بما تخلله من مبادىء وقواعد ثابتة وأحكام تفصيلية ، نذكر منها بعض الامثال فى نطاق الحقوق العامة والخاصة التى ينقسم اليها كل نظام قانونى قضائى .

أما الحقوق العامة فمنها داخلى ومنها خارجى ، والاول اما دستورى أو ادارى ، ففى نطاق الحقوق الدستورية قررت الشريعة مبادىء ثابتة مدعاة للاعجاب :

١ ــ حرية المواطن دون اخلال بالنظام العام والآداب ، ودون اعتداء على حق الغير وحريته .

٢ ــ المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات .

٣ ــ الشورى أساس الحكم .
٤ ــ اموال المواطنين ودماؤهم واعراضهم حرام .
٥ ــ العمل حق ضرورى وواجب على كل قادر عليه . واما العاجز فيعال من أقاربه أو من الدولة اذا لم يكن له قريب موسر ينفق عليه .
٦ ــ الاخاء والتعاون والتكافل قانون المجتمع .
٧ ــ المال وتملكه وان كان حقا خاصا ، لكنه ذو نزعة جماعية .
٨ ــ مال الخزينة العامة مرصود لمصالح الأمة ، ومنفصل عن ملك الحاكم .
وفى القواعد الادارية أقرت الشريعة المبادىء التالية :
١ ــ للحاكم حق اصدار مختلف القرارات الادارية التنظيمية ، بشرط التزام مبدأ الشورى ، ورعاية المصلحة العامة ، وعدم مصادمة نصوص الشريعة وقواعدها التشريعية الثابتة .
٢ ــ حق الطاعة من الرعية للحاكم مقيد بالمعروف .
٣ ــ تصرفات الحاكم فى نواحى الادارة وفرض الضرائب وجبايتها وتوفير الخدمات العامة والاستملاك الجبرى للمنفعة العامة : تخضع لرقابة الامة .
٤ ــ ليس للحاكم أو احد موظفيه حصانة أو امتياز على أحد .
واما فى مجال العلاقات الخارجية (الدولية) فقررت الشريعة ما يأتى :
١ ــ الشعوب البشرية كلها متساوية فى الحقوق الانسانية ، فليس هناك تقبل لأى تفرقة عنصرية أو جنسية أو مذهبية أو طبقية لشعب مختار أو فئة ممتازة على حساب المجموعة البشرية الأخرى .
٢ ــ المعاملة بين الدولة الاسلامية وغيرها تقوم فى السلم والحرب على أساس العدالة والحقوق الانسانية . ففى وقت السلم تحترم الحقوق المكتسبة للآخرين . وفى زمن الحرب يحرم الاعتداء والايذاء والفساد لغير ضرورة حربية ، لأن الله تعالى لا يحب الفساد .
٣ ــ المعاهدات بين الدولة الاسلامية وغيرها مقدسة لا تمس بنودها ، وملزمة وواجبة التنفيذ بحسن نية كالعقود بين الافراد ، ولا تنقض ما لم ينقضها العدو .
٤ ــ التعايش السلمى أساس العلاقة مع الامم المجاورة . والحرب اجراء اضطرارى لا يلجأ اليه الا عند العدوان بمختلف اشكاله . ولا حرب دون انذار باجماع الفقهاء ، ولا اقرار لاغتصاب بلادنا .
٥ ــ المعاملة بالمثل جائزة الا فيما يخالف اوامر الشريعة وقواعدها والاخلاق الاسلامية .
٦ ــ الحصانة السياسية حق للسفراء والقناصل وممثلى الدول الاجنبية .
وأما الحقوق الخاصة فتشمل النواحى المدنية والجنائية .
ففى الحقوق المدنية قررت الشريعة ما يأتى :
أ) فى الاحوال الشخصية : عنى الاسلام بتربية الفرد وتقوية شخصيته وارادته ، ليقوى المجتمع ويؤسس على قواعد راسخة صالحة . ونظمت حقوق وواجبات أفراد الاسرة ، ووضعت لها القواعد والنظم الملائمة للطبيعة البشرية والحاجة الانسانية . واعتبر الزواج عقدا مدنيا رضائيا محضا كسائر العقود ، ومنع الزواج بالأقارب المحارم حفاظا على وشائج القرابة والرحم ، وأجيز انحلال الزواج اذا تعذر بقاؤه وأصبح عقبة فى اقامة الاسرة القوية المتماسكة . وحوفظ على نقاء نبتة الاسرة وطهارة الانساب فحوربت العلاقات غير المشروعة . وأقيمت الولاية والوصاية لحماية مصالح القاصرين . ووزع الارث بين الزوجين ، وبين الأولاد والاقارب على أساس متين من العدل والحق .

واعتبر الانسان فى مجال الاشخاص هو أساس الشخصية القانونية . ومع ذلك وجدت بعض الاحكام المؤيدة لوجود ما سمى بالشخصية الاعتبارية كفرض الكفاية ، وتمثيل الامة بالحاكم أو القاضى ، والوقف للمسجد ونحوه من سبل الخير ، وقول الفقهاء : (للمسجد وقف) ونحو ذلك .

ب) فى الالتزامات : اعتبرت الشريعة كل فعل ضار بالغير موجبا مسئولية الفاعل أو المتسبب ، والتزامه بالتعويض عن الضرر عمدا أو خطأ ، اذ لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام . وهذا يعرف حديثا بنظرية التعسف فى استعمال الحق ، وأخذت الشريعة أيضا فى باب الالتزامات بنظرية الضرورة الشرعية المقابلة لنظرية الظروف الطارئة فى القوانين الحديثة .

وعرفت مصادر التزام اخرى كالارادة المنفردة ، والشرع كالالتزام بنفقة الاقارب ، والفعل النافع المقابل لما يعرف قانونا بالاثراء بلا سبب ، كالاستيلاء على الشيء خطأ ، أو قبض مال من آخر لترك محرم كالقتل والسرقة ، أو لفعل واجب كالصوم والصلاة ، أو ايفاء ما لا يجب للغير ثم يتبين انه لا حق له ، أو دفع مال لغيره على عمل لا يعتبره العقلاء وانما يعد فى نظرهم عبثا ولغوا ، أو الرجوع بالحق على من تناول مال غيره للضرورة ، أو على صاحب الوديعة لتغطية ما أنفق أو بذل لها من أجل حفظها .

وفى نطاق الاجراءات اعتبرت جميع الالتزامات مضمونة بتأييد القاضى ، وله كل السلطات الممكنة لاجبار كل مدين على تنفيذ التزامه ، ولو كان الحاكم الاعلى .

ج) فى العقود : أقرت الشريعة القواعد الآتية : يلتزم العاقد دون غيره بعقدة ، وينتقل التزامه الى الخلف ، كالوارث والموصى له والعقود كلها رضائية تنعقد بالتراضي الحر دون توقف على ممارسة شكليات معينة . وتصبح العقود صحيحة بمجرد الاتفاق بين طرفيها . وتعتبر الشروط العقدية حرة ملزمة للعاقدين الا ما يخالف النظام العام والآداب . وتخضع العقود لقواعد الاخلاق العامة ، ويجب أن يسودها حسن النية ، فيعتبر الغش والتدليس والغلط ، والتغرير مسوغا فسخ العقد . والعرف والعادة أساس تحديد حدود الالتزامات العقدية ما لم ينص على خلافها صراحة .

وفى النواحى الجنائية : قررت الشريعةأن كل ممنوع شرعا وسياسة جريمة ، وكل جريمة يعاقب عليها بعقاب عادل متناسب مع الفعل وكاف للزجر واقرار الامن . وفوضت الشريعة السلطة الحاكمة (الدولة) فى تقدير مقدار العقوبة ونوعها حسب الظروف والملابساتالشخصية والزمانية والمكانية . وحددت مع ذلك عقوبات بعض الجرائم نظرا لخطورتها ، وأولها الردة باعتبارها خروجا على قيم الوطن ومسئولياته ، والمحاربة لتهديدها لأمن الاشخاص والاموال ، والسرقة ، والزنى ، والقذف ، وتناول المسكرات ، والاعتداء على النفس أو أحد الاعضاء ، مما هو معروف العلة .

هذه هى الاصالة النظرية للشريعة التى حدت بالمحافل والمؤتمرات والجمعيات الدولية فى لاهاى وباريس وبرلينعام ١٩٣٢ ، ١٩٣٧ ، ١٩٤٨ ، ١٩٥١ أن تعترف بحيوية الشريعة ومرونتها وصلاحيتها للتطبيق فى كل زمان ومكان .

ومن أطرف ما قرأت عن اعجاب المستشرقين بالشريعة ما قالتهأستاذة اللغة العربية وتاريخ الحضارة الاسلامية فى جامعة نابولى بايطاليا الدكتورة لورا فيشيا فاغليرى فى كتابها (دفاع عن الاسلام) : ان

علينا ان نقدم أعمق اعجابنا الى دين لا يكتفي بنظرية ملائمة لمطامع الطبيعة البشرية ، وباقامة شريعة تتألف من أسمى القوانين التى يستطيع الانسان الحياة وفقها ، ولكنه يذهب الى أبعد من ذلك ، فينادي بفلسفة حياة . دين يقيم مبادىء الاخلاق الاساسية على أساس نظامى وايجابى .. الخ . ثم استشهدت بقول محمد فريد وجدى : « ان الاسلام هو فى الحقيقة دستور السعادة الحقيقية ، وأنه رسول الحضارة الصحيحة ، وأنه جدير بالتالى بأن يمنحه كل انسان حبه واحترامه ، كما منحه الحب والاحترام أولئك الفلاسفة الكبار الذين استهلوه وآمنوا به .. » ومن يدرى أن يتحقق التنبؤ القائل بأن الاسلام سيكتسح ويغزو أفريقيا لأنه دين التوحيد والمدنية ، ويغزو أوروبا لأنه دين العلم والتأمل .

أما من الناحية العملية فان شرع الاسلام وفقهه ما زال يطبق في بعض الدول العربية أو الاسلامية وعلى الصعيد الخاص فى معاملات الأفراد أحيانا ، وترتفع أصوات بعض رؤساء دول عربية تنادى بضرورة تطبيق الشريعة الاسلامية ، حتى نحافظ على أصالتنا ونتخلص من رواسب الاستعمار الفكرى ، وشكلت سنة ١٩٧١ فى ليبيا فعلا لجان لمراجعة القوانين وحصر واستظهار ما يناقض الاحكام القطعية والقواعد الاساسية للشريعة الاسلامية والعمل على ازالة هذا التناقض باعداد تشريعات بديلة ، أخذا من مختلف المذاهب ، مع تخير أيسر الحلول حسبما تقتضيه المصلحة العامة ، ومع مراعاة ما جرى عليه العرف فى البلاد مما له أصل فى مذهب الامام مالك . وتنص المادة السادسة من دستور دولة اتحاد مصر وسوريا وليبيا عام ١٩٧١ على ما يلى : « تؤكد دولة الاتحاد على القيم الروحية ، وتتخذ الشريعة الاسلامية مصدرا رئيسيا للتشريع » وبهذا النص تخطت كل الشعارات النظرية المحضة كاعتبار دين الدولة الاسلام ، الذى يقتصر على « الاسلام كعقيدة وشعائر » ولا يأخذ بكونه « نظاما يحكم علاقات الافراد » .

وطريق العودة الى الاسلام وشرعه يكمن فيما يأتى :

١ — غرس أصول الايمان بعناصره الست ، والاسلام بأركانه الخمس .

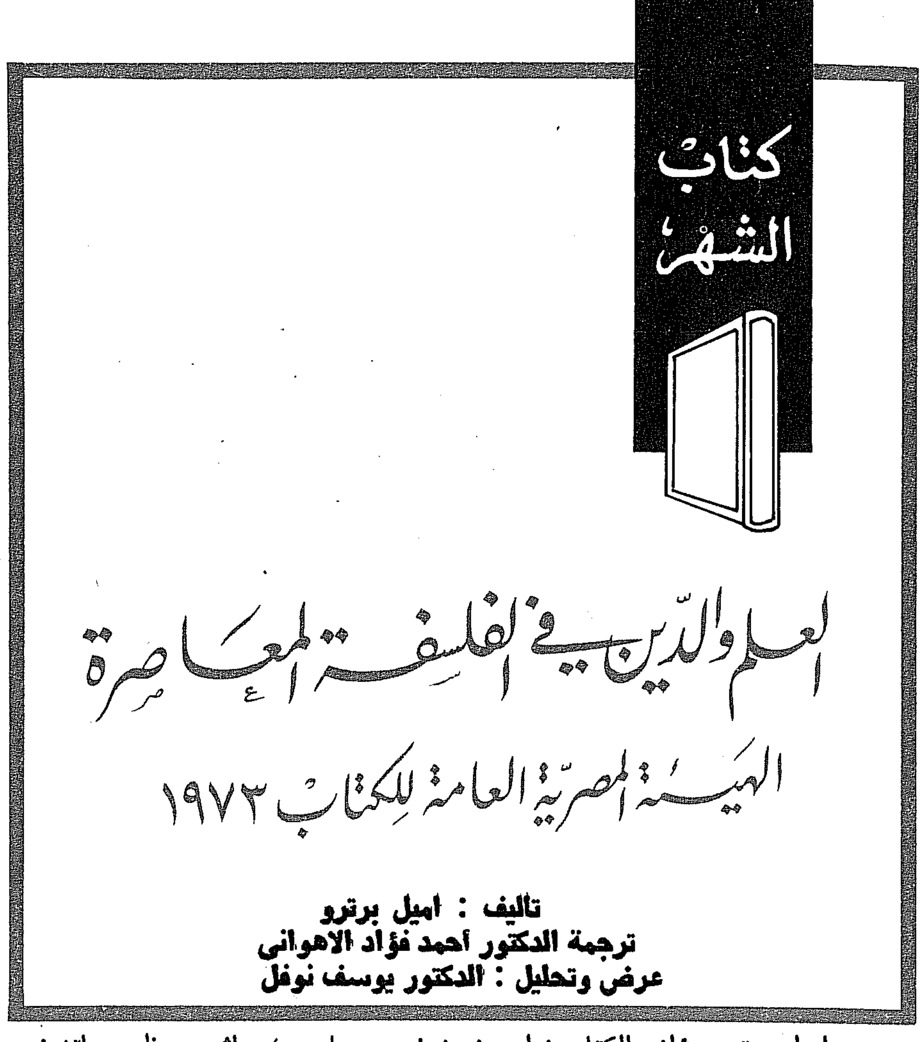
٢ — توفير القوة المتفوقة على العدو الخارجى .

٣ — استمداد التقنينات من أحكام الشريعة .

٤ — العلم الحديث الذى لا يتصادم فى موضوعه مع أصول الايمان .

أما ما قد يتجافى أو يقصر أو يضيق من اجتهادات فقه المذاهب الاسلامية، فيمكن الاستعاضة عنه بما تنتهى اليه مجامع البحوث التى تنعقد كل عام فى مصر ، وما تسفر عنه الدراسات والابحاث فى الاقسام العليا فى كليات الشريعة والحقوق ، وما ينبغى أن يقوم به أساتذة الفقه الاسلامى من اجتهادات ودراسات جادة تتلاءم مع ظروف العصر وحاجات أهله ، ولا تتعارض مع نصوص الشريعة ومقاصدها وأهدافها العامة ، والروح التشريعية ، وعمل المسلمين المستمر، والثابت غير المتعارض من سنة النبى العظيم عليه أزكى الصلاة والسلام .

لذا فان الاسلام سيظل رغم أنف الحاقدين قلعة صامدة لا تنتهى ، وأن تنكر له بعض الأذلة ، وايماننا ببقائه وصلاحيته على مر الدهور جزء لا يتجزأ من عقيدة المسلم : « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون » « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء » . « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » . « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين » .



اميل برترو مؤلف الكتاب فيلسوف فرنسى معاصر ، عاش معظم حياته فى اواخر القرن التاسع عشر ، وتوفى بعد الحرب العالمية الأولى ، يقوم منهجه فى البحث على رد الدين الى عناصره ، والى تحليل العلم وتبيين أصوله التى يعتمد عليها ، وبيان الصلة بين دائرتى الدين والعلم ، وما يمكن أن تنتهى اليه العلاقة بينهما من وفاق أو خصام ، وعلى الرغم من معاصرة هذا الفيلسوف الفرنسى لموجة الالحاد فانه يدافع عن الدين ، وكأنه كان مبشرا بما آل اليه العلم من تقارب شديد من الدين فى وقتنا الحاضر .

ومن الملاحظ أن المؤلف لم يتناول كلية أمرا من أمور الدين الاسلامى ، وكذلك لم يتناول شيئا عن البوذية مع أنهما من أوسع الديانات انتشارا ، ومن الواضح أن ذلك يرجع بالدرجة الأولى — فى تصورنا — الى جهله الاسلام ، ففاقد الشىء لا يعطيه ، وربما كان من الأسباب أيضا ندرة المواقف المبحوثة حول علاقة الدين بالعلم فى الشرق الاسلامى ، وخصوصا فى الأزمنة المتقدمة من العصر الحديث .

ومما يجدر بالذكر أن بعض فقرات هذا الكتاب ترجمها الشيخ مصطفى عبد الرازق في كتابه : « الدين والوحى والاسلام » .

وتأتى أهمية الموضوع المثار فى أن « الدين روح الأمة وسبب من أسباب وحدتها وعلة فى اتخاذها وجهة تشكيلها وتطبع سلوك افرادها على هيئة خاصة بحسب الدين الذى يعتنقه هؤلاء الأفراد ، ولست تجد أمة تخلو من دين ، حتى البدائيين الذين كانوا يعبدون الحجر والشجر والشمس والقمر ، لأن الدين عبادة تقتضى عابدا ومعبودا ، وتستلزم أن يكون المعبود مقدسا ، وقد مرت البشرية فى أدوار كثيرة فى تدينها حتى بلغت الأديان السماوية التوحيدية ، كان الناس يعبدون مظاهر الطبيعة وكل ما يجلب لهم الخير أو ينزل بهم الضر ، فألهوا البقر كما ألهوا البرق والرعد ، ثم انتهى الأمر بالبشر الى تأليه كل قوة طبيعية ومن هنا نشأ تعدد الالهة .

ثم اضفى الناس من خيالهم على هذه القوى التى ألهوها الخرافات ، وحكوا عنها الأساطير فكانت أقدم الديانات عند قدماء المصريين وعند اليونانيين خرافية — أو مثيولوجية — ولكن تقدم البشرية فى البحث والتأمل والتفكير أفضى الى أمرين : الأول الخروج من التعدد الى التوحيد ، كما حدث فى عصر اخناتون ، والثانى تجريد الآلهة من مظهرها المادى المتشخص فى المثيولوجيا واعتبار الاله الواحد هو القوة العليا والكمال المطلق ليس كمثله شىء .

وتشترك الديانات السماوية الكبرى فى اعتقادات تعمها هى الاعتراف بوجود الله وانه خلق العالم بعد أن لم يكن ، وانه بعث الانبياء والرسل لهداية البشر ، وأن الناس جميعا على موعد مع اليوم الآخر حيث الحساب ، وحيث الجنة أو النار .

وعلى رأس الأمور التى تشغل البال الايمان بوجود الله ، مهما انشغل الانسان بأمور الدنيا ، ومهما حاول التغلب على صعابها بوسائل يصطنعها فى حياته وفى أموره اليومية ، وفى سبيل ذلك يسخر الكون بما فيه لخدمته ، ومن هنا يأتى العلم ودوره حيث تقدم بخطوات هائلة وخصوصا منذ القرن الثامن عشر الى أن توصل الانسان الى معرفة سر المادة وتركيبها ، وانتقل من عصر البخار الى عصر الكهرباء الى عصر الذرة .

هذا العلم الذى يقوم على التجريب ، على المشاهدة والملاحظة والاحصاء أثار سؤالا هاما لدى الناس هو : لم لا نطبق المناهج العلمية على الدين وبخاصة بعد تطبيقها على ظواهر انسانية أخرى مثل النفس الفردية والنفس الاجتماعية حيث نشأ علمان جديدان هما : علم النفس وعلم الاجتماع ؟

وهذا سؤال هام ، فهل يمكن أن يخضع الدين للمناهج العلمية ؟ وهل اذا طبقنا المناهج العلمية على الدين يزيد ايماننا بالدين أو تتزعزع قواعده باعتبار أن أساس الدين هو الوحى أو هذه الصلة بين الله والانسان ؟

فى القرن التاسع عشر سار العلم فى طريق معاد للدين وانتشرت فى أوربا موجة شديدة من الالحاد باسم العلم . ذلك أن العلم كان ينادى بالحتمية التى تعنى أنه اذا ما توافرت الشروط والاسباب تحتم وقوع النتائج ، وبناء على ذلك يكتفى العالم بنفسه ولا حاجة به الى علة أخرى خلاف وجود المادة وحركتها وتطورها وسيرها فى طريقها المحتوم ، ولكن العلم منذ صدر القرن العشرين بدأ يرى أن الحتمية غير ضرورية ، وأن القانون الذى يحكم العالم هو قانون الاحتمالات ، وبذلك انفسح المجال للقول بقوة عليا تسير العالم خارج نفسه ، ولذلك نرى فى الوقت الحاضر موجة من التدين تعم أرجاء العالم باسم العلم ذاته ، وقد ترجم فى مصر

الى اللغة العربية كثير من الكتب الحديثة التى تحث على الايمان عن طريق العلم مثل كتاب : العلم يدعو الى الايمان ، وكتاب : الله يتجلى فى عصر العلم ، وغير ذلك ، وراجت هذه الكتب رواجا عظيما ، وطبعت اكثر من مرة ، مما يدل على تعطش قراء العربية الى مثل هذا النوع من الدراسات ، ولا غرابة فى ذلك ، فنحن نعيش فى عصر العلم الذى تغلغل فى جميع شئون الحياة ، وأصبح تفكيرنا فى الأغلب الأعم تفكيرا علميا .

خطة الكتاب :

يقع الكتاب فى مقدمة وجزأين ، الجزء الأول مو موعه النزعة الطبيعية ويتكون من اربعة أبواب : الباب الأول عن أوجست كومت ودين الانسانية ، وفيه نلتقى ببحث مذهب أوجست كومت ، وتأويل المذهب ، وقيمته ، وفى الباب الثانى : نلتقى ببحث عن هربرت سبنسر وما لا يمكن معرفته ، وفى ذلك يصنع المؤلف مع سبنسر ما صنعه مع كومت ، أما الباب الثالث ففيه الحديث عن هيكل والوحدانية ، وفيه الحديث عن مذهبه ، وقيمة هذا المذهب ، والفلسفة الاخلاقية . أما الباب الرابع فيتحدث عن المذهب النفسانى والمذهب الاجتماعى وفيه نلتقى بالتفسير النفسانى والتفسير الاجتماعى ، ونقد المذهب الاجتماعى والنفسانى .

أما الجزء الثانى فموضوعه النزعة الروحية وفيه حديث فى الباب الأول عن ريتشل والثنائية المتطرفة ، ثم حديث عن الريتشالية ، ثم عن قيم الريتشالية .

أما الباب الثانى فعن الدين وحدود العلم وفيه دفاع الدين ، وحديث عن صعوبات المذهب ، وحديث عن العلم باعتباره يتجه نحو الدين ، ثم حديث عن بعض الصعوبات القائمة .

أما الباب الثالث فهو عن فلسفة العقل وفيه حديث عن البرجمانية ، وعن تصور للعقل الانسانى ، وملاحظات نقدية ، ثم ننتقل الى الباب الرابع وفيه حديث عن وليم جيمس والتجربة الدينية ، وحديث عن مذهب وليم جيمس ، وملاحظات نقدية ، ثم خاتمة مفصلة .

••• ••• ••• •••

يرى المؤلف أن أمر العلاقات بين الدين والعلم حين يراقب فى ثنايا التاريخ يثير اشد العجب ، فانه على الرغم من تصالح الدين والعلم مرة بعد مرة ، وعلى الرغم من جهود أعظم المفكرين التى بذلوها ملحين فى حل هذا المشكل حلا عقليا ، لم يبرح العلم والدين قائمين على قدم الكفاح ، ولم ينقطع بينهما صراع يريد كل منهما أن يدمر صاحبه لا أن يغلبه فحسب ، على أن هذين النظامين لا يزالان قائمين ، ولم يكن مجديا أن تحاول العقائد الدينية تسخير العلم ، فقد تحرر العلم من هذا الرق وكأنما انعكست الآية منذ ذاك ، وأخذ العلم ينذر بفناء الأديان ، ولكن الأديان ظلت راسخة وشهد بما فيها من قوة الحياة عنف الصراع .

فاذا نظرنا الى المذاهب التى تلخص الأخطار الراهنة عن علاقة الدين بالعلم وتعرفها ، رأينا أنها تتوزع مجموعتين ، تمثل احداهما ما يمكن بالنزعة الطبيعية ، وتمثل الأخرى النزعة الروحية .

وقد وضع المؤلف فى النزعة الأولى على سبيل المثال : مذهب أوجست كومت الوضعى أو دين الانسانية كما يقال ، ومذهب « هربرت سبنسر » فى

التطور ونظريته فيما لا يمكن معرفته ، ومذهب هيكل الواحدى الذى يفضي الى دين العلم ، والمذهبان النفسانى والاجتماعى اللذان يردان الظواهر الدينية الى مظاهر طبيعية للنشاط النفسى أو الاجتماعى .

وقد ادخل فى النزعة الثانية : ثنائية « ريتشل » المتطرفة التى تنتهى الى التمييز بين الايمان والاعتقادات ، ومذهب حدود العلم ، وفلسفة الفعل باعتبار انها تربط العلم بالدين بمبدأ مشترك ، ومذهب التجربة الدينية كما يعرضه وليم جيمس .

ويضيف المؤلف الى ذلك قوله انه : « لو نظرنا نظرة كاملة لأضفنا الى هذا الثبت مذاهب أخرى كثيرة ، ومع ذلك فهذه الأمثلة كافية فى بيان عنف ومثابرة واسلحة هذا الصراع المتجدد على مر العصور ، ومن الجراة أن نتنبأ بنتيجة هذا النزاع باسم المنطق وحده ، لأن أنصار كل قضية منهما يلحون منذ زمن طويل فى الجدل دون أن ينجحوا فى اقناع بعضهم بعضا ، أما أن نقطع فى هذه المسألة بأن نرسم بادىء ذى بدء خط التطور التجريبى للتطور المستخلص من التاريخ أو الذى يظن استخلاصه منه ، فهو أيضا منهج شديد السذاجة ، ولا يكفى أن يصبح الشىء قديما ليقترب من نهايته ، وليس الحال بالضرورة فى حياة الأفكار والعواطف والمعنويات كالحال فى حياة الأفراد ، بل أكثر من ذلك عندما تموت هذه الأمور فقد يمكن أن تولد من جديد ، وبخاصة اذا طال عليها أمد النسيان ، وهذا هو شأن الثورات التى تكون أعنف بمقدار ما تحيى مبادىء أقدم ، فعندما أراد روسو أن يجدد العالم رجع الى الطبيعة باعتبار انها أقدم من سائر التقاليد ، هذا الى أن التاريخ يقدم لنا ألوانا من التطور يلوح انها تتجه وجهة محدودة كما يقدم لنا كذلك حركات منتظمة تطور احدى مراحلها هو نهاية مرحلة مضادة لها ، ان سير الامور الانسانية يبلغ من التعقيد حدا يمنعنا من الانتقال من تطور معين الى أسبابه الميكانية المحددة له ، هذه الأسباب التى بدون معرفتها لا يتسنى التنبوء العلمى الصحيح .

واذا صح أن الدين والعلم يمكن تشبيههما بالأحياء ، فكيف نقيس حيويتهما ومستودع طاقتهما ، وامكانيات يقظتهما ، ألسنا نرى اليوم أن بعض علماء الطبيعة يفسرون التغيرات المفاجئة التى تظهر أحيانا فى بعض الأنواع الطبيعية بخصائص ظلت كامنة الى ذلك الوقت حتى جاء الظرف الملائم لظهورها فجأة ، فبدلا من التنبوء عن مستقبل الأديان بأحكام أقرب الى اليسر منها الى التحقيق ، قد يكون من المفيد أن ننظر الى حالة كل منهما الراهنة ، وأن نحدد بمقتض هذه الدراسة طريقة تصور العلاقات بينهما ، وهى طريقة تبدو كما يقول أرسطو ممكنة ومناسبة فى آن واحد .

الصلة بين الروح العلمية والروح الدينية :

يقول المؤلف : « أيهما أجدر بالبحث أولا الدين أم العلم ؟ لم يكن ذلك أمرا ذا بال فى الزمن القديم أما اليوم فلم يعد الأمر كذلك ، فقد تحرر العلم كما يقال فى التعبير المشهور ، ففى الوقت الذى لم يكن للعلم من يقين سوى ما تخلعه عليه بعض المبادىء الميتافيزيقية التى كان ينسق بها ظواهر الطبيعة ، وجد فى التجربة مبدأ خاصا به باطنا فيه ، منه تستمد على السواء بغير معونة سوى معونة النشاط الفكرى المشترك ، الوقائع التى هى مادة عمله ، والقوانين التى بها ينظم تلك الوقائع » .

الروح العلمية

بدت الروح العلمية مع ديكارت ، وبوجه خاص مع كانط ، محدودة بصورة ثابتة عن طريق الشروط المنطقية للعلم ، وطبيعة العقل البشرى ، وقد ذهب ديكارت الى النظر الى سائر الأشياء من زاوية تسمح بردها مباشرة أو بالواسطة الى عناصر رياضية ، أما عند كانط فالروح العلمية هى الاثبات ــ أوليا ــ للرابطة الضرورية بين الظواهر فى الزمان والمكان ، وبعد أن تسلح العقل بهذه المبادىء ، نزل الى الميدان بعزم جديد يكشف عن قوانين الطبيعة ، وخيل اليه اثر النجاح الذى لقيه أنه قد وضع يديه من الآن فصاعدا على الصورة الأزلية المطلقة للحقيقة غير أن هذا الرأى قد تعدل حين اختبرت من قريب الطريقة التى بها يتكون العلم وشروط نموه ، ويقينه .

ويلوح من الثابت اليوم أن الروح العلمية ، وكذلك مبادىء العلم ليست معطلة مقررة ، بل تكــون نفسها كلما تجدد العلم وتقدم ، فمن جهة العقل يصنع العلم الذى لا ينفصل عن الأشياء ، كما ينفصل العنصر عن المركب الكيمائى ، ومن جهة أخرى يؤثر المصنوع فى الصانع ، اذ ليس ما نسبه بالمقولات العقليــة الا مجموع العادات التى كونها الذهن فى عمله لتمثل الظواهر فهو يلائم بينها وبين غاياته ، ويلائم بين نفسه وبين طبيعتها ولا تتم هذه الملاءمة الا بضرب من التوفيق .

الروح الدينية :

قد يبدو المؤلف ذا ميل كبير الى الاعتقاد بأن العلم ينبع من العقل ، وأن الدين خارج عنه ، يقول المؤلف : « من أيسر الامور لحل هذه المسألة أن نقرر أن الروح العلمية لها وحدها كل ما هو جوهرى فى العقل البشرى ، وان جميع الآراء أو النزعات التى بوساطتها تجلت الروح العلمية على مر العصور ، لها فى مبادىء العلم تعبيرها الوحيد المحقق والمشروع ، وعندئذ فكل ما هو خارج عن العلم ، فهو من أجل ذلك خارج العقل ، وحيث كان الدين بالضرورة شيئا آخر خلاف العلم، فهو أوليا من بين مواد التجربة الخام التى من شأن العلم أن يحيلها الى رموز موضوعية ، قادرة أن تصاغ فى ثوب من الحقيقة » .

والواقع أن هذا الرأى فى حاجة الى نقاش ، فالروح العلمية ، تمتلك جوهر العقل بل تعتمد عليه بالدرجة الأولى ، وهذا حق ، لكن الشطر الآخر من القضية والذى يعنى أن كل ما هو خارج عن العلم فهو من أجل ذلك خارج عن العقل ، هذا الشطر يبنى على أساس واه يجعله غير مقبول فى ميدان النقاش ، فافتراض أن الروح الدينية لا تستند الى العقل افتراض غير علمى وغير موضوعى ، فالعقل البشرى فى مجال الاعتقاد أو فى الناحية الدينية يستند الى تراث حضارى دينى يرجع الى آلاف السنين من عمر البشرية ، كانت البشرية فيه خلال هذا العمر الطويل تحاول ــ دائبة ــ التوصل الى صيغة سديدة فى مجال الاعتقاد ، وغنى عن البيان تتبع هذا التسلسل الطويل ، والمحاولات المتعددة التى خاضتها البشرية فى هذا الصدد وبتأمل هذه المحاولات ــ بما فيها من صواب وخطأ ، وهدى وضلال وصيحات أرضية ووحى سماوى ــ يمكن أن يصل الباحث الى حقيقة هامة ، هى أنه حين استخدم الانسان عقله ، وعمل على ألا يقع فى تناقض ،

وأن يضع الامور فى نصابها ، وأن يتغلب على هواه وعواطفه ؟ وينتصر عليهما ، اى يحكم عقله ، وصل الى الحق ، وحين ارتفع صوت الله . سبحانه وتعالى على لسان رسول اليهودية ورسول المسيحية ، ورسول الاسلام ، نطق الحق باعمال العقل والتفكير والنظر ، فهذا تساؤل : هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ ، وهذا حض على اعمال العقل ، وهذا تساؤل : أفلا يتدبرون ؟ ، أفلا يعقلون ؟ ، وغير ذلك مما يكثر حصره من آيات القرآن الكريم التى تشيد بالعقل واللب والفكر والنظر ، وتأمر بهما ، وتلوم من يبعد عن نطاقهما .

وقد يحلو هنا الرجوع الى كلام المؤلف ليبدو ايمانه بما نذهب اليه ، أو بما هو واقع انه يعود مرة أخرى الى القول بأن الايمان الحق هو ما يقوم على العقل ، وأن هناك صلة قوية بين الدين والعلم ، يقول :

« الايمان ، لسنا نقصد الايمان الأعمى بل الايمان الذى يسترشد بالعقل ، والفطرة ومعنى الحياة والمثل والتقاليد ، ولا شىء من هذه الامور يوجد فيه الباعث العلمى الذى يسمح لنا بالقول : هذا موجود ، ولما كان المقصود هو توجيه العقل فى طريق يختلف عن النتيجة الميكانية للأشياء فمن المستحيل ههنا أن يكون العلم كافيا ، ولا تزال عبارة القديس أوغسطين التى لفتت نظر بسكال صحيحة ، وهى : أننا نعمل للمجهول ، والحياة بالنسبة الى الانسان الذى يفكر رهان ، ولا يمكن أن نتصور أن تكون غير ذلك .

يترتب على هذا الشرط الأول شرط ثان ، فالايمان ليس بالضرورة قبولا سلبيا لما هو موجود ، على العكس أنه قادر على اتخاذ موضوع لم يوجد بعد ، ولا يبدو أن يكون واجبا ، ولعله يكون مستحيلا لولا هذا الايمان نفسه ، ولهذا السبب كان الايمان فى الانسان بوجه عام ، وفى الصفوة الممتازة بوجه خاص ، يولد موضوعا من الفكر يختلف فى جدته ، فهو ادراك عقلى أصيل يركز فيه بصره ، والانسان الذى يريد أن يعمل كانسان فلا بد له من غاية ، وكلما كان الايمان شديدا قويا كانت هذه الغاية مثلا أعلى يختلف فى سموه وتميزه عن الواقع ، فالايمان أولا لا يبصر موضوعه الا غامضا ، وعلى بعد ، وفى الغيوم ، ولكنه يجتهد فى تحديده بما يطابق حاجة العقل والارادة فهو يحدد شيئا فشيئا كلما عمل على تحقيقه .

وأخيرا ينشأ عن الايمان الخالق والموضوع الذى ينصبه أمامه ، شرط ثالث للفعل هو المحبة ، فالارادة تعشق مثلها الأعلى بمقدار ما يتلون هذا المثال بظلال أكثر جمالا وحياة بالتأثير المؤتلف من الايمان والعقل .

فهذه هى الشروط الثلاثة للفعل الانسانى : الايمان ، والمثل الأعلى ، والحماسة ، ولكن أليست هذه هى بالضبط المراحل الثلاث لنمو الروح الدينية ؟ الا تعبر هذه الألفاظ الثلاثة تعبيرا أمينا عن الصورة التى تلبسها الارادة والعقل والعاطفة بتأثير الدين .. ؟

فالحياة اذن ، من أحد وجوهها ، تعنى من جهة مطامحها المثالية ، تشارك مشاركة طبيعية فى الدين ، واذ كان من الواضح من جهة أخرى لا من جهة صلة الحياة الانسانية بالطبيعية انها تشارع فى العلم لأنها تطلب منه وسائل بلوغ غاياتها ، فقد يبدو من الصواب أن نرى فى الحياة همزة الوصل بين العلم والدين » .

وهناك كثير من المفكرين يعترضون على المكانة التى ننسبها الى الدين فى حياة الانسان ويقولون : كان من المباح للدين ــ الى عهد قريب ــ أن يعمل على

تقدم الانسانية ، لأن الأخلاق كانت الى حد ما متوقفة عليه ، ولكن هذا التضامن بينهما لم يكن إلا عارضا مؤقتا ، فقد نشأ الدين والأخلاق تاريخيا ونما كل منهما بعيدا عن صاحبه ، بل ان تقدم الأخلاق نفسه هو الذى أرغم الدين أن يتلاءم واياه ، وأن يصطنعه ، ولكن كما انهما نشآ فى ابتداء الأمر مستقلين ، فكذلك هما فى الوقت الحاضر فى طريق الانفصال ، واصبحت الأخلاق منذ أن تحررت واضحت شبيهة بغيرها من العلوم كافية ، وكافية جدا فى توجيه الانسانية .

طريق الانفصال ، واصبحت الأخلاق منذ أن تحررت واضحت شبيهة بغيرها من العلوم كافية ، وكافية جدا فى توجيه الانسانية .

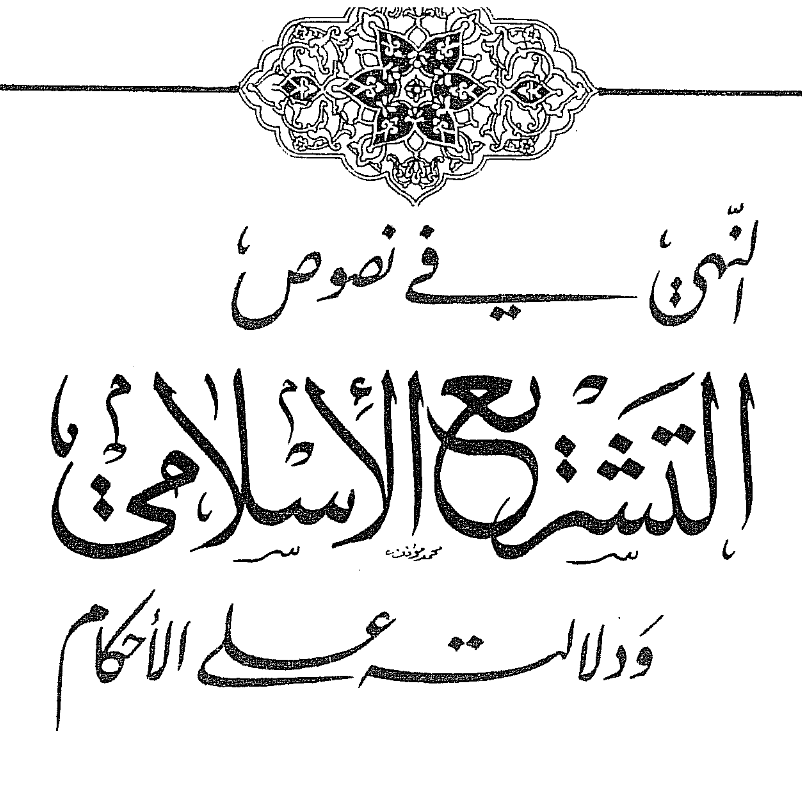
والمؤلف هنا ينشط فى بيان اهمية الدين ويرد على من يقلل من هذه الأهمية فهو يرى أن الدين يستهدف تحويل الناس والأشياء من الباطن لا من الخارج ، بالاعتقاد والمثال والمحبة والصلاة ، واتصال النفوس ، لا بالقهر أو بالسياسة ، ومن البين انه ليس على الدين أن يخشى تقدم العلم أو الاخلاق أو النظم .

ويأخذ المترجم على المؤلف — ونوافقه كما يوافقه القارىء على ذلك — يأخذ عليه انصرافه عن الاسلام تماما فهو يتحدث عن المسيحية ويقول : « وهى آخر ما شهدته الانسانية من الأديان الكبرى » ويثبت بذلك جهله بالاسلام وهو خطأ فادح يقع فيه فيلسوف كهذا فخاتم الديانات هو الاسلام وليس المسيحية ، وخاتم الأنبياء والمرسلين هو محمد عليه الصلاة والسلام وليس المسيح عليه السلام ، كيف يغيب عن المؤلف ذلك والاسلام ينتشر بين اكثر من أربعمائة مليون مسلم ينتشرون فى بقاع الأرض . ؟

ومع هذا كله فالكتاب يعد بحثا أصيلا فى تقريب الهوة المصطنعة بين العلم والدين ، وفى ذلك تأكيد للحق والصواب ، يقول المؤلف :

« والأمر كذلك بالنسبة الى الدين والعلم ، فالنزاع يشمل أحدهما كما يشمل الآخر ، واذا ساد العقل فسينبثق من مبادئهما المتميزة بعد أن أصبحت أعظم واقوى وأطوع ، صورة من الحياة على الدوام ، أضخم وأغنى وأعمق وأكثر حرية وجمالا وفهما ، ولكن هاتين القوتين المحتفظة كل منهما باستقلالها الذاتى ، لا يمكن الا أن يسيرا فى طريق السلام والتوافق والائتلاف ، دون أن يزعما أبدا بلوغ الغاية ، لأن هذا هو شرط الحياة الإنسانية » .



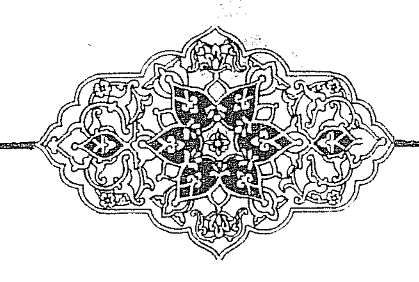


النهي في نصوص التشريع الإسلامي ودلالته على الأحكام

للدكتور : محمد سلام مدكور

عرضنا في مقال سابق الأمر في نصوص التشريع الاسلامي ودلالته على الأحكام ، وأشرنا فيه الى أن كلا من الأمر والنهي تدور حولهما أغلب الأحكام التكليفية ، لأن الأحكام الشرعية الخمسة : « الواجب والمندوب والحرام والمكروه والمباح » تدور في نصوص التشريع الاسلامي الواردة في الدليلين الرئيسيين : الكتاب والسنة حول الأمر والنهي وصيغ كل منهما . فهما اذا الركن الأساسي الأعظم للأصوليين والفقهاء .

ولما كان النهي قسيم الأمر ومقابله حتى أن الأسنوي قال : ان البيضاوي لم يعرفه لكونه معلوما من حد الأمر . اقتضى هذا أن نفرد هذا المقال للتعريف بالنهي وبيان صيغه ودلالته على الأحكام على سبيل الحقيقة والمجاز وافادة المرة أو التكرار والفور أو التراخي ، وما قاله الأصوليون في اقتضاء النهي فساد المنهي عنه ، وفي متعلق النهي .



تعريف النهى :

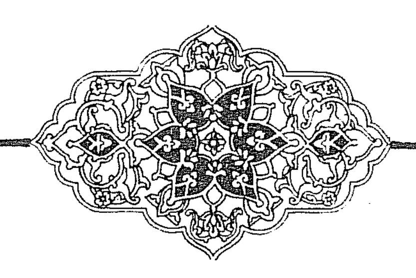
النهى فى اللغة بمعنى المنع يقال : نهاه عن كذا أى منعه عنه ، ومنه سمى العقل نهية لأنه ينهى صاحبه عن الوقوع فيما يخالف الصواب ويمنعه عنه . وعلى مسلكنا فى تعريف الأمر فى الاصطلاح الأصولى يكون النهى هو اللفظ الدال على طلب الكف عن فعل شىء **جزما** على سبيل **الاستعلاء** .. وقصدنا بتعبير « جزما » ابعاد الصيغ المستعملة للكراهة اذ المكروه ليس بمنهى عنه حقيقة لأن موجب النهى وجوب الانتهاء لقوله سبحانه وتعالى : « **وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** » (الحشر ٧) ، أما كلمة الاستعلاء فان القصد من ذكرها فى التعريف اخراج ما كان لمجرد الالتماس والدعاء والارشاد وغير ذلك من المعانى التى استعملت فيها صيغة النهى فى نصوص التشريع الاسلامى على ما سنذكر بعد .

صيغ النهى :

ورد النهى فى الكتاب والسنة بصيغ مختلفة نستطيع أن نرجعها الى الآتى :

١ ــ صيغة المضارع المسبوق بلا الناهية : وهذا هو الأصل فى صيغ النهى ، وأكثرها استعمالا فى اساليب التحريم . ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : « **لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى** » (النساء ٤٣) . وقوله جل شأنه : « **ولا تطع كل حلاف مهين** » (القلم ١٠) وقوله : « **ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا** » (الاسراء ٣٢) وقوله : « **ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا** » (الاسراء ٣٧) .

٢ ــ كل لفظ أمر يدل على طلب الكف والمنع مثل الأمر بالاجتناب فى قوله تعالى : « **فاجتنبوا الرجس من الأوثان ، واجتنبوا قول الزور** » (الحج ٣٠) وقوله : « **إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ، رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه** .. » (المائدة ٩٠) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « **اجتنبوا السبع الموبقات . قيل وما هن يا رسول الله ؟ قال : الاشراك بالله ، والسحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، وعقوق الوالدين ، وقذف المحصنات المؤمنات ، والتولى يوم الزحف** » ومثل (ذر) فى قوله تعالى : « **اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع** » (الجمعة ٩) ومثل : (دع) فيما روى من الأثر : « **دع ما يريبك الى ما لا يريبك** » ..



٣ ـ مادة التحريم ومشتقاتها مثل قوله تعالى : ((**حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم ..**)) (النساء ٣٢) وقوله : ((**حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ..**)) (المائدة ٣) وقوله : ((**وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم**)) (البقرة ١٨٥) وقوله : ((**وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم ..**)) (الأنعام ١٤٦) وقول الرسول عليه السلام : ((**ان الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنعا وهات**)) .

٤ ـ مادة النهى ومن ذلك قوله تعالى : ((**إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر**)) (النحل ٩٠) وقوله : ((**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون**)) (الممتحنة ٨ و ٩) .

٥ ـ نفى الحل . ومن ذلك قوله تعالى : ((**لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها**)) (النساء ١٩) وقوله : ((**ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا**)) (البقرة ٢٢٩) وقوله عليه السلام : ((**لا يحل دم امرىء مسلم ..**)) .

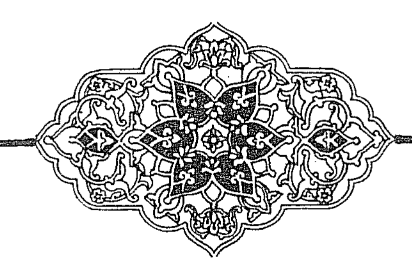
٦ ـ ترتيب الشارع العقوبة على الفعل ، ومن ذلك قوله سبحانه : ((**ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة**)) (النور ٢٣) وقوله جل شأنه : ((**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما**)) .

المعانى التى تستعمل فيها صيغة النهى :

ترد صيغة النهى فى نصوص التشريع الاسلامى دالة على عدة معان مقصودة من النهى حصرها بعض الأصوليين فى سبعة ، ومنهم من قال : ان هذه السبعة ليست على سبيل الحصر ، وإنما ترد لمعان أخرى واليك البيان :

١ ـ تستعمل صيغة النهى لافادة **التحريم** . ومن ذلك قوله سبحانه : ((**ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم وإياهم**)) (الأنعام ١٥١) وقوله : ((**ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق**)) .

٢ ـ وتستعمل لافادة **الكراهة** ومن ذلك قوله تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع**)) (الجمعة ٩) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (**لا تصلوا فى مبارك**



الإبل) وقوله كما يرى الحنفية « لا يبع احدكم على بيع اخيه ولا يخطب على خطبـــة اخيه » .

٣ ـــ تستعمل لافادة الارشاد . ومن ذلك قوله تعالى : **« لا تسالوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم »** (المائدة ١٠١) .

٤ ـــ تستعمل لافادة الدعاء . ومن ذلك قوله تعالى : **« ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أوأخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ٠٠ »** (البقرة) وقوله : **« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ٠٠ »** (آل عمران ٨) .

٥ ـــ وتستعمل لافادة التحقير . ومن ذلك قوله تعالى : **« لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم »** (الحجر ٨٨) .

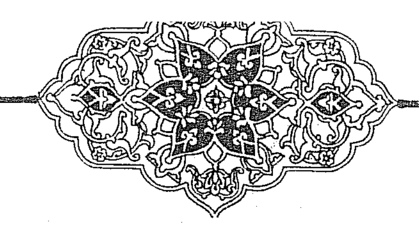
٦ ـــ وتستعمل لبيان العاقبة . ومن ذلك قوله تعـــالى : **« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون »** (آل عمران ١٦٩) وقوله :**« ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون »** (ابراهيم ٤٢) .

٧ ـــ وتستعمل لافادة اليأس . ومن ذلك قوله تعالى : **« يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم ٠٠ »** (التحريم ٧) .

هذه هى المعانى السبعة التى قال بعض الأصـــوليين بأن صيغة النهى ينحصر استعمالها فيها لكن قد ينتج التتبع والاستقراء استعمالات أخرى لها على غرار ما قلناه فى المقال السابق بالنسبة لما تستعمل فيه صيغ الأمر ، وفى ذلك يقول الأسنوى : ان صيغ النهى تنحصر استعمالاتها فى هذه المعانى السبعة وقد ذكرها الغزالى والآمدى . لكن صاحب فواتح الرحموت على مسلم الثبوت قال بعد أن ذكر هذه المعانى السبعة : « وقد تجىء صيغة النهى لمعان أخرى كالتسوية والتهديد والالتماس » .

ما وضعت له صيغة النهى على سبيل الحقيقة :

وبناء على هذه الاستعمالات المتعددة المتنوعة فان من الأصوليين من اعتبر أن النهى من قبيل المشترك على أساس أن صيغته وضعت فى أصل اللغة للدلالة على أكثر من معنى واحد على سبيل الحقيقة والقرينة هى التى تعين المراد بالاستعمال . ومنهم من جعل النهى من قبيل الخاص الذى هو اللفظ الموضوع للدلالة على معنى واحد على سبيل الانفراد . ومن هؤلاء الحنفية اذ يرون أن صيغة النهى وضعت للدلالة على التحريم خاصة على سبيل الحقيقة ، وان استعمالها فى غير ذلك يحتاج الى قرينة ويكون استعمالا مجازيا ، والواقع أن جملة الأقوال فيمـــا تستعمل فيه صيغة النهـــى على سبيل الحقيقة أربعـــة اليـــك بيانها :



١ ــ يرى جمهور الأصوليين ان النهى حقيقة فى التحريم وضـــع لذلك خصوصا . يقول الشوكانى وهو الحق « وانه يرد فيما عدا ذلك مجـــاز » ومما ورد فيه على سبيل الحقيقة قوله تعالى : ((**ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق**)) (الأنعام ١٥١) وقوله : ((**ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشـــة وساء سبيلا ..**)) (الاسراء ٣٢) واستدلوا بأن العقـــل ينتهى عنـــد سماع صيغة النهى المجردة عن القرائن الى تحريم المنهى عنه ، وبأن السلف الصالح كانوا يستندون فى تحريم الشىء الى مجرد علمهم بالنهى عنه . وهذا القول فيما نرى أرجح الأقوال لأنه المتباد للذهن ولقلوله تعالى : ((**وما نهـــاكم عنـــه فانتهوا**)) (الحشر ٧) فهو أمر بالانتهاء يقتضى وجوبه .

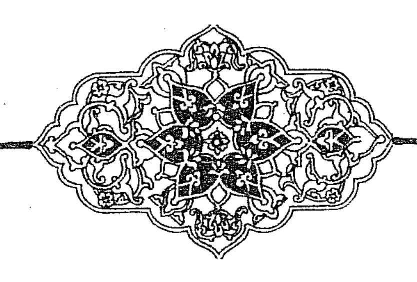
٢ ــ ويرى البعض أن صيغة النهى حقيقة فى الكراهة بخصوصها فتكون حقيقة فيها ومجازا فى غيرها واستدلوا على ذلك بأن الكراهة طلب الترك مع عدم المنع من الفعل والتحريم طلب الترك مع المنع من الفعل . ولما كان الأصل عدم المنع عن الفعل كانت الكراهة موافقة للأصل فتكون صيغة النهى وضعت لها حقيقة . ويمكن الرد على هذا الاستدلال بأن السابق الى الفهم عند التجرد من القرائن هو التحريم . والكراهة انما تستفاد بالقرينة .

٣ ــ ويرى بعض آخر أن النهى مشترك بين افادة التحريم والكراهة ، وصيغته حقيقة فى كل منهما . ويمكن رد هذا بما قلنا من ان المتبادر للذهن هو التحريم عند انعدام القرائن فانتفى الاشتراك اذ لو كان مشتركا بمعنى أن اللفظ وضع لافادة كل منهما على سبيل الحقيقة لما تبادر للذهن عند انتفاء القرينة احدهما .

ويرى آخرون أن المستفاد من دليل قطعى يكون للتحريم ، والمستفاد من دليل ظنى يكون للكراهة وهذا ما نقله الشوكانى عن بعض الحنفية ورده بأن الكلام فى مفاد طلب الترك بأصل وضع اللغة دون نظر للدليل . ويبدو لنا أن هذا الرأى لمحمد بن الحسن من فقهاء الحنفية . فهو الذى قال : ان الحكم الاقتضائى الناهى على سبيل الجزم ان كان دليله قطعيا افاد التحريم وان كان دليله ظنيا أفاد الكراهة التحريمية .

مفاد النهى بعد الاذن :

سبق أن تكلمنا فى المقال السابق عن مفاد الأمر بعد الحظر وبينا أقوال الأصوليين فيه وأن ذلك قرينة كما يرى الكثير منهم على افادة مجرد الاباحة . والمسألة هنا لا تختلف كثيرا عما قلناه هناك . فالقائلون بأن الأمر بعد الحظر يفيد الوجوب . يقولون : ان النهى بعد الاذن يفيد التحريم دون خلاف فقـــد ورد الاذن بنكاح المتعة فى غزوة خيبر ثم جاء النهى عنها بعـــد ذلك فأفاد ذلك النهى تحريم المتعـــة .



اما بالنسبة لمن قالوا : ان الأمر بعد الحظر يفيد الاباحة . فجمهورهم على أن النهى بعد الاذن يفيد التحريم . بل حكى أبو اسحق الاسفراينى الاجماع على أن ذلك لا يكون قرينة للاباحة .
وهناك من قال : ان النهى اذا كان مسبوقا بالايجاب أفاد الاباحة . وهو كلام غير مستساغ بحال . اذ كيف يستساغ أن تفهم من قوله تعالى : **« ولا تقتلوا النفس .. »** (الأنعام ١٥١) اباحة القتل . مع انه ورد الايجاب بالقتل فى قوله تعالى : **« فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم »** (التوبة ٥) .

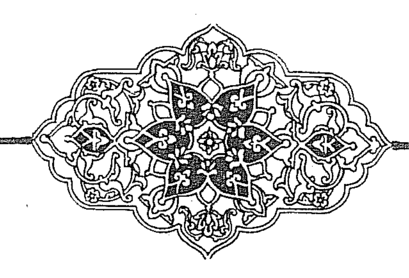
النهى واقتضاؤه التكرار والفور :

سبق أن بينا أقوال الأصوليين فى افادة الأمر التكرار والفورية فى المقال السابق . لكن النهى كما يقول الشوكانى : يخالف الأمر فى كونه يقتضى التكرار فى جميع الأزمنة وفى كونه للفور فيجب ترك الفعل فى الحال لكن البيضاوى فى المنهاج يقول : والنهى كالأمر فى التكرار والفور ، ويبين الأسنوى هذه العبارة بقوله : ان النهى حكمه حكم الأمر فى انه لا يدل على التكرار ولا على الفور ونقل عن الآمدى وابن الحاجب انهما صححا انه للتكرار والفور ، وأن البيضاوى نفسه جزم به فى موضع آخر سابق فى كتابه . ونقل عن المحصول انه المشهور ، وعن ابن برهان أنه مجمع عليه . وفى المرقاة وشرحها المرآة أن النهى يوجب دوام الترك لأن معنى (لا تضرب) مثلا . لا يصدر منك ضرب . والنكرة فى سياق النفى تعم الا اذا قامت قرينة على انتفاء الدوام مثل قوله تعالى : **« لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى »** (النساء ٤٣) .

والذى ننتهى اليه فى هذا أن النهى يدل على طلب الامتناع فورا لما فيه من مفسدة لا يقرها الشرع ، كما يدل على دوام المنع واستمراره مقاومة لما فى الفعل من مفسدة . فالنهى يقتضى انتفاء الحقيقة وذلك يكون بانتفائها فى كل الأوقات . فالفور والتكرار من مدلول صيغة النهى وضعا ما لم توجد قرينة صارفة تحدد مدة للبدء أو للانتهاء .

اقتضاء النهى فساد المنهى عنه :

من المتفق عليه أن الفعل الذى يقع موافقا للشرع لاشتماله على ما يعتبر فيه شرعا من الأركان والشروط يحكم عليه بالصحة فتترتب عليه جميع آثاره ، كما أن ما اختل فيه ركن من أركانه أو فقد شرطا من شروط صحته كان غير صحيح فلا تترتب على الفعل نفسه الآثار الشرعية ، وذلك لنهى الشرع عنه لما لحقه من خلل فى أصله أو فيما اتصل به وان كان الحنفية ينظرون الى سبب



نهى الشارع فان كان لخلل فى أصله اعتبروه باطلا فلا اعتبار له البتة ، وان كان سبب النهى أمر خارج عنه متصل به اعتبروه فاسدا وقالوا : انه وان كان غير معتبر شرعا فلا تترتب عليه نفسه آثار لأن الشارع لا يقره ويوجب نقضه غير انهم قالوا : اذا تعذر نقضه تترتب بعض الآثار الشرعية على ما هو مبين فى كتب الفقه الحنفى ، وفى كتب الأصول .

وبعد أن عرفت هذا . نقول : ان المنهى عنه قد يكون أمرا من أمور العبادات أو أمرا من أمور المعاملات ، والنهى فى العبادات قد يكون لأمر خارج لازم كالنهى عن صوم الحائض وصلاتها وقد يكون لأمر خارج غير لازم كالنهى عن الصلاة فى المكان المغتصب والثوب المغصوب والنهى عن الوضوء بالماء المغصوب والنهى فى المعاملات قد يكون ايضا لأمر خارج لازم كالنهى عن الربا وقد يكون لأمر خارج غير لازم كالنهى عن البيع وقت النداء لصلاة الجمعة، وقد كثر كلام الأصوليين فى هذا وتشعبت أقوالهـم فى اثر النهى فى المنهى عنه ، وقد توسعت كتب الحنفية خاصـة فى عرض هذا الموضـوع نظرا لتفرقتهم بين الفساد والبطلان على ما بيناه فى موضعه .

وجمهور الأصوليين على أن النهى اذا تعلق بالفعل لقبح فى ذاته كان النهى مقتضيا للفساد المرادف للبطلان عندهم .

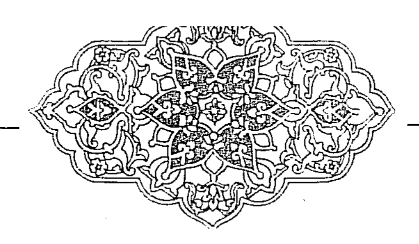
وقد نقل الشوكانى قولا بأن النهى لا يقتضى الفساد الا فى العبـادات فقط لأن العبادات المنهى عنها لو صحت لكانت مأمورا بها فيجتمع النقيضان : الأمر والنهى ، ولولا عدم اقتضائه فساد المنهى عنه فى غير العبادات لكان غسل النجاسة بماء مغصوب ، والذبح بسكين مغصوب ، والبيع وقت النداء لصلاة الجمعة وطلاق البدعة والمباشرة فى فترة الحيض غير مستتبعة آثارها من زوال النجاسة وحل الذبيحة وترتب أحكام الطلاق والملك . وهذا باطل فلزم أن النهى فى غير العبادات لا يقتضى فساد المنهى عنه .

وهناك جماعة من الشافعية والحنفية ــ كما ينقل الشوكانى أيضا .. يقولون : ان النهى لا يقتضى فساد المنهى عنه مطلقا ، عبادة كان المنهى عنه أو غيرها ، ويقول الأسنوى : انه المنقول عن إكثر الفقهاء ويقول الآمدى : انه منقول عن المحققين .

غير أن الشوكانى يقول : الحق أن كل نهى من غير فرق بين العبادات وغيرها يقتضى تحريم المنهى عنه وبطلانه وعدم ترتب اى اثر عليه لعدم اعتبار الشارع له ، الا اذا قامت قرينة خاصة تدل على اعتباره وترتب الأثر عليه .

يدل على أن النهى يقتضى فساد المنهى عنه وعدم اعتباره البتة ما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « كل أمر ليس عليه أمرنا فهو رد » اذ المنهى عنه ليس عليه أمرنا فيكون ردا ، وما كان مردودا كان باطلا . ويدل أيضـا ما روى عنه صلى الله عليه وسلم : **« اذا أمرتكم بشىء فاتوا منه ما استطعتم . واذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه »** فقد أفاد وجوب ترك المنهى عنه .

اما اذا كان النهى فى وصف اتصف بغير حق مما يعتبر أكلا لأموال



الناس بالباطل ، فجمهور الاصوليين يرون أن النهى يدل على فساد نفس الوصف دون الأصل ، فعقد الربا تبطل فيه الزيادة ، اذ هى المنهى عنها ، ومن الأصوليين من قال : ان النهى فيها يقتضى فساد الاصل أيضا فيبطل العقد كلية .

وفقهاء الحنفية يتفقون مع القائلين بأن النهى يقتضى بطلان المنهى عنه اذا كان النهى عن الشيء لقبح فى ذاته . أما اذا كان النهى لوصف اتصل به فيقولون انه فى العبادات يقتضى البطلان . أما فى المعاملات المالية فانهم رتبوا عليه درجة بين الصحة والبطلان . هى الفساد الذى هو أشبه بما يعبر عنه رجال القانون بالبطلان النسبى .

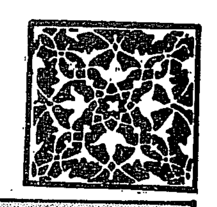
بقى ما اذا كان سبب النهى أمر خارج عن الفعل اقترن به دون أن يكون مؤثرا فى حقيقته أو فى شروطه كالصلاة فى الدار المغصوبة فان جمهور الفقهاء ومنهم الحنفية على أن التصرف صحيح وإن لحقته الكراهة خلافا للظاهرية وبعض أقوال لبعض الأئمة .

متعلق النهى :

متعلق النهى قد يكون أمرا حسيا كالكفر والزنى والقتل والغصب وهذا لم يرد الشرع باباحته فى أى ملة ولم يجعله سببا لتحقق نعمة تعود على مرتكبها كى لا يستفيد من جرمه وقد يكون متعلق النهى أمر شرعى ، وهذا يكون النهى عنه لسبب خارج عن ذاته فتثبت الحرمة لمخالفة المطلوب فقط ، ومع هذا فقد تكون سببا للنعمة فى بعض الظروف والأحوال كأكل الميتة للمضطر فان ما فيها من قبح سقط فى المخمصة . أما قبح الكفر والزنى فلا يسقط بشىء حتى قال الحنفية بالنسبة لمن اكره على الكفر : ان الرخصة له فى النطق بكلمة الكفر مع اطمئنان قلبه بالايمان رخصة مجازية لبقاء المحرم والحرمة .

وبعد فلعلك يا أخى القارىء تغفر لنا هنا ما سببناه لك من جهد ذهنى بعرض هذا الموضوع وسابقه لما فيهما من عمق ودقة ، وانما أردت ان اضع أمامك دقة الاصوليين والفقهاء وأرشدك الى طريق التعرف على الاحكام الشرعية من الأوامر والنواهى فى نصوص التشريع الاسلامى ، والله الموفق للصواب والهادى الى الرشاد .

حكم الأسرى



والرق والاسترقاق في القرآن والسنة

بقلم : الأستاذ محمد عزة دروزة

— ١ —

قرات المقال القيم للدكتور احمد الحجى الكردى فى حكم الرق والاسترقاق فى الاسلام المنشور فى عدد ذى القعدة ١٣٩٣ من مجلة الوعى الاسلامى . وفيه آراء صحيحة .

وقد رايت ان اكتب هذا المقال لاوضح جوانب اخرى من الامر ولاستدرك بعض الاستدراكات . وأرجو ان يكون فى ذلك فائدة وصواب .

— ٢ —

ان ما جاء فى مقال الدكتور الحجى من أن الاسلام لم يحرم الرق وانه لا يجوز لمسلم أن يقول انه حرام صحيح غير أن ما قاله فريق من الباحثين من ان الاسلام لم ينشىء الرق ولم يوجبه وانه كان نظاما شائعا فى العالم قبل الاسلام وكان له تأثير فى اقتصاديات البيئة العربية وان الاسلام عالجه على هذا الاعتبار واجازه ونظمه وهدف فى الوقت نفسه الى الغائه صحيح أيضا .

وكل ما جاء فى صدده فى القرآن والسنة دار فى هذا النطاق وهما فى المتناول . وكل نير واع حصيف يستطيع ان يلمح فيهما ذلك بكل شمول ووضوح . وليس من تعارض بين القول ان الاسلام لم يحرمه وبين القول انه هدف الى الغائه كما هو المتبادر كما انه ليس فى ذلك شطط لانه ملموح فيما جاء فى القرآن والسنة .

— ٣ —

ولقد كرم الله الانسان على ما جاء

فى القرآن بأساليب متنوعة . ولقد خلق الله الناس احرارا . والرق طارىء على الانسانية نتيجة ظلم القوى للضعيف والغالب للمغلوب وليس هو من تكوينها الذى يتوقف على ديمومته حياتها وليس هو أصل فى العقائد والمبادىء والاهداف الاسلامية . بل ليس فيه شىء مما هدف اليه الاسلام من عدل وحق وحرية ومساواة وكرامة ، وفيه ما حاربه الاسلام وهدف الى ازالته من ظلم ودونية وتمايز وارهاق وتسلط وحرمان . والاسلام جاء ليكون دين البشرية جمعاء وانطوى فيه الاستجابة لكل حاجة من حاجاتها وحالة من حالاتها ومشكلة من مشكلاتها بما فيه الافضل والاصلح والانفع والامثل والاعدل على المدى القريب والبعيد معا . فلا بدع أن يعالج الرق معالجة متسقة مع حالة الصدر الاسلامى الاول ثم أن يستهدف إلغاءه فى المدى القريب أو البعيد .

— ٤ —

ولقد حث القرآن على عتق الرقاب مى وقت مبكر من العهد المكى (**فلا اقتحم العقبة . وما ادراك ما العقبة . فك رقبة ..**) سورة البلد (١١ — ١٣) وحث على انفاق المال على حبه تطوعا لعتقها (**ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ...**) (البقرة ١٧٧) وجعل ذلك كفارة لليمين (**لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة ..**) (المائدة ٨٩) وكفارة الظهار (**والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا . المجادلة ٤**) وكفارة على القتل الخطأ (**وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا . فان كان من عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنه وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحريررقبة مؤمنة .**)) (**النساء ٩٢**) وحث مالكى الرقيق على قبول طلب رقيقهم بشراء أنفسهم (**والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ..** (**النور ٣٤**) وشرح النبى صلى الله عليه وسلم تحرير الاماء اللاتى يلدن من مالكيهم حال يموتون على ما جاء فى حديث رواه احمد وابن ماجه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ايما امراة ولدت من سيدها فهى معتقة دبر موته) وهذا باب واسع جدا . وحث رسول الله صلى الله عليه وسلم على العتق التطوعى فى احاديث عديدة منها ما يلى :

١ — روى الشيخان والترمذى عن سعيد بن مرجانة قال (قال لى ابو هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل اعتق امرءا مسلما استنقذ الله بكل عضو منه عضوا من النار . قال سعيد فانطلقت الى على ابن حسين فأخبرته فعمد الى عبد له قد اعطاه به عبد الله بن جعفر عشرة الآف درهم أو الف دينار فاعتقه) (١).

٢ — روى مسلم والترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (من

(١و٢) التاج ح ٢ ص ٣٥٠ و ١٤٦ وهناك احاديث صحيحة اخرى فيها ما فى هذين الحديثين انظر نفس المصدر .

اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار) (٢) .

٣ — روى الامام احمد عن البراء بن عازب قال (جاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمنى عملا يدخلنى الجنة فقال له لئن اقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة . اعتق النسمة وفك الرقبة . فقال يا رسول الله أوليستا واحدة . قال لا أن عتق النسمة أن تنفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين فى فكها) (٣) ثم بلغ الامر ذروته فى جعل تحرير الرقاب واجبا من واجبات الدولة الاسلامية وجزءا من نظامها المالى وهو ما جاء فى آية سورة التوبة هذه (**انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله .. ٦٠)** .

ففى كل هذا دلائل تدعيمية لاستنتاج هدف ازالة الغاء الرق لما فيه من دون ريب من دونية للرقيق وحرمان وارهاق وعذاب وتعارض مع كرامة الانسان وحريته ومجافاة للعدل والحق والمساواة . وطرق عملية لازالته والغائه وليس من تفسير لذلك غير هذا .

— ٥ —

ولقد نوه الدكتور الحجى فى مقاله بحسن معاملة الاسلام للرقيق ونظرته المختلفة عن نظرة غيره اليه . وقال فيما قال أن الاسر أو استرقاق الاسرى هو مدرسة لتربية الاسير وكبحه . واذا كان الدكتور يقول هذا فى معرض تبرير الرق واسترقاق الاسرى فى الاسلام وتبرير دوامهما فلا نظن أن احدا يمكن ان يوافقه عليه . فالرق واسترقاق الاسرى كانا سائدين قبل الاسلام ولم ينشئهما الاسلام حتى يكون محل لتبريرهما فضلا عن تبرير دوامهما . وانما اجازهما اجازة ونظمهما وحسب وهدف خلال ذلك الى ازالتهما بالطرق القرآنية والنبوية المتعددة مما فيه دلالة على انه كان يعتبر الرق ظلما ومجافيا لكرامة الانسان وحريته على ما شرحناه قبل .

ومعاملة الاسلام الحسنة للرق هى من طبيعة الاسلام السمحاء تجاه كل انسان اذا لم يكن فاسقا مجرما . وفى آية سورة النساء هذه شاهد على ذلك (**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا ..)**

ولقد كان الرقيق عند المسلمين فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم يتعرضون للتعذيب والارهاق والحرمان وسوء الاستغلال امتدادا لما كان عليه الامر قبل الاسلام حتى روى فيما روى أن بعضهم كان يطلب من امائه ان يؤجرن أجسادهن للزنى فيأخذ اجرتهن وان جملة (ولا **تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد أكراههن غفور رحيم)** فى آية سورة النور ٣٣ (٤) فكان ذلك مناسبة لما ورد فى صدد احسان معاملتهم فى القرآن والحديث وفى آية سورة النساء التى أوردناها آنفا شاهد قرآنى . وهذه طائفة من الاحاديث فى ذلك .

١ — روى الشيخان وأبو داوود

---

(٣) يروى هذا الحديث ابن كثير فى سياق سورة البلد .

(٤) ننبه أن هذا ما روى عن كبير المنافقين .

عن المعرور بن سويد قال مررنا بأبى ذر بالربذة وعليه برد وعلى غلامه مثله . فقلنا يا أبا ذر لو جمعت بينهما كانت حلة . فقال أنه كان بينى وبين رجل من أخوانى كلام وكانت أمه أعجمية فعيرته بها فشكانى الى النبى صلى الله عليه وسلم فلقيته فقال يا أبا ذر أنك أمرؤ فيك جاهلية قلت يا رسول الله من سب الرجال سبوا أباه وأمه . قال يا أبا ذر انك امرؤ فيك جاهلية . هم أخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فاطعموهم مما تأكلون . والبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم . فان كلفتموهم فاعينوهم . ولفظ أبى داوود انهم اخوانكم فضلكم الله عليهم فمن لا يلائمكم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله (٥) .

٢ — وروى الترمذى وأبو داوود عن ابن مسعود قال (كنت أضرب غلاما لى فسمعت صوتا من خلفى . أعلم أبا مسعود مرتين الله أقدر عليك منك عليه . فالتفت فاذا هو النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله قال أما لو لم تفعل لمستك النار) (٦) .

٣ — روى مسلم وابو داوود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته ان يعتقه) (٧) .

٤ — روى أبو داوود والترمذى عن ابن عمر قال (جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم يا رسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت فاعاد عليه الكلام فصمت فلما كان فى الثالثة قال فى كل يوم سبعين مرة) (٨) .

ولا يستطيع احد أن يدعى ان هذا الاعنات والاذلال والحرمان قد زال بعد النبى صلى الله عليه وسلم .

— ٦ —

وصفة الرق تلزم الانسان فى الاسلام اذا كان الرقيق من نسل رقيق قبل الاسلام أو استرقه ولى أمر المؤمنين بعد اسره وسبيه فى حرب شرعية بين المسلمين وبين كفار أعداء معتدين على الاسلام والمسلمين أو من نسلهم . مع التنبيه على أن الاسير يستطيع أن يمنع عن نفسه الرق اذا أسلم قبل قرار استرقاقه .

ولا يصح لولى أمر المؤمنين ومن باب أولى لاى مسلم ان يأسر ويسترق كافرا لكفره فقط أو لانه من جماعة كفار . ان لم يكونوا أعداء معتدين محاربين . فالاسلام لم يجعل للمسلمين سبيلا على الكافر المسالم المحايد كما جاء فى آية سورة النساء هذه (**الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا** .. ٩١) . وفى سورة الممتحنة هذه الآية (**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين** ٠٠ ٨) فلا يصح على هؤلاء استرقاق بالتبعية . وهذا ينسحب على الكافر الذى بينه وبين المسلمين عهد وميثاق ما دام مستقيما على عهده غير ناكث له . وفى آية النساء التى أوردناها آنفا اشارة الى ذلك وفى آية سورة التوبة هذه اشارة أخرى (**الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم . أن**

---

(٥) التاج ج ٢ ص ٢٥١ بعض هذا الحديث اورده الدكتور الحجى ولكنا رأينا أن نورده بتمامه لانه ينطوى على ما أردنا تقريره من أن الرقيق كانوا يتعرضون من بعض المسلمين فى زمن النبى للارهاق والعذاب وان الحديث كان فى هذه المناسبة .

(٦) (٧) (٨) التاج ج ٢ ص ٢٥٢ و ج ٥ ص ١١ وهناك أحاديث اخرى فاكتفينا بما تقدم .

الله يحب المتقين ٠٠ ١١) وفى القرآن والسنة نصوص عديدة توجب على المسلمين الوفاء بعهودهم . وهذا ينسحب ايضا على الكافر الخاضع للجزية لانه فى حكم المعاهد . وهكذا يكون كل بيع وشراء لبيض وسود وكل معاملة لشخص ما ابيض وأسود كعبد باطلا وحراما أن لم يكن من نسل رقيق قبل الاسلام أو مسترقا من جانب المسلمين من كفار أعداء محاربين لهم أو من نسلهم . ولا يصح لمسلم أن يشترى شخصا كافرا من كافر او مسلم قد يكون وقع فى اسر كافر واسترقه وباعه على هذا الاساس لان استرقاقه غير شرعى اسلامى .

— ٧ —

ولقد كان المصدر الاكبر للرقيق قبل الاسلام أسرى الحرب وسباياها (٩) وظل ذلك كذلك فى الاسلام . ولقد عالج الله ورسوله هذا الامر معالجة حكيمة ليس من الشطط أن يقال أنها يمكن أن تؤدى الى سد باب هذا المصدر واليك البيان :

١ — ان أول ما نزل من القرآن فى صدد الاسرى هو آيات سورة الانفال هذه (**وما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ٠ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ٠ فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله أن الله غفور رحيم ٠٠)**

وقد نزلت معاتبة للنبى لانه اخذ أسرى من قريش فى واقعة بدر فقتل بعضهم واطلق سراح معظمهم بالفداء ومن على بعض آخر فاطلق سراحهم بدون فداء . وقد نبهته الآيات الى أنه كان الاولى أن يتشدد فى قتال الكفار وان لا يهتم لاخذ أسرى منهم الا بعد أن يكون قد اثخن فيهم أى القى الرعب فى قلوبهم وجعلهم عاجزين عن القتال والعدوان . ووطد رهبة الاسلام والمسلمين فى قلوبهم . وقد أحل الله له فى الآيات ما أخذه من فدية .

٢ — ثم نزلت آية سورة محمد هذه (**فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ٠٠ ٣) ٠٠**

وواضح أنه ليس من تعارض بين آيات الانفال وهذه الآية . وكل منهما موضح ومتمم للاخرى .

وأسلوب هذه الآية تشريعى يحدد معالجة أسرى الحرب باحدى الطريقتين وفقا لما يراه المسلمون بعد أن تضع الحرب أوزارها (١٠) .

٣ — وفى سورة الاحزاب هذه

(٩ — فى سورة الانسان آية ذكر فيها الاسيرمرادفا على الارجح للعبد (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا) حيث يؤيدهذا كون الاسر هو المصدر الاكبر أن لم يكن الاوحد للاسترقاق والاية مكية اى قبل ان يكونهناك حرب اسلامية يؤسر فيها اسرى حيث يفيد هذا أن هذا المعنى لكلمة الاسير هو ما كانمفهوما قبل الاسلام .

(١٠) — اختلفت تاويلات المؤولين لهذه الجملةفمنهم من قال حتى منتهى الحرب باسلام الكفار ومنهم من قال حتى تنتهى الحرب باسلامهم أوبخضوعهم للجزية او بصلح معهم . والمن والفداء انما يكونان بالنسبة لاناس لم يسلموالان الاسلام يحررهم من الاسر فيكون المن والفداء بالنسبة لهم غير ذى موضوع . ونرجح هـذاالقول الذى فيه المرجح على القول الاول ومن الثابت ان النبى صلى الله عليه وسلم اخذ فديةمن اسرى وبقوا على دينهم ومن على أسرى وبقوا على دينهم على ما سوف ياتى ذكره بعدوفى سورة الانفال هذه الايات (يا أيها النبى قل لمن فى ايديكم من الاسرى ان يعلم اللـــهفى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم . وان يريدوا خيانتك فقدخانوا الله من قبل فامكن منهم والله عزيز حكيم) وهى تؤيد هذا القول حيث يبدو أن الاسرى أوبعضهم وعد بالمسالمة او بالتفكير بالاسلام وان الاية افترضت ان ينكثوا بما وعدوا وان يخونوا فان الى اطلقهم وهم على دينهم .

الآيات (**وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وارضا لم تطأوها وكان الله على كل شيء قديرا ٠٠ ٢٦ و ٢٧)**

والآية نزلت على ما أجمع عليه الرواة فى صدد يهود بنى قريظة الذين نقضوا عهد المسالمة مع المسلمين وظاهروا احزاب كفار العرب وقريش التى زحفت على المدينة فى جمع عظيم ليستأصلوا شأفة الاسلام والمسلمين فيها . وقد زلزل المسلمون زلزالا شديدا وزاغت أبصارهم وبلغت قلوبهم الحناجر وخامر بعضهم الظنون فى الله واسفر المنافقون والذين فى قلوبهم مرض عن موقف عدائى وكيدى شديد على ما جاء فى سلسلة آيات سورة الاحزاب (١٠ — ١٥) .

وقد روى فى صدد ما استحقه بنو قريظة من العقوبة التى ذكرت فى الايات ٢٦ و ٢٧ حديث رواه الشيخان والترمذى عن ابى سعيد قال (لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ أرسل اليه النبى صلى الله عليه وسلم وكان قريبا منه فجاء على حمار فلما دنا قال صلى الله عليه وسلم قوموا لسيدكم فجاء فجلس الى النبى فقال له ان هؤلاء نزلوا على حكمك . قال فانى احكم ان تقتل المقاتلة وان تسبى الذرية . قال لقد حكمت فيهم بحكم الله) (١١) .

والحديث يفسر كلمة تأسرون فى الآية بمعنى (تسترقون) كما هو واضح وهذا التفسير متسق مع ما ذكرناه فى الذيل التاسع من ان الاسير كان يعنى الرقيق والعبد قبل الاسلام)

٤ — وليس هناك ما يساعد على القول أى من آيات الاحزاب ومحمد نزلت قبل الاخرى . ولكن الروايات المتواترة تذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم مارس بعد آية محمد استرقاق السبى مع ممارسة المن والفداء بحيث يمكن القول أن أيا من الآيات لم تنسخ الاخرى . وان القواعد الاربع التى انطوت بالنسبة لاسرى الحرب وسباياها أى المن والفداء والقتل والاسترقاق ظلت ممارسة الى آخر حياة النبى صلى الله عليه وسلم . والروايات متواترة على انها كانت ممارسة فى عهد الخلفاء الراشدين وبعدهم .

٥ — والمتمعن فى آيات محمد والاحزاب لا بد من أن يلمح فرقا هاما فى الاسلوب والمدى . ففى آية الاحزاب حكاية لممارسة المسلمين لقاعدتى القتل والاسترقاق بدون تثريب مما ينطوى فيه اجازة ربانية لذلك . فى حين أن أسلوب آية محمد تشريعى ايجابى بالتخيير بين المن والفداء .

ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم قتل من أسرى بدر عقبة بن معيط والنضر بن الحارث لشدة اذيتهما للنبى والمسلمين وكان ذلك قبل نزول آيات الاحزاب ومحمد . ولم نطلع على خبر أو حديث يفيد أنه مارس قاعدة القتل بعد قتل بنى قريظة . وكل ما اطلعنا عليه هو ممارسة للمن والفداء واسترقاق السبى النساء والاطفال وقد استرق سبى هوازن وبنى المصطلق ويهود خيبر . ثم اطلق سبى هوازن بمشاورة وموافقة المسلمين حينما اسلم رجالهم والتمسوا من النبى اطلاق سبيهم . واطلق بعض سبى بنى

---

(١١) — انظر التاج ج ع ص ٣٧٧ وهناك حديث رواه الشيخان عن عائشة فيه هذا الخبر مع شيء من **الزيادة فيها ذكر سبى النساء مع الذرية انظر ص ٣٧٦ .**

المصطلق منا وبعضه بفداء (١٢) . بل ولم نطلع على خبر وثيق يفيد أنه مارس الاسترقاق غير ما تقدم . وكل ما اطلعنا عليه من ممارساته هو المن والفداء ومبادلة أسرى مشركين باسرى فى يد الكفار (١٣) .

٦ — ومهما يكن من أمر فالمتبادر من أسلوب آيات محمد والاحزاب هو أن آى المن أو الفداء هما القاعدتان القرآنيتان التشريعيتان الموجبتان وان القتل والاسترقاق مجازان إجازة وان ولى أمر المؤمنين يستطيع أن يكتفى بتطبيق قاعدتى المن والفداء وان لا يطبق قاعدتى القتل والاسترقاق اذا رأى ذلك من مصلحة المسلمين .

٧ — ولقد ذكر الدكتور الحجى أقوال بعض الفقهاء بكون النساء والاطفال يسترقون تلقائيا . وقد يفيد هذا عدم جواز اطلاق سراحهم بالمن والفداء والنص القرانى مطلق . وليس هناك أحاديث نبوية موجبة فيما أطلعنا عليه وان كان من المحتمل أن تكون تلك الاقوال من وحى ممارسات النبى صلى الله عليه وسلم . ولكن ممارسات النبى تنوعت نتائجها فالسبى الذى استرقه من بنى قريظة باعه واشترى به سلاحا على ما روته الروايات أو قسمه على المسلمين كما جاء فى رواية أخرى . وسبى هوازن أطلقه منا بدون فداء . وسبى المصطلق أطلقه بالفداء كما ذكرنا قبل وهناك حديث يرويه رواة الحديث من طرق عديدة . يذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم قد من على أخت عدى ابن حاتم التى كانت من جملة سبى سباه بعض سرايا الرسول صلى الله عليه وسلم (١٤) بحيث يمكن القول ان من حق ولى أمر المؤمنين أن يمن على السبى من نساء واطفال أو ان يطلقهم بفداء وان استرقاق النساء والاطفال ليس هو القاعدة الوحيدة فيهم .

واذا جاز المن والفداء بالنسبة للرجال ودون أن يسلموا على ما شرحناه سابقا واحتمال عودتهم الى العداء والحرب والخيانة وارد فان المن والفداء بالنسبة للنساء والاطفال يكون جائزا من باب أولى وهذا فضلا عن أن الاسترقاق الذى مورس فى حق النساء والاطفال والذى عبرت عنه كلمة تأسرون فى آيات الاحزاب ليس ايجابيا وانما هو مجاز اجازة وليس من شأن هذا ان يمنع ولى أمر المؤمنين من اطلاق سراحهم بالمن والفداء .

٨ — ولقد كان المصدر الاكبر للرق هو أسرى الحرب كما قلنا قبل . ومهما يكن من حق ولى أمر المؤمنين بالاسترقاق بالاضافة الى المن والفداء فان هاتين القاعدتين اللتين جاءتا بأسلوب تشريعى فى القرآن دون الاسترقاق الذى أجيز اجازة واللتين يستطيع ولى أمر المؤمنين أن يكتفى بهما تنطويان على ضربة قاضية أو شبه قاضية الى ذلك المصدر كما هو المتبادر حيث يصح للدولة الاسلامية أن تكتفى بالمن والفداء والمبادلة بدون حرج فتسد بذلك باب استرقاق الأسرى .

— ٩ —

وحينئذ يبقى الارقاء الموجودون .

---

(١٢) انظر طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٠٦ و١٦١ و ٢٠٦ .

(١٣) خذ انى فدية من اسرى بدر وهذا ينص القرآن . ومن على ثمامة بن أثال سيد الجان كما جاء فى حديث رواه الثلاثة (انظر التاج ج ع ص ٣٥٣ و ٣٥٤ وفدى رجلين من المشركين برجل من المسلمين كما جاء فى حديث رواه الترمذى (التاج ع ص ٣٥٤) .

(١٤) انظر مجمع الزوائد ج ٥ ص ٣٣٤ و٣٣٥ .

فما كان منهم شرعى الرق — أى من نسل رقيق قبل الاسلام أو استرق فى حرب شرعية أو نسل مسترق — فالطرق القرآنية والنبوية كفيلة بتحريرهم . وعلى الدولة أن تلح على مالكيهم بالتقرب الى الله بعتقهم فاذا لم يفعلوا فعليها أن تشتريهم من مالكيهم من مالها وهو من واجباتها بل وهذا هو الاولى بها وعليها . وما كان غير شرعى الرق وهؤلاء على ما نرجح هم أكثر ما يعاملون فى البلاد العربية معاملة الرق فعلى الدولة أن تحررهم أى ان تعلن أنهم أحرار رفعا للظلم والتسلط وهذا من واجبها .

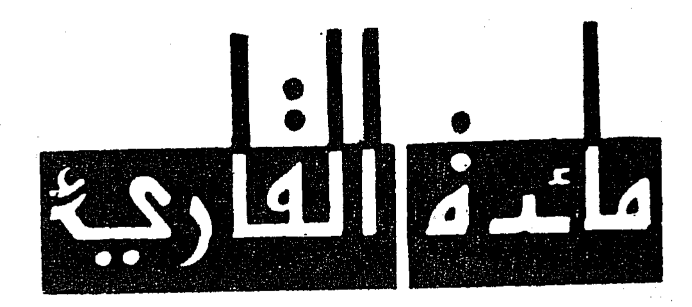
— ١٠ —

والمتدبر فى أحوال البلاد العربية والاسلامية يرى أن باب استرقاق أسرى الحرب مغلق منذ قرون عديدة فلا يتجدد أرقاء من هذا الباب . ويرى أن الارقاء القدماء من أسرى الحروب الاسلامية الاولى الذين صار يعرف أكثرهم بالمماليك أيضا هم فى طريق التصفية . وان ما يجرى من تعامل بيع وشراء لنساء وأولاد ورجال سود أو بيض هو استرقاق قسرى وتهريب وخطف على الاعم الاغلب ولا يستند الى أصل شرعى ولا يعد رقيقا ملك يمين من الوجهة الشرعية الاسلامية . وعلى هذا فلسنا نرى باسا وحرجا شرعيا فى موافقة الدول الاسلامية على الميثاق الدولى بالغاء الرق الذى هو مما هدف اليه الاسلام على ما شرحناه بل وان لها والمسلمين عامة ان يعتزوا بدينهم العظيم من أجل هذا الهدف الذى هدف اليه قبل أربعة عشر قرنا ولم تستطع الانسانية أن تجمع على هديه الا فى القرن السابق

ولسنا نرى محلا للتثريب على الدولة الاسلامية من جراء اهمالها لادخال أحكام الرق فى قوانينها الحديثة لان ذلك كاد أن يصبح غير ذى موضوع عمليا ونظريا بعد أن تحقق هدف الغاء الرق دوليا ومورس قانونيا .

ومن الوجهة الشرعية الاسلامية يمكن أن يبقى باب استرقاق اسرى الحرب مغلقا وهو فى أصله مجاز اجازة وليس واجبا شرعيا . والارقاء الشرعيون يمكن أن يصفوا بالتحرير ، بل نكاد نقول إنهم صفوا أو فى طريق التصفية فعلا والدول الاسلامية قادرة ومن واجبها إنهاء ذلك ، وغير الشرعيون يمكن أن يصفوا بالتحرير وبل نكاد نقول انهم صفوا أو فى طريق التصفية فعلا والدول الاسلامية قادرة ومن واجبها انهاء ذلك ، وغير الشرعيين تحررهم الدولة بالقانون لأن استبعادهم ظلم فى أصله وليس له أصل من شرع والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين .





« وننزل من القرآن ما هو شفـــاءورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا » . (٨٢ سورة الاسراء)

طب الإيمـــان

عن عائشـــة رضى الله عنهـــا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما ، فقرا فيهما : قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقـــل أعوذ برب الناس ، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده . يفعل ذلك ثلاث مرات .

وتقول عائشة فى رواية أخرى ، ولما اشتد وجعه كنت اقـــرأ عليـــه وأمسح بيده رجاء بركتها .

(البخارى)

معلم الصبيـــان

قال الجاحظ : مررت بمعلم صبيان وعنده عصا قصيرة ، وعصا طويلة وصولجان ، وكرة ، وطبل وبوق .
فقلت له : ما هذا ؟

فقال : عندى صغار أوباش . اقول لأحدهم : اقرأ لوحك ، فيصفر لـــى فأضربه بالعصا القصيرة ، فيتأخـــر فأضربه بالعصا الطويلة ، فيفر من بين يدى فأضع الـــكرة فى الصولجـــان واضربه فأشجه ، فيقوم الى الصغار كلهم بالألواح فأجعل الطبل فى عنقى والبوق فى فمى واضرب الطبل وانفخ فى البوق ، فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون الى ويخلصوننى منهم .

تحديـــد النســـل

يخبر رسول الله صلى الله عليهوسلم عن زمان يتنافس فيه النـــاس فى تحديد النسل فيقول : ليأتين علىالناس زمان يغبط فيه الرجل لخفـــة الحاذ كما يغبـــط اليـــوم أبو العشرة((والحاذ شجر قليل الورق)) . قال فى لسان العرب : ضربه الرســـولصلى الله عليه وســـلم مثلا لقلـــة العيال .

وحدة الأمة الاسلامية

مالك ضمها الاسلام فـــى رحم
وشيجة وحواها الشرق فى نسب

ولا أزيدك بالاســـلام معرفـــة
كل المروءة فى الاسلام والحسب

أهـــل الحديث

اهل الحديث هموا اهل النبى وان
لم يصحبوا نفسه انفاسه صحبوا

ســـبحانك

سبحانك . متى غبت حتى نحتاج الى دليل يدل عليك . ومتى بعـــدت حتى تكون الآثـــار هى التى توصـــل اليك ؟ أيكون لغيرك من الظهور مـــا ليس لك حتى يكون هو المظهر لـــك ؟ عميت عين لا تـــراك رقيبا عليهـــا وخسرت صفقة عبد لم تجعل له مـــن حبك نصيبا .

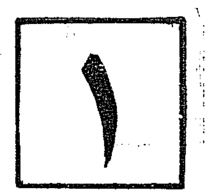
الإمام الحسين

الى المتقاعدين

لما كبر أبو الأسود الدؤلى وأســـنكان يركب الى المسجد والســـوق ، ويزور أصدقاءه فقال له رجل : يا أباالأسود أراك تكثـــر الركوب وقـــد ضعفت عن الحركة وكبرت فلو لزمتمنزلك كان أودع لك .

فقال أبو الأسود : صدقت ، ولكنالركوب يشد أعضائى ، وأسمع من أخبار الناس ما لم أسمعه فى بيتى ،وأستنشق الريح والقى اخوانى ، ولو جلست فى بيتى لاغتم أهلى وأنس بىالصبى وأجترأ على الخادم ، وكلمنى من لا يهاب كلامى لألفهـــم ايـــاىوجلوسهم عندى حتى لعل العنـــزات تبول على فلا يقول لها أحد هش .

دور المؤسسات
تعاطى المخدرات

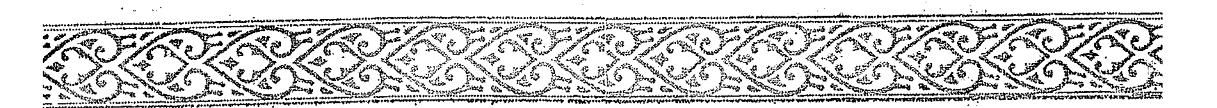


للــدكتور احمد على المجدوب

لا شك فى أهمية الدين كعامل من العوامل التى يمكن الاستعانة بها لمواجهة المظاهر المختلفة للسلوك غير السوى ، وخاصة فى مجتمع يتمسك بعقيدته ويحرص على اتباع تعاليمها فيعمل بما أمرت به وينتهى عما نهت عنه كالمجتمع الاسلامى . وبالنسبة للدور الذى يمكن ، أو بالأحرى يجب أن تلعبه المؤسسات الدينية للوقاية من ظاهرة تعاطى المخدرات والادمان عليها ، فان هذا الدور تتدخل فى تحديده عوامل كثيرة واعتبارات متعددة من بينها نوع هذه المؤسسات والمجال الذى تزاول فيه نشاطها ، والامكانيات المتاحة لها لمزاولة هذا النشاط فى المستوى الذى يحقق فعالية معينة ثم ، وهذا هو الأهم ، مدى قدرتها على مواجهة مشكلة تعاطى المخدرات فى حدود ادراكها للمشكلة ونظرتها اليها فى ظل الظروف السائدة . والمقصود بهذا هو ، هل تعتبر هذه المؤسسات تعاطى المخدرات والادمان عليها مشكلة ؟! واذا كانت تعتبرها كذلك ، فهل ترى أن للدين رأيا فيها وموقفا منها ؟ والاجابة على هذا السؤال هى فى الواقع التى ستحدد دور هذه المؤسسات فى الوقاية من ظاهرة تعاطى المخدرات والادمان عليها .

والمؤسسات الدينية فى الدول العربية لا تختلف من حيث طبيعتها عن مثيلاتها فى الدول الأخرى وان اختلفت فى الدور الذى تقوم به وهو اختلاف يرجع الى الدين الاسلامى ، وذلك بالنسبة للمؤسسات الدينية الاسلامية ، الذى يختلف عن الديانات الأخرى من حيث كونه شريعة متكاملة تتناول كافة نشاطات الانسان سواء ما كان منها خاصا بعلاقته بالله سبحانه وتعالى ! وما كان خاصا بعلاقته بالناس وهو ما يجعل لموقف هذه المؤسسات من ظاهرة تعاطى المخدرات أهمية خاصة ويمنح لموقفها السلبى مبررا ، وان بدا للوهلة الأولى مقبولا ، الا أنه فى الحقيقة ليس كذلك مما سنوضحه فى سياق هذا التقرير .

الدينية في الوقاية من ظاهرة والادمان عليها !



مفهوم المؤسسة الدينية :

لم يعد مفهوم المؤسسة الدينية بالاتساع الذى كان عليه فى السابق حيث كانت المؤسسة الدينية وبصفة خاصة المسجد ، تقوم بدور كبير وشامل فى حياة المجتمع الاسلامى ، وهو دور يستمد من الشريعة الاسلامية ذاتها التى أسلفنا أنها لا تقتصر على العبادات فقط بل تشمل المعاملات أيضا . فكان المسجد وهو المؤسسة الدينية الاولى يقوم فى الأقاليم الاسلامية كالحجاز والعراق والشام ومصر والأندلس بوظائف سياسية واجتماعية واقتصادية وعسكرية وثقافية وتعليمية فهو مكان للعبادة وللتشاور فى مختلف الأمور التى تعرض للمسلمين وهو مدرسة وجامعة ومنتدى ثقافى واجتماعى ومحكمة ففى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان المسجد النبوى فى المدينة هو المركز السياسى والادارى للمسلمين وكذلك فى عهد الخلفاء الراشدين الذين كانوا يديرون شئون الدولة الاسلامية كلها من هذا المسجد وفيه يلتقون بالولاة وسائر المسلمين ويتخذون فيه القرارات السياسية والادارية والعسكرية كما كان هذا المسجد هو المجلس النيابى الاسلامى حيث يلتقى الخلفاء الراشدون بالصحابة رضوان الله عليهم ، وبالشخصيات الاسلامية الكبيرة فيتداولون فى شئون الدولة الاسلامية .

وبعد اتساع الدولة الاسلامية أصبح المسجد الجامع ، وهو المسجد المكون من أربعة ايوانات مسقوفة ومحمولة عقودها على عمد رخامية أكبرها ايوان المحراب فى الأقطار المفتوحة هو مركز السياسة والادارة، كذلك كان للمسجد دور فى الحياة الاجتماعية للمسلمين فقد كان بمثابة النادى الاسلامى الذى يلتقون فيه بعد صلاة العشاء فيتحادثون ويتداولون فى شئونهم العامة كما كان يعقد فيه قران المسلمين . وبالاضافة الى هذا وذاك فقد كان له دور كبير فى الحياة الاقتصادية حيث اعتاد معظم الولاة فى صدر الاسلام حفظ الخزانة العامة فى المسجد . كما كانت تعقد به الصفقات التجارية على مشهد ومسمع من المسلمين وفضلا عن ذلك فقد كانت الجيوش الاسلامية فى كثير من

المدن الاسلامية تبدأ مسيرتها وزحفها من الفناء الواسع أمام المسجد . كما كان المسجد يقوم بدور الجامعة والمعهد والمدرسة ، وأدى المسجد فى صدر الاسلام وظيفة قضائية فقد اعتاد القضاة الجلوس فى الجامع الرئيسى فى كل مدينة اسلامية . وقد استمر المسجد يقوم بهذه الأدوار أو بأغلبها حتى القرن السادس عشر عندما فقد مركزه فى الحياة العامة (1) .

وأخذت وظائفه تتقلص حتى اقتصرت على العبادة فقط فلم يعد الجامع يختلف عن المسجد أو الزاوية فكلها تخصص لأداء شعائر الدين فقط ، أما الوظيفة الاجتماعية والثقافية للجامع فقد انتقلت الى الجمعيات التى انشئت لهذا الغرض وهو رعاية الناس اجتماعيا بالاضافة الى العناية بهم من الناحية الدينية فى اطار فكرة أو مذهب أو طريقة معينة . كذلك انتقلت الوظيفة التعليمية للجامع الى الجامعات والمعاهد والمدارس وتم الفصل بين العلوم الدينية وغيرها فتخصصت فى الأولى كليات ومعاهد ومدارس تقصر نشاطها على هذا النوع من العلوم . وهكذا يمكننا أن نحدد مفهوم المؤسسة الدينية فى العصر الحديث بأنها التنظيم الذى يقدم خدمة دينية للناس سواء كانت هذه الخدمة متعلقة بأداء الشعائر أو الرعاية الدينية والاجتماعية معا لأنصار فكرة ومذهب أو طريقة دينية معينة أم كانت الخدمة الدينية تتعلق بتعليم علوم الدين المختلفة .

أنواع المؤسسات الدينية :

يأتى فى مقدمة المؤسسات الدينية المسجد . واذا كانت وظائفه قد تقلصت حتى اقتصرت على أداء الشعائر فقط الا انه يمكن القول أن الدور الذى يلعبه فى حياة المسلمين لم يفقد كل أهميته وهى الأهمية المستمدة من الطبيعة الجماعية للشعائر الدينية فى الاسلام حيث يتيح التجمع فى المسجد أو الزاوية للناس فرصة التشاور والحديث والنقاش فى مختلف الأمور سواء فيما بينهم أو فيما بينهم وبين امام المسجد ورجال الدين بصفة عامة الذين يلتقون بهم أثناء الصلاة . فيستفتونهم فى أمور دينهم ودنياهم ، كذلك هناك صلاة الجمعة التى تلقى فيها خطبة الجمعة ويتناول فيها الخطيب المشكلات التى تواجه المسلمين ، وعن هذا الطريق يمكن للمسجد أن يتصل بظاهرة التعاطى ويبدى رأيه فيها وهو بلا شك رأى له قيمته وأهميته وخطورته باعتباره معبرا عن وجهة نظر الدين الاسلامى .

أما النوع الثانى من المؤسسات الدينية فهو الجمعيات والروابط الدينية التى تشمل برعايتها الروحية فئات من الناس سواء بحسب السن كجمعية الشبان المسلمين أو بحسب المذهب كجمعية أنصار السنة المحمدية والجماعات الصوفية وغيرها من الجمعيات الخاصة بالطرق المختلفة ويبلغ عدد الجمعيات ذات الغرض الدينى فى جمهورية مصر العربية ١٥٧٣ جمعية موزعة على جميع انحاء الجمهورية من اجمالى الجمعيات المشهرة والقائمة سنة ١٩٧٠ والبالغ٥٥٣٢ جمعية أى بنسبة ٢٨٫٤٪ بالاضافة الى الجمعيات الخيرية التى تؤدى خدمات دينية ويبلغ عددها ٢١٤٠ جمعية أى بنسبة ٣٨٪ وهذه الجمعيات وتلك تضم

(1) الدكتور على حسنى الخربوطلى ــ الجامع والحياة العامة ــ منبر الاسلام ــ عدد ٤ ــ سنة ١٩٢٩ ص ١٦٢ .

مئات من الألوف من الأعضاء . بل ان الطرق الصوفية وحدها يتجاوز عدد أعضائها المليون وربما اضعاف ذلك وهو أمر لا يمكن تحديده نظرا لعدم وجود احصاءات فى هذا الموضوع .

والنوع الثالث من المؤسسات الدينية هو نظام التعليم الدينى الذى يهيمن عليه الأزهر بجامعته وكلياته ومعاهده ومدارسه المنتشرة فى جميع انحاء البلاد . التى تقدم تعليما دينيا الى مئات الألوف من المواطنين من الجنسين فى مختلف فئات العمر موزعين على مراحل التعليم المختلفة. والملاحظ أن التعليم الدينى فى المراحل العليا قد تطور تطورا هاما وملحوظا أدى الى الجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا والفصل السابق لم يكن قائما فى العصور الأولى للاسلام وانما حدث فى عصور الظلام نتيجة التخلف العلمى والحضارى للمسلمين الذى فرضته عليهم الهجمات البربرية والحروب الصليبية التى لا تزال مستمرة حتى اليوم .

دور المؤسسات الدينية فى الوقاية من الظاهرة :

هذه هى المؤسسات الدينية القائمة اليوم ، فما هو الدور الذى يمكن ان تقوم به للوقاية من ظاهرة تعاطى المخدرات والادمان عليها ؟

الواقع أن المؤسسات الدينية الاسلامية لم تقم حتى الآن بأى دور فى الوقاية من ظاهرة تعاطى المخدرات والادمان عليها وربما سيظل هذا هو موقفها الى وقت طويل قادم . وذلك يرجع الى سببين هامين أولهما الشريعة الاسلامية ذاتها وثانيهما الأوضاع القانونية القائمة فى مجتمعنا .

السبب الأول : ـــ

وفيما يتعلق بالسبب الأول وهو الذى يرجع الى الشريعة الاسلامية فان هذه الشريعة كما أسلفنا وكما هو معلوم للجميع ليست شعائر وطقوس دينية فحسب وليست دعوة الى الاخاء والمحبة والتسامح فقط وبوضوح أكثر فهى ليست نصائح تزجى أو ارشادات وتعليمات خلقية تساق وانما هى دين ودنيا معا تنظم كافة جوانب الحياة الانسانية وتحدد المباح وغير المباح والمأمور به والمنهى عنه وتفرض عقوبات لمن يخرج عن هذا التحديد بعضها دنيوى وبعضها أخروى . واذا جاز للمؤسسات الدينية أو بالأحرى للمشرفين عليها أن يوجهوا النصح بشأن بعض الاوضاع أو المواقف إعمالا لمبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كأن ينصحوا بعدم المبالغة فى التزين او ارتداء الثياب البالغة القصر أو ترديد الأغانى الهابطة او عرض الأفلام الجنسية الفاضحة فان ذلك لا يجوز بالنسبة لتعاطى المخدرات والادمان عليها حيث لا يجدى النصح ولا يفيد التوجيه وهو ما سنوضحه فيما يلى .

اما السبب الثانى : ـــ

فى عدم قيام المؤسسات الدينية بدورها فيرجع الى الأوضاع القانونية القائمة . فالقانون الوضعى لا يعاقب على شرب الخمر بالرغم من أمرين ، الأول أن ضررها لا يقل بل ربما يزيد عن ضرر المخدرات والثانى أن الشريعة الاسلامية قد نهت عنها نهيا صريحا ، وعاقبت شاربها عقابا صارما ولكن القانون الوضعى لم يتبع الشريعة فى ذلك وترك شرب الخمر بلا عقاب بالمرة فكيف نريد من امام المسجد أن يطالب الناس بعدم

تعاطى المخدرات ويسكت عن المطالبة بتحريم الخمر ومعاقبة شاربها وهو الذى يقرأ عليهم قول الله سبحانه وتعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون**)) (المائدة ٩٠ و ٩١) وبالرغم مما أسفرت عنه كافة البحوث التى أجريت بقصد التعرف على عوامل الانحراف بصفة عامة وجناح الأحداث بصفة خاصة من أن الخمر قد لعبت دورا خطيرا فى عمليتى الانحراف والجناح على السواء .

كذلك ترتب على تفشى عادة شرب الخمر والادمان عليها ارتفاع هائل فى نسبة الجرائم غير العمدية وخاصة الجرائم الناشئة عن قيادة السيارات واصابات العمل وغيرها مما دفع بدولة كالاتحاد السوفيتى الى اصدار قانون يحرم بيع وتعاطى خمور تزيد نسبة الكحول فيها على ٣٠٪ ، بل وصل الامر الى معاقبة من يحرض الشباب دون السابعة عشرة على تعاطى الخمور باعتباره مرتكبا لجريمة عقوبتها الأشغال الشاقة . كذلك لجأت السلطات السوفيتية الى معاقبة السائقين الذين ثبت انهم من مدمنى الخمر بسحب رخص القيادة منهم وبلغ عددهم خلال مدة وجيزة لا تزيد عن بضعة أسابيع ١٩١٠ سائق .

ولا زالت المجتمعات الأخرى تكتشف — يوما بعد يوم — مضار الخمر وتتخذ الاجراءات الكفيلة بالحد من انتشارها والتخفيف من مضارها .

إن ذلك اذا حدث فلن يؤدى الى امتناع الناس عن تعاطى المخدرات وإنما سيؤدى الى فقدهم الثقة فى المتحدث اليهم وعدم تصديقهم له لأن ما يقوله لا يتفق مع المنطق فضلا عن تعارضه أو تجاهله للدين وما قضى به . والملاحظ أنه بالرغم من أن الكثير من أحكام الشريعة الاسلامية لم تستوح عند سن القوانين الوضعية وبخاصة قانون العقوبات الا أن الناس لا تزال تراعى تلك الأحكام فى الكثير من تصرفاتها وتحرص بقدر الامكان على أن يكون سلوكها متلائما معها حتى ولو كان ذلك يتعارض مع القانون الوضعى ، من ذلك اصرارهم على الثأر من القاتل باعتبار ذلك هو القصاص الذى أمر الله به ولعلمهم أن اعدام القاتل لن يتحقق عن طريق المحاكمة القانونية وهو ما يرونه متعارضا مع أحكام الشرع . هذا فى مجال التحريم والعقاب على إتيان المحرم وهو القتل أما فى مجال الاباحة فالمثال هو تعاطى المخدرات فرغم تحريم القانون الوضعى له وتوقيعه أقسى العقوبات على من يتجر فيها أو يتعاطاها ، إلا أنهم يفهمون خطأ أن الشريعة الاسلامية لم تحرم المخدرات وانما حرمت الخمر فقط ولذلك لا يأبهون كثيرا بتحريم الشارع للمخدرات ويتجرون فيها ويتعاطونها وهم مطمئنون الى أن ما يفعلونه ليس محرما .

وبغض النظر عن صحة هذا الاعتقاد أو عدم صحته فان الناس بصفة عامة ليسوا على دراية كافية وأحيانا ليسوا على دراية بالمرة بأمور دينهم وخاصة ما يتعلق منها بالمعاملات والأجزية وما هو محرم وما هو مباح وانما يستقون هذه المعلومات من المؤسسات الدينية التى يتعاملون معها سواء أكانت مسجدا أم جمعية دينية أم معهدا دينيا وهى المؤسسات التى تتكلم باسم الدين وتتعامل مع الناس بشأنه . وعن طريق

المؤسسات يعرف الناس أن الأصل فى الأشياء والأفعال الاباحة ولما كانت المخدرات لم يرد بتحريم تعاطيها والاتجار فيها نص صريح أو ضمنى فان هذا الفعل أو ذاك يعتبر مباحا .

ويوجد عدد كبير ممن يشرفون على الجمعيات الدينية لا يؤمنون الا بالتحريمات التى وردت بالقرآن أو بالسنة بنص صريح وقاطع كتحريم الخمر والزنا والسرقة والقذف والقتل وعموما الحدود والقصاص ولما كانت المخدرات ليست مما ورد بشأنه نص لا فى القرآن ولا فى السنة فانهم لا يقولون بتحريمها ، وهم معذورون فى ذلك لأنهم — فى الغالب لم يدرسوا الفقه الاسلامى دراسة شاملة ومتعمقة لكى يعرفوا أن هناك بالاضافة الى القرآن الكريم والسنة النبوية مصادر أخرى للتشريع كالاجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع وغيرها استقر الرأى بشأنها وأصبحت مصادر ثابتة للأحكام ثبتت أصالتها بالكتاب والسنة ، فيجب أن يعرف هؤلاء المشرفون على المؤسسات الدينية بصفة عامة أنه كما توجد فى الشريعة جرائم الحدود وجرائم القصاص توجد كذلك جرائم التعزير وهى بطبيعتها غير محدودة ، فقد نصت الشريعة على بعضها ، وتركت لأولى الأمر النص على البعض الآخر وهو القسم الأكبر من جرائم التعازير .

إلا أن الشريعة لم تترك لأولى الأمر الحرية فى النص على هذه الجرائم ، بل أوجبت أن يكون التحريم بحسب ما تقتضيه حال الجماعة وتنظيمها وللدفاع عن صوالحها ونظامها العام ، وأن لا يكون مخالفا لنصوص الشريعة ومبادئها العامة .

وقد قصدت الشريعة من اعطاء أولى الأمر حق التشريع فى هذه الحدود تمكينهم من تنظيم الجماعة وتوجيهها الوجهات الصحيحة ، فمراعاة المصالح من عمد التشريع الاسلامى . وقد علل الشارع الأحكام ليرشدنا الى أن الحكم يتبع علته وجودا وعدما . كذلك فان القرآن الكريم لم يلجأ الى تفصيل أحكام المعاملات المالية والجنائية والمدنية والدولية والدستورية وغيرها مما يختلف فى بيئة عنه فى الأخرى ، ويتغير بتغير الأزمنة ، ويتأثر بمختلف المؤثرات ، لاتاحة الفرصة أمام ولاة الأمر والعلماء والمجتهدين فى أى عصر من العصور ليضعوا قوانينهم بما يحقق مصالح الناس مع التزام الأسس العامة للشريعة الاسلامية وعدم الخروج على نص من نصوصها القطعية .

وهكذا تبين لنا أن قيام المؤسسات الدينية بدور فى الوقاية من ظاهرة تعاطى المخدرات والادمان عليها يتوقف على أمرين : أولهما ، تمهيد الطريق أمام الشريعة الاسلامية حتى تقوم بدورها الهام والخطير فى حياة الناس باعتبارها تشريعا فضلا عن كونها دينا وثانيهما ، القضاء على التناقض بين الشريعة الاسلامية والقانون الوضعى بحيث لا تحرم الشريعة عملا يبيحه القانون الوضعى كتحريمها شرب الخمر واباحة القانون الوضعى له وهو ما يحول دون قيام المؤسسات الدينية بدور فى الوقاية من ظاهرة تعاطى المخدرات لأن الأجدر بها أن تقوم بدور الوقاية من ظاهرة شرب الخمر والادمان عليها استجابة لأمر الله أولا ثم بعد ذلك تقوم بدورها فى الوقاية من ظاهرة تعاطى المخدرات والادمان عليها وهو ما يقضى به المنطق ويفرضه العقل .

(للبحث بقية)



تمثل بيوت الله صفحة خالدة من حضارة تونس الاسلامية المجيدة وقد اقبلت الحكومة منذ الاستقلال على اقامة المساجد الجديدة وترميم المساجد القديمة والاعتناء بها ، وقد أغدقت الأموال الطائلة فى العناية والاهتمام بالجوامع والمساجد مثابرة على تركيز الدين الاسلامى الحنيف ومحافظة على التراث الحضارى الاسلامى العريق وتقديرا لأهمية الجانب الروحى للانسان التونسى ورغبة فى أن تكون بيوت الله فى مظهر يليق بالاسلام والمسلمين .

وأنفقت ادارة الشعائر الدينية خلال السنوات الثلاث الاخيرة ما لا يقل عن ٦٠٠ ألف دينار فى سبيل ترميم عدة جوامع بتونس ، ولعل ارتفاع النفقات بهذه الصورة يقيم الدليل على مدى ما لقيته بيوت الله من اعتناء من طرف الحكومة التونسية ، تلك البيوت التى تخلد التراث الحضارى الاسلامى وهو تراث مجيد أصيل يشهد على نبوغ أجدادنا فى ميدان الفن المعمارى .

وانطلاقا من مبدأ احياء التراث جندت ادارة المعالم الأثرية كل الطاقات الأدبية والمالية لبعث الروح من جديد فى هذا القسم من تاريخ تونس ، وذلك بوازع المحافظة على التسلسل الزمنى والربط بين الماضى والحاضر والعمل على ابراز الشخصية العربية الاسلامية الصميمة فجندت الادارة اخصائيين فى فن النقش على الخشب وفى ميدان الآثار ووضعت تحت تصرفهم وسائل علمية عصرية لمقاومة تداعى خشب الأبواب والسقوف .

ومن أهم الجوامع التى نالت الحظ الأوفر من العناية ترميما واحياء جامع « عقبة بن نافع » بالقيروان ، وجامع « الزيتونة » وجامع « سيدى محرز » وجامع « صاحب الطابع » بالعاصمة وجامع « المهدية الفاطمى » .

ولا شك أن لكل جامع من هذه الجوامع طابعه الخاص الذى يجسم مظاهر الفن المعمارى الذى أتسم به العصر الذى شيد فيه .

فالفاحص للجوامع والمساجد بتونس يلاحظ مثلا أن الجوامع الحنفية تتميز بشكل مآذنها المستديرة أو المثمنة بينما المساجد والجوامع المالكية تتميز بشكل مآذنها المربعة مثل ما نجده بجامع الزيتونة وجامع عقبة .

فيعتبر جامع عقبة بن نافع أول مسجد بافريقيا ، وقد شيد سنة ٥٧ هجرية من طرف الفاتح الكبير عقبة ابن نافع ثم أعيد بناؤه من قبل ابراهيم ابن الأغلب أمير افريقية فى عهد العباسيين فى بداية القرن الثالث للهجرة ، وهو يحتوى على زخارف فنية غاية فى الجودة .

وجامع القيروان مثال وقع حذوه لبناء جامع القرويين بفاس (المغرب)

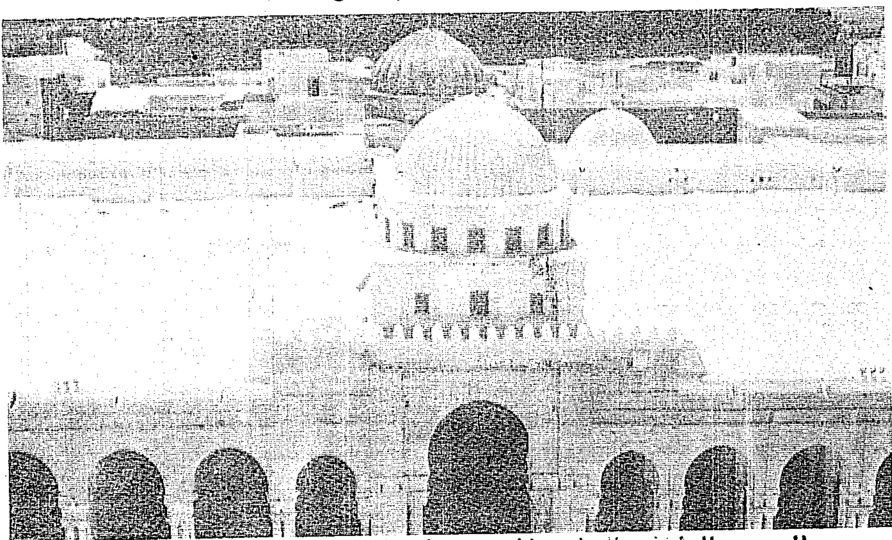
بيوت الله بتونس

التي يرتكز عليها بناء قرية جديدة بجانب المدرسة والسوق والمستوصف وقد جهزت كلها بالنور الكهربي وبمضخمات الصوت ولعل أروع تحفة من هذه المساجد الحديثة مسجد الرئيس الحبيب بورقيبة بمدينة المنستير .

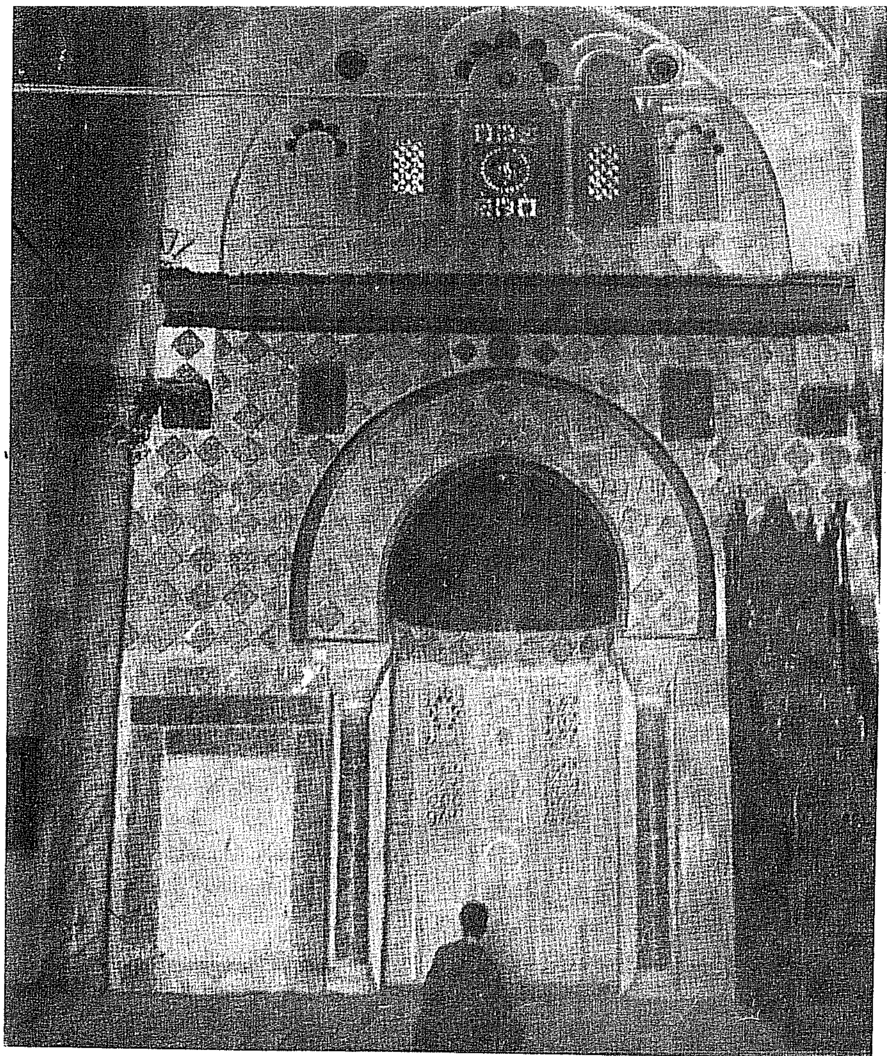
وقد ساهم المواطنون التونسيون بقسط كبير في بناء هذه المساجد ، كما ساهمت المؤسسات المشرفة على النواحي الدينية في هذا المجهود بالاضافة الى ما يبذله الخواص من وضع امكانياتهم الخاصة في سبيل بناء المساجد . .

وتجاوزت عناية تونس ببيوت الله حدود البلاد لتعم بلدانا اسلامية أخرى من ذلك أن فريقا من الفنيين الاختصاصيين تحول سنة ١٩٦٥م الى المملكة العربية السعودية حيث ساهم في أشغال ترميم مسجد « قبا » وهو أول مسجد اسلامي شيده الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قرب المدينة .

كما ساهم رئيس الدولة التونسية بمقدار خمسة آلاف دينار لتزويق جامع داكار بالسينغال ، وكذلك بنفس المقدار في سبيل تشييد محراب جامع « ياموسوغرو » في ساحل العاج بافريقيا وقد صنع منبر هذا الجامع في مركز الصناعات التقليدية بتونس .



الصحن الداخلي للجامع المغطى بالرخام وبجواره عدة قباب . .



المحراب الذى بناه أبو العباس محمد بن الأغلب امام محراب عقبة بن نافع .

حكموا تونس قد زار تونس مرارا فى السنوات الاخيرة مبديا أشد العناية بالآثار الفاطمية وعزم على اقامة مكتبة بجامع المهدية المذكور يجمع فيه كل تراث الفاطميين .

واذا انتقلنا الى جامع « سيدى البشير » بالعاصمة نجده حفصى العهد أنشىء فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى وتم اصلاحه فى عهد الاستقلال .

وان اهتم العثمانيون الذين خلصوا تونس من أيدى الاسبان ببناء التحصينات حتى يتم لهم الدفاع عن أمن البلاد فهم لم يهملوا قط الركن الدينى اذ شيدت فى عهدهم المساجد والجوامع العديدة سواء كانت بمساعدة الدولة أم بالمجهودات والتمويلات الخاصة من أبناء البلد .

ومن أهم جوامعهم جامع صاحب الطابع — أى وزير العدل — وجامع حمودة باشا المرادى . والملاحظ أن تسعين بالمائة من عقود الزواج بالعاصمة التونسية تعقد بجامع حمودة باشا تيمنا وتبركا .

ولم تقتصر مجهودات الحكومة التونسية على احياء التراث الاسلامى العتيق بل ساهمت بقسط وافر فى تشييد مساجد جديدة فبنيت المساجد فى كل مدينة وفى كل قرية وفى الريف وكان المسجد من العناصر الاساسية

الذى بناه جماعة جاءوا من مدينـــة القيروان .

أما جامع الزيتونة بالعاصمة فقـد شيد على يد حسان بن النعمان فـى أواخر القرن الاول للهجرة ثم أعيـد بناؤه من جديد سنة ٢٥٠ هجريـة ، ولعل أروع ما يمتاز به هذا المسجد قبة المحراب ، والمنبر ، وقبة البهـو وقد تم ترميمه تبعا لمراحل عديـدة فأبرزت معالمه الأثرية والفنيـة .. ويعتبر جامع الزيتونة أول جامعـة اسلامية فى العالم الاسلامى سبـق جامع الأزهر فى هذا الميدان ..

أما جامع المهديـة وهى بلدة فـى الساحل التونسى والتى كانت عاصمة الفاطميين فقد بنى فى أوائل القـرن الرابع ، وعلى غراره بنى جوهـر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى جامع الأزهر عندما فتح مصر سنـة ٣٥٨هـ وبنى فيها القاهرة التى انتقـل اليها المعز لدين الله سنة ٣٦١ هـ .

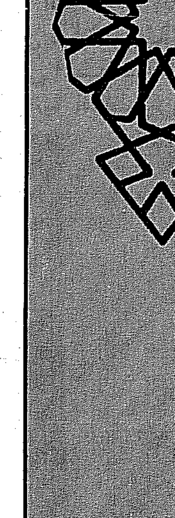
ومما يذكر أن سلطان طائفة البهرة الذين ينتمون الى المـذهب الشـيعى وهو نفس مذهب الفاطميين الذيـن



جانب خارجى من جامع الزيتونة

التركستان

بين الظلم والنسيان



للأستاذ عبد ألقادر طاش التركستاني

أصيب العالم الإســـلامى فى الفترة الاخيرة من تاريخه بجراح كثيرة عميقة الغور بالغة التأثير ، ففى الاندلس كان جرح وفى زنجبار كان جرح وفى أرتيريا كان جرح وفى فلسطين كان جرح وهناك فى قلب آســـيا فى تركستان الشهيرة كان جرح ، ولا زالت الدماء تنزف من تلك الجراح بغزارة وكلما نزلت قطرة منها تلفتت من حولها مستغيثة مســـتنجدة عسى أن يتألم لألمها المسلمون ولكن القوم فى شغل عنها قد رضوا بالحياة الدنيا وزخرفها ولم يعد يسرى فى أرواحهم ما كان يسرى فى أرواح المؤمنين الصادقين الذين وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر . وقد أدى هذا التبلد العاطفى فى المسلمين الى ان تتكالب عليهم الأمم ويكيد لعقيدتهم الكائدون ويطمع فى خيراتهم الطامعون .

ولكن نفحة من أمل مشرق أصـــابت قلوبنا — فى الآونة الاخيرة — عندما انطلقت دعوات مخلصة تدعو الى ان يتحرك المسلمون لتحقيق التضامن والتآزر والتلاحم فيما بينهم . وفى الحق أن هذا التضامن الاسلامى هو بداية الطريق للوصول الى الصورة الفذة الرائعة التى رسمها الرسول صلى الله عليه وسلم للمؤمنين فى حديثه المتقدم .

ولا يخامرنى شك فى انه يجب علينا — معشر المسلمين — ونحن فى مرحلة الصحوة الاسلامية أن نتلمس جراحنا ونتعرف على أحوال اخواننا الذين يعيشون فى المناطق الجريحة من وطننا الاسلامى الكبير حتى نستطيع مساعدتهم ومد يد النصرة لهم .. وهذا حديث عن التركستان المســـلمة الشهيرة وعن أحوال المسلمين فيها وما يلاقونه من ارهاب .

تركستان الكبرى :

تركستان : كلمة فارسية مؤلفة من ترك : وهو شعب آسيوى قديم نشأ فى سهول سيبريا وجبال آلتاى . وستان : معناها محل أو أرض أو بلاد . فتركستان معناها : بلاد الترك وبذلك يمكن أن تطلق هذه التســـمية على كل قطر يسكنه الشعب التركى ولكنها فى اصـــطلاح جغرافى تاريخى أصبحت علما على المناطق التى تحدها سيبريا شمالا وايديل أورال وبحـــر الخزر — قزوين حاليا — غربا ومنغوليا والصين شرقا وايران وأفغانستان وكشمير والتبت جنوبا .

وكلمة تركســـــتان استعملت أول مرة — كما يقول زكى وليدى — من طرف الايرانيين الساسانيين للبلاد التابعة لدولة (كوك تورك لر) . ويقول ياقوت الحموى فى معجم البلدان : تركستان اسم جامع لجميع بلاد الترك وحدهم الصين والتبت والخزلج والـــكيماك ، ولقد أطلق المؤرخون والجغرافيون — بعد الاسلام — على تركستان اسم بلاد ما وراء النهر .

ذكر ابن الأثير فى الكامل أن بلاد التركستان وهى كاشغر وبلاساغون — آلما آتا حاليا — وختن وطراز وغيرها مما يجاورها : من بلاد ما وراء النهر .

ومساحة التركستان تبلغ ٤١٨ر٥٨٠ر٥ كم٢ ويبلغ عدد سكانها حوالى أربعين مليون نسمة أكثرهم من المسلمين(١) .

وتركستان بلاد عريقة في الحضارة . ويمتاز أهلها بالكثير من الصفات الحميدة كالشجاعة والفروسية والأنفة وشدة تمسكهم بعقيدتهم وتفانيهم فى الذود عن حريتهم وكرامتهم . يقول ياقوت فى معجم البلدان « وأهلها — يقصد بلاد ما وراء النهر — يرجعون الى رغبة فى الخير والسخاء وسماحة بما ملكت أيديهم مع شدة وشوكة ومنعة وبأس وعدة وآلة وسلاح » .

ولقد ابتدأ نور الاسلام يشع فى التركستان بعد أن فتح القائد المسلم قتيبة بن مسلم سمرقند سنة ٨٦ هـ فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان(٢) وفتح كاشغر بالتركستان الشرقية سنة ٩٦ هـ .

ولقد كان ابتهاج التركستانيين بالاسلام عظيما وكان اخلاصهم له كبيرا ولذلك فقد اتخذوا الحروف العربية حروفا رسمية فى لغتهم — ولا تزال هذه الحروف فى اللغة التركستانية حتى اليوم — ولم يقف الامر عند هذا الحد بل كانت المحاكم والدوائر الحكومية تعطى الاولوية للوثائق المكتوبة بالعربية وكانت النقود تكتب عليها « ضرب فى سمرقند أو كاشغر ونحو ذلك »(٣) .

ونبغ من أبناء التركستان علماء أفذاذ « كالبخارى ومسلم والطبرى وابن سينا والغزالى والزمخشرى وغيرهم»(٤) . والتركستان مقسمة الى قسمين : شرقية وغربية . وسأتحدث في هذه السطور عن التركستان الشرقية فقط حتى يتسع بنا الحديث ثم لأن القسم الشرقى لم يعط العناية اللائقة بخلاف القسم الغربى منها .

التركستان الشرقية :

● **نظرة عامة :** تبلغ مساحة القسم الشرقى من تركستان ٧٤٥ر٧١٠ر١ كم٢ ويبلغ عدد السكان ثمانية ملايين نسمة(٥) وقيل : أربعة ملايين وقيل : ستة الى غير ذلك(٦) . وتحتل التركستان الشرقية موقعا استراتيجيا بين سيبريا ومنغوليا والصين والتبت والهند وكشمير . وقد كانت منذ القديم صلة الوصل بين الشرق والغرب(٧) . ويزرع فيها القمح والقطن والحبوب والخضروات والفاكهة ، ومن الثروات المعدنية التى تحتضنها أرضها البكر : الفحم الحجرى والبترول والتنفستن والرصاص واليورانيوم والزئبق . ولا يزال الجانب الاكبر من هذه الثروات مخبوءا لم يكتشف بعد(٨) .

● **الاحتلال الشيوعى :** عاشت التركستان الشرقية فى صراع مرير ودائم مع الاستعمار الروسى والصينى منذ أقدم العصور وكافح التركستانيون فى سبيل حريتهم وكرامتهم كفاحا كبيرا « حتى بلغ عدد قتلاهم فى فترة من الفترات المليون قتيل كما هو مسجل فى بعض الاوراق الرسمية التى عثر عليها فى بكين عاصمة الصين »(٩) .

وحتى لا يطول بنا المقام نقفز تفاصيل ذلك الصراع ونصل الى عام ١٩٤٩ م عندما سقطت التركستان الشرقية فى أيدى الشيوعيين الصينيين .

ولقد قام التركستانيون بمعارضة الاحتلال الصينى الغاشم معارضة شديدة وقاموا بحركات مضادة مما ادى الى أن يشدد الشيوعيون من قبضتهم الارهابية على تركستان وأن يفصلوها عن العالم الخارجى بسياج حديدى رهيب . ولكن لماذا حرص الشيوعيون على احتلال التركستان الشرقية وتشديد القبضة الارهابية على شعبها المسلم .. ؟ لعلنا نستطيع تلخيص الاسباب التى دفعت الشيوعيين الى احتلال التركستان الشرقية فيما يلى :

١ ــ ان سكان التركستان الشرقية مسلمون . والاسلام بمبادئه وأهدافه يتعارض مع النظام الشيوعى تعارضا كليا ولذلك فلا بد من القضاء عليه وعلى معتنقيه حتى لا يشكلوا خطرا على نظامهم .

٢ ــ الطمع فى استغلال وامتصاص خيرات التركستان وخصوصا الثروات المعدنية والتى ذكرنا بعضا منها فيما سبق .

٣ ــ متاخمة التركستان الشرقية للحدود الروسية مما يجعلها ذات موقع استراتيجى فى خارطة الصراع بين الصين والاتحاد السوفيتى .

٤ ــ يدعى الشيوعيون أن التركستان جزء من الارض الصينية وانها كانت تدعى فى تاريخ الصين والعالم (شييو) والواقع يكذب ذلك الادعاء فان التركستانيين وجدوا فى الارض التركستانية منذ أقدم العصور وهم أقوام لا يمتون الى العنصر الصينى بأية صلة اطلاقا . وقد اعترف بذلك كثير من القادة الصينيين ووردت التركستان فى كثير من المؤلفات التاريخية الرسمية للصين على أنها بلد أجنبى وليست من الصين(١٠) .

٥ ــ الانتقام من الشعب التركستانى الثائر الذى كلف الصينيين خسائر فادحة وسبب لهم كثيرا من المتاعب والمشاق خلال صراعهم الطويل معهم حتى قيل : « ان ثوراتهم جاوزت الخمسين ثورة »(١١) .

مسخ التركستان الشرقية لتحويلها الى مقاطعة صينيه :

عمل الشيوعيون على مسخ تاريخ تركستان وتغيير أسماء المدن فيها لتحويلها الى مقاطعة صينية وقد اتخذوا للوصول الى هدفهم الخطوات التالية :

١ ــ تغيير اسم التركستان الشرقية الى (سنكيانج) وهو اسم صينى معناه المستملكة الجديدة(١٢) وأطلقوا على التركستانيين لقب (تشانتو) ومعناه الرجل المعصب راسه لأنهم كانوا يلبسون العمائم(١٣) .

٢ ــ تغيير أسماء المدن فى تركستان واستبدالها بأسماء صينية فقد استبدلوا كاشغر بشولى وياركند بسوتش وأورمجى بيهوا وختن بهوتى اين وطورفان بطولوفان وغير ذلك(١٤) .

٣ ــ جلب الصينيين الى تركستان واسكانهم بها وقد بلغ عدد الصينيين الجدد فى خلال سبع سنوات مليونى نسمة(١٥) وقد أجبر التركستانيون على مصاهرة الصينيين وتزويجهم بناتهم حتى يصل الصينيون الى هدفهم من مسخ تركستان وطمس قوميتها

مظاهر القضاء على الدين الاسلامى :

الاسلام هو العدو الأول والأعظم للشيوعية ولذلك فقد جهد الشيوعيون للقضاء على هذا الدين وطمس معالمه ومحو آثاره من قلوب المسلمين فى التركستان الشرقية وتجلت مظاهر القضاء على الاسلام فيما يلى :

١ — احراق نسخ القرآن الكريم والكتب الدينية الاخرى التى عثروا عليها وحظر اقتنائها .
٢ — اصدار نسخة محرفة من القرآن فى محاولة لايجاد أوجه شبه بين الاسلام والشيوعية وتوزيعها على الطلاب المسلمين .
٣ — اغلاق المساجد والمدارس الدينية ويقدر عدد المساجد التى اغلقوها أو حولوها الى ملاه واسطبلات .. !! بـ ٢٢ الف مسجد وعدد المدارس بـ ٢٦ الف مدرسة .
٤ — منع التكلم باللغة العربية أو تدريسها .
٥ — القضاء على الشعائر الدينية الاسلامية كالصلاة والزكاة والحج والختان . والغاء الاعياد الاسلامية .
٦ — اجبار المسلمين على الزواج المختلط (أى من غير المسلمين) ، وعلى تربية الخنازير واكل لحومها وارغامهم على الانضمام الى التعاونيات الشيوعية .
٧ — انشاء معاهد خاصة لنشر تعاليم (ماو) ومبادىء الشيوعية والتاريخ الصينى وزرع الالحاد فى قلوب الطلبة المسلمين .
٨ — قتل العلماء وتعذيبهم والقتل الجماعى للمخالفين للانظمة الشيوعية أو نفيهم الى مجاهل سيبريه أو سجنهم فى سجونهم الرهيبة .

أساليب الشيوعيين فى تعذيب المسلمين :

ذكرت فيما سبق بعض مظاهر القضاء على الدين الاسلامى واجتثاث الروح الاسلامية من الشعب التركستانى ولكن تلك الاعمال الاجرامية لم ترو ظمأ الشيوعيين ولم ترض شهوة العداء والحقد والانتقام التى استولت على قلوبهم المتحجرة فراحوا يتفننون فى اساليب تعذيب المسلمين فمن ذلك :

١ — دق مسامير طويلة فى الرأس حتى تصل المخ .
٢ — جعل السجين هدفا لرصاص الجنود الذين يتمرنون على اطلاق النار .
٣ — وضع خوذات معدنية على الرأس وتسليط التيار الكهربائى عليها وذلك لاقتلاع عيون السجناء .
٤ — صب الزيت المغلى على جسم المعذب .
٥ — اجلاس المعذب بصورة تسهل الضرب على اعضائه التناسلية وتسبب له آلاما مبرحة .

٦ ـــ دق مسامير حديدية فى الأظافر حتى تنفذ من الجانب الآخر .
٧ ـــ تمشيط الجسم بأمشاط حديدية .

ولكن مع كل هذا الارهاب والتعذيب الوحشى الذى تندى له جبين الانسانية فان المسلمين فى التركستان وقفوا صامدين ولم تنتج هذه الاساليب الشيوعية فى التعذيب الا مزيدا من التصميم والثبات وارادة الثورة . ولقد نشرت جريدة (البلاد) السعودية فى عدد يوم ١٣٨٢/٨/١٧ هـ أن الانباء الصحفية التى تسربت من التبت ذكرت بأن الثورة ضد النظام الشيوعى قد نشبت فى سنكيانج (التركستان الشرقية) وأن اصابات كثيرة لحقت بالقوات الصينية الشيوعية . وذكرت جريدة الندوة السعودية فى عدد يوم ١٣٨٣/٨/٢٢ هـ أن الصين سحبت عددا كبيرا من الفرق العسكرية الى مقاطعة سنكيانج عبر الحدود الروسية مما يدل على أن هناك متاعب ومصاعب يسببها التركستانيون للثورة الشيوعية ولولا الستار الحديدى الشيوعى المفروض على تركستان الشرقية لتسربت الينا أخبار الثورات والحركات القتالية التى يقوم بها التركستانيون للتعبير عن الاستياء الشديد من الاحتلال الشيوعى والارهاب الاحمر لبلادهم .

مقترحات :

تلك هى الخطوط العريضة (المختصرة) للمشكلة التركستانية ولكن الشىء المؤلم حقا أن قضية التركستان قضية منسية مهملة حتى أن كثيرا من المسلمين ـــ بله المثقفين لا يعرف عن هذه القضية شيئا أبدا .

وهذه بعض المقترحات ـــ المتواضعة ـــ التى أراها فى سبيل « بعث هذه القضية المنسية وتوعية المسلمين بملابساتها وظروفها واطلاع العالم عليها » .

١ ـــ أن تقوم وزارات المعارف والتربية والتعليم فى البلاد الاسلامية بوضع مادة تدرس فيها مشاكل المسلمين فى البلدان المضطهدة فى المدارس الرسمية .

٢ ـــ أن تقوم (رابطة العالم الاسلامى) بايفاد لجنة من المسؤولين المسلمين الى البلاد الاسلامية الواقعة تحت السيطرة الروسية والصينية لتقصى الحقائق ومن ثم عمل الدراسات اللازمة والبحوث الدقيقة لمعرفة أفضل السبل لمساعدة المسلمين فى تلك البلاد . وعلى الرابطة أيضا أن تناقش هذه القضية فى دوراتها التى تعقدها فى مكة واطلاع المسلمين على حقائقها وما وصلت اليه من أبعاد .

٣ ـــ أن تقوم الهيئات والمراكز الاسلامية فى البلدان الاسلامية وفى غيرها كالمراكز الاسلامية فى أوروبا وأمريكا وآسيا بطبع النشرات والكتب التى تشرح للعالم أحوال المسلمين فى تلك المناطق .

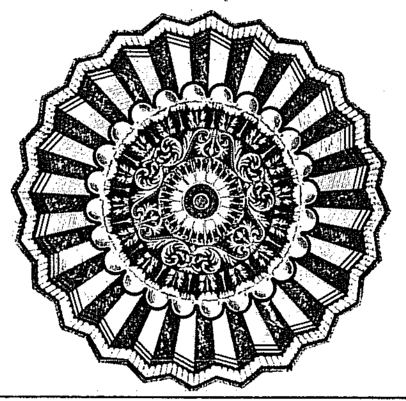
٤ ـــ أن تشجب المؤتمرات الاسلامية التى تعقد بين حين وآخر الاضطهاد الشيوعى والارهاب الاحمر اللذين تمارسهما الصين الشيوعية والاتحاد السوفيتى فى التركستان وأن تطالب باستقلال تركستان .

٥ ــ اثارة القضية التركستانية فى المحافل الدولية والمؤتمرات العالمية بقصد تعريف العالم عليها وكسب مؤيدين لها .

٦ ــ مناشدة الدول المحبة للسلام للوقوف الى جانب الشعب التركستانى الذى يتعرض للافناء الشيوعى .

واننى لا أنسى فى هذا المجال دور الاعلام ووسائل النشر والصحافة ــ وخاصة الصحافة الاسلامية ــ فانه يجب على المجلات والمنشورات الاسلامية أن تقوم بتوعية القارىء المسلم بهذه المشكلة وأن تعمل على تقصى الاخبار المتعلقة بها والاهتمام بنشرها .

حقق الله الآمال . والله يتولى الصابرين .



---

(١) أنظر « حقائق عن التركستان المسلمة » لمحمد آمين اسلامى ٤ ــ ٧ .

(٢) أنظر « تاريخ الاسلام السياسى » د. حسن ابراهيم حسن ج ٢٤/١ والدعوة الى الاسلام لآرنولد و « الكامل فى التاريخ » لابن الاثير ج ١٧٩/٩ .

(٣) « حقائق عن التركستان المسلحة » ١٠ .

(٤) « تركستان : « سلسلة مواطن الشعوب الاسلامية » لمحمود شاكر ٩ .

(٥) « تركستان الشرقية » (من نفس السلسلة) لمحمود شاكر ٣٢ .

(٦) انظر حقائق عن التركستان المسلحة ٣٠ ــ ٣٤ .

(٧) تركستان الشرقية لمحمود شاكر ٣١ .

(٨) أنظر تركستان الشرقية لشاكر ٣١ وانظر « مجلة البلاغ الكويتية » العدد ١٥٩ .

(٩) مجلة البلاغ الكويتية عدد ١٥٩ .

(١٠) حقائق عد التركستان المسلمة ٢٣ ــ ٢٥ .

(١١) حقائق عن التركستان المسلمة ١٦ .

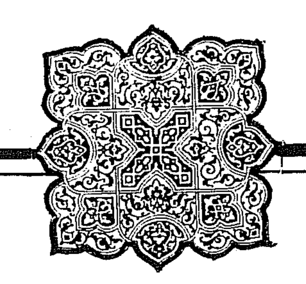
(١٢) هذه التسمية تدل على تناقض الصينيين فى ادعائهم آن التركستان جزء من الصين اذ لو كانت كذلك فلماذا آسموها بالمستملكة الجديدة .. ؟!

(١٣) حقائق عن التركستان المسلمة ٢٣ .

(١٤) حقائق عن التركستان المسلمة ١٦ ــ ١٧ .

(١٥) حقائق عن التركستان المسلمة ١٩ .

(١٦) أنظر « الاسلام والمسلمون فى الصين » لفؤاد كرم ٤٠ ــ ٤٩ وانظر أيضا « نداء الى المسلمين » لعيسى يوسف البتكين ٨ ــ ١١ .



الوحدة الاسلامية

أصولها ومنهجها وعوامل استمرارها

للأستاذ يحيى هاشم حسن فرغل

يدعو الاسلام الى وحدة الأمة الاسلامية على أساس من وحدة الجنس البشرى التى يقررهاالاسلام فى صورة قاطعة لا تحتمل تحريفا أو تأويلا .

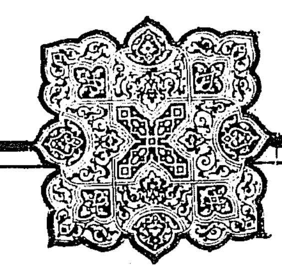
« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء .. »

« وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ، قد فصّلنا الآيات لقوم يفقهون » .

ولما كان الاسلام هدى الله للإنسانية جمعاء ، وهو الدين الذى جاءت به الرسل جميعا من عند الله : **« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه »** ..

فان دعوة الاسلام الى وحدة الأمة الاسلامية لا تعنى دعوة الى عصبية حمقاء ، ولا تعنى دعوة الى تمزيق الروابط الإنسانية ، وإنما هى — فى نفس الوقت — دعوةالىالوحدة الانسانية يصنع الاسلام نموذجها الأصيل ، وركيزتها الفذة فى وحدة الأمة الاسلامية : **« آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من**



رسله ..» . **« كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ...»** .

والوحدة التي يدعو اليها الاسلام ليست ــ فحسب ــ زينة لحياة المسلمين ، أو حاجة يميلون اليها حين يدعوهم حافز من حوافز المصلحة الدنيوية ...

ولكنها ــ قبل ذلك ــ ضرورة من ضرورات إيمانهم ، يَدْعَون اليها حين يُدعون الى عبادة الله الواحد ، وتقواه :

« إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون »

« وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون »

وهي ضرورة من ضرورات فطرتهم التي جمعتهم على الاسلام .. :

« فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وهي ضرورة من ضرورات نعمة التأليف التي منّ الله بها على عباده المؤمنين ، أخبر عنها ، ووعد بها : **« واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته إخوانا .. »**

وهي ضرورة من ضرورات واقع الإيمان الماثل في قلوبهم « إنما المؤمنون إخوة » ، ويقول صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته » ، ويقول : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ، ويقول : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم . »

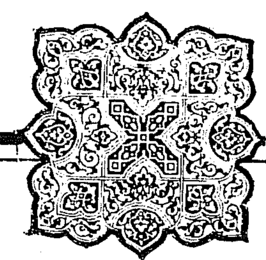
والاسلام إذ يقرر الوحدة الاسلامية كضرورة من ضرورات الإيمان يربطها بجذوره الأساسية ، ويوثقها بأصوله : في العقيدة ، والشريعة والأخلاق .

ففي مجال العقيدة ترتبط هذه الوحدة بعقيدة المسلمين الأساسية وهي عقيدة « التوحيد » . وفي رحاب هذه العقيدة التي تنفي عنها أية صورة من صور الشرك : الخفي أو الظاهر ، يتربى المسلمون على « الوحدة » تربية تتغلغل في نظرتهم الى وجودهم في هذه الحياة ، كما تمد بفيئها على نظرتهم الى مستقبلهم في الآخرة ..

وفي مجال الشريعة ترتبط هذه الوحدة بخضوع المسلمين ــ نظرا وعملا ــ لنظام تشريعي واحد ، واحد في كيانه ، واحد في مصدره ، واحد في أهدافه ... **« ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون »** .

وفي مجال الأخلاق تتوثق هذه الوحدة بقيام المجتمع الاسلامي ــ والفرد المسلم ــ على أساس من القيم الاسلامية التي وضحها الكتاب وبينتها السنة ، وصارت أصلا لأخلاق المسلم ، يستعصي على التزييف ، ويتأبى على التهجين .

وإذ يقرر الاسلام الوحدة : أصلا إنسانيا ، وضرورة من ضرورات الإيمان ، وعنصرا متغلغلا في أصول الدين :



يبين فى نفس الوقت الطريق الى تحقيق هذه الوحدة ، والمنهج العملى المؤدى اليهـــا .

ذلك المنهج هو « حبل الله » .

وحبل الله هو القرآن كما ورد فى الحديث الصحيح .

يقول صاحب المنار فى تفسير قوله تعالى : **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »** : « إن المختار هو ما ورد فى الحديث المرفوع من تفسير حبل الله بكتابه ، ومن اعتصم به كان آخذا بالاسلام ــ ولا يظهر تفسيره بالجماعة والاجتماع ــ وإنما الاجتماع هو نفس الاعتصام ، فهو يوجب علينا أن نجعل اجتماعنا ووحدتنا بكتابه ، عليه نجتمع وبه نتحد ، لا بجنسيات نتبعها ، ولا بمذاهب نبتدعها ، ولا بمواضعات نضعها ، ولا سياسات نخترعها . . . »

وأنى للسياسات المخترعة والمذاهب المبتدعة أن تحقق وحدة ، وهى موضع الخلاف ومصدر الفرقة ؟

أما حبل الله فهو خيط الضوء وسط المتاهة الظلماء يقصد اليه من يقصد النجاة . . . ولا يضل عنه ذو بصر أو بصيرة . . يتحرك اليه الأفراد . . وتهاجر اليه الجماعات المزقة . . فاذا هم هناك جميع ، يربطهم حبل متين .

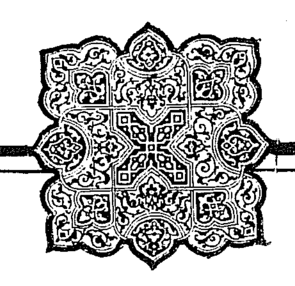
يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هذا القرآن هو حبل الله المتين . وهو النور المبين . وهو الشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعـــه » .

من هنا كان الاعتصام بحبل الله منهج وحدة ، فضلا عن كونه هدف حياة .

وإذا كان الاعتصام بحبل الله ــ كما بينا ــ منهج الوحدة المطلوبة بين المسلمين فانه بعد ذلك ــ أو قبل ذلك ــ منهج الاتصال بالله سبحانه .

ثم إنه أخيرا منهج التوقى من الضياع ، والهلاك . . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « اليس تشهدون الا إله إلا الله وانى رســـول الله ؟ قالوا : بلى . قال : إن هذا القرآن طـــرفه بيد الله وطرفه بأيديكم ، فتمسكوا به فانكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده ابدا » . ويقول صلى الله عليه وسلم : « أتانى جبريل فقال : يا محمد ، ان الأمة مفتونة بعدك . قلت له : فما المخرج يا جبريل ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم . وهو حبل الله المتين وهو الصراط المستقيم ، وهو قول فصل ليس بالهزل ، ان هذا القرآن لا يليه من جبار فيعمل بغيره الا قصمه الله ، ولا يبتغى علما سواه الا أضله الله ولا يخلق عن رده ، هو الذى لا تفنى عجائبه ، من يقل به يصدق ومن يحكم به يعدل ، ومن يعمل به يؤجر ، ومن يقسم به يقسط » . رواه الامام أحمد فى مسنده عن ســـيدنا الامام على كرم الله وجهه .

وحبل الله يعنى سنة رسوله كما يعنى كتابه تعالى ، بل انه يعنى هذه السنة من حيث يعنى كتاب الله .



يقول تعالى : ((**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**)) ، ويقول: ((**فلاوربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**)) .

ويقول ((**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب**)) .

ويقول : ((**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . ذلك خير وأحسن تاويلا**)) .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله)) .

ويقول عليه الصلاة والسلام ((يوشك أحدكم أن يكذبنى وهو متكىء على أريكته يحدث بحديثى فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه الا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله)) .

فهذا إذن حبل الله : كتاب الله وسنة رسوله .

والاعتصام به ليس مقصدا فى ذاته فحسب ، بل هو — فوق ذلك — المنهج الاسلامى للوحدة ، منهج بسيط بين المناهج المعقدة ، مضىء بين المناهج المعتمة ، ممكن بين المناهج المستحيلة ، ميسر بين المناهج المستعصية ، منتج بين المناهج العقيمة .

ولقد وهنت وحدة المسلمين — ثم انفرطت — يوم وهن استمساكهم بحبل الله ، ويوم انفضوا عنه ..

وهنت وحدة المسلمين — ثم انفرطت — يوم راحوا يهجّنون عقائدهم بعقائد من هذا المذهب أو ذاك ، فسرت اليهم عدوى من الأديان المخالفة ، أو من الفلسفات الملحدة ، من يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو غيرها ، من رواقية ، أو أبيقورية ، أو مادية ، أو وجودية أو وضعية أو ما أشبه .

ووهنت وحدتهم — أو انفرطت — يوم راحوا يبتدعون فى دينهم ، ويضيفون الى عقائدهم اجتهادات بشرية ما أنزل الله بها من سلطان ((**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة**)) .

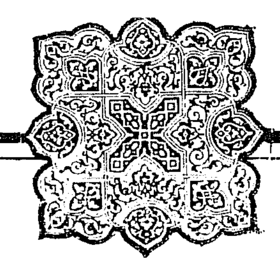
كذلك وهنت وحدتهم — أو انفرطت — يوم اخذوا بشرائع وقوانين يعارضون بها شريعة اللهوقوانينه فانفرط بهم السبيل مسالك شتى :

أهملوا تعاليم الله وشرائعه فى تحريم الربا .

أهملوا تعاليم الله وشرائعه فى القصاص والحدود .

أهملوا تعاليم الله وشرائعه فى الزكاة والمال ..

وصاروا بعد ذلك مزقا تنتهبهم مسالك الحياة ما بين يمين ويسار وتتداعى عليهم الأمم كما تداعى الأكلة الى قصعتها ..



وان المنهج لواضح وسط هذه المتاهات .

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

ذلكم هو المنهج : حبل الله .

حبل الله وحده هو المنهج البسيط الميسر ، الممكن ، الذى ينتهى — وحده — بالوحدة .

فاذا وجدنا أنفسنا — بهذا الاعتصام — على طريق الله ، وجدنا أنفسنا — ببساطة وتلقائية — على طريق واحد ، وعلى مسيرة واحدة ، وعلى مقصد واحد ، وفى « وحدة » متينة الرباط موثوقة بوثاق الله .

ولا يبقى بعدإلا شكل يختار لهذه الوحدة ، وفقا لهذه التجربة من تجارب الأمم أو تلك ، شكل يدعو اليه الواقع أو يفرضه ، دون أن يطول بنا البحث عنه ، فهو سهل المنال عند ذاك سهل التنفيذ .

والاسلام لا يقيدنا بشكل معين من أشكال الوحدة .

ولكنه يقيدنا بعناصر محددة للشكل الذى تهدينا اليه التجربة .

فهو يحدد لنا موضوع الوحدة ، وهدفها ، وظروف قيامها ، وظروف صيانتها واستمرارها .

فموضوع الوحدة الذى يتم الالتفاف حوله والعمل من أجله ، يجب أن يكون طاعة الله ، وتنفيذ أوامره ..

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » .

« واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » فطاعة الله ورسوله ، وتنفيذ اوامره هى موضوع التعاون أو الاتحاد أو الوحدة فى الأمة الاسلامية .

إن المنهج هنا يصبح هو الموضوع فى نفس الوقت .

وإذا كان لا بد لكل وحدة من موضوع فانه لا بد من أن يكون هذا الموضوع منتسبا الى الحق ، نقيا من الباطل ، فقد خرج المشركون فى غزوة بدر تحت راية واحدة لكنها كانت راية الشيطان ، فماذا كان من أمرها ؟

« وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم ، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب » . فالباطل إذن لا يصمد ، ولا يفوز فى النهاية ، ولا تقوم عليه وحدة طويلة العمر ثابتة القدم .

وهدف الوحدة الاسلامية هو النجاح **« ... ولا تنازعوا فتفشلوا »** وهو فى عبارة محددة تحقيق (الحياة) **« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم »** ، ولذلك كانت الآخرة هى الهدف الرئيسى للاسلام وللوحدة الاسلامية ، **« وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون »** .

وظروف صنع الوحدة الاسلامية هى ظروف الكفاح والجهاد والمشقة والابتلاء ، كان الأمر على هذا النحو فى قيام الوحدة الاسلامية الأولى وما أظنه

(البقية ص ٩١)



للأستاذ محمد عبد الحافظ

قبل البدء فى حديث كهذا فان هناك عددا من الاسئلة تطرحها أمانة الكلمة ، وتثيرها موضوعية البحث ، وتستلزم أن نتلمس لها اجابات مقنعة منصفة .

وفى مقدمة هذه الاسئلة :

هل اليهود شعب .. ؟

وهل هم شعب الله المختار .. ؟

وهل اختار الله لهم فلسطين (أرض الميعاد) .. ؟

لقد جاء فى كتب اليهود أنفسهم أن اسرائيل (يعقوب) عندما رحل الى مصر كان معه أكثر من أربعة آلاف .. وأن هؤلاء لم يكونوا جميعا من نسله .

ويروى التاريخ أن كثيرا من الـكنعانيين ، والعمونيين ، والحيثيين وغيرهم قد اعتنقوا اليهودية .. وأصبحوا من أتباع (سليمان) .

فامتزاج اليهود ــ اذن ــ بغيرهم حقيقة ثابتة ..

يقول (جوستاف لوبون) فى كتابه « اليهود فى الحضارات الاولى » (ان اليهود ابتعدوا عن عرقهم الاصيل لاتصـالهم الطويل بأمم أرقى منهم كثيرا) .

ومعنى هذا كله ان اليهود لم يكونوا شعبا حتى فى أقدم عصورهم .. أضف الى ذلك أن صلة اليهود بفلسطين لم تتجاوز أربعة او خمسة قرون قبل الميـلاد .. ومن هنا فان ما ينبغى أن يطلق على اليهود انهم (طائفة

دينية) مما يجعل المقارنة بينهم وبين الشعب الفلســـطينى فيها كثير من الاعتساف ..

ولكن الخرافات اليهودية الذائعة .. والأباطيل الصهيونية الشـائعة دفعت الكثير من المؤرخين الى عقد هذه المقـــارنة .. يقول (دابوبور) فى كتابه (تاريخ فلسطين) :

« يعود وجود السكان فى فلسطين الى عصر بالغ فى القـــدم ، نحو عشرة آلاف سنة قبل الميلاد ، وقبل أن يضع اليهود أول قدم لهم فى هـــذه البلاد .. فقد استوطن بها أقوام ذوو حضارة وتاريخ عريق مثل الكنعانيين .. والحيثيين .. والفينيقيين .. والفلسطينيين » .

وتقول الحقيقة التاريخية : أن المنطقة الممتدة (من النيل الى الفرات) كانت خاضعة للسيادة المصرية من سنة ٢٨٠ الى سنة ٥٨٦ قبل الميـــلاد ما عدا فترات قصيرة ومحدودة قامت فيها دول أخرى بغزو هذه المنطقــــة (التى كان يلقب فيها شيوخ العشائر ورؤساء المدن والقرى انفسهم بلقب ملك) .

ولم يرد فى الآثار المصرية التى تم اكتشافها حتى اليوم ما يشير الى اسم (بنى اسرائيل) لا كشعب ولا كدولة . حقيقة أن ملوك هذه المنطقــــة (شيوخ العشائر) كانوا ينتهزون فرصة ضعف الدولة المصرية فيتمردون على سلطتها لفترات ضئيلة قبل أن يجبروا على العودة الى سلطانها .. وحقيقة ايضا أن بعض ملوك هذه المنطقة مثل (سليمان بن داود) الذى كان يلقب (بملك أورشليم) قد استطاع ان يبسط رقعة نفوذه ، ولكن الحقيقة التاريخية تؤكد كذلك ان ذلك التوسع لم يحدث الا على أساس أن سليمان كان زوجا لابنة فرعون مصر .

على أن مصر لم تكن تتوانى فى القضاء على تمرد ملوك هذه المنطقة فور تجاوزها لاسباب فترات الضعف العابرة فى تاريخها كما حدث ســـنة ٩٠٧ قبل الميلاد فى عهد (شيشنق) ملك اليهود ، وكما استطاعت القوات المصرية فى عهد (نخاو الثـانى) فرعون مصر أن تزحف الى الامبراطورية الآشورية وتستولى فى طريقها على فلسطين ، وتعيدها الى مصر مرة أخرى وتقضى على ملك يهوذا (يوشع) فى معركة مجدو الشهيرة سنة ٦٠٩ قبل الميلاد . على أن أول عهد العـــالم بكلمة (اليهود) و (يهودى) كان بعد (سليمان بن داود بزمن طويل ، فبعد وفاته انشقت الاســـباط ــ وهى كالقبائل عند العرب ــ فخرج عشرة أسباط ونصف على (ابن سليمان) ، واقاموا بلدة سميت (بالسامرة) ونصبوا عليهم ملكا عرف باسم (ملك اسرائيل) وبقى (ابن سليمان) فى (أورشليم) ملكا على سبط ونصف ، وعرف باسم (ملك يهوذا) .. ويهوذا أحد ابناء يعقوب .. ولـــما شرعت آشور فى حرب مصر هاجمت الاراضى الممتدة من الفرات الى النيل .. وهى ما تعرف (بأرض كنعان) وسقطت بلدة (السامرة) مقر (ملك اسرائيل) سنة ٧٢٢ قبل الميـلاد وتم سبى الاســـباط العشرة والنصف وذابوا فى المجتمعات الاخرى ، واختفى كل أثر لهم ..

ولولا وقوف مصر فى وجه الغزو الاشورى وتصديها له ومنعه من الوصول الى (أورشليم) لكان قد تم القضاء النهائى على السبط والنصف الباقى من أحفاد (يهوذا) من عشرة آلاف عام .

وفى سنة ٥٨٦ قبل الميلاد استولى (بختنصر) البابلى على (مملكة يهوذا) ودمرها ، وحرق الهيكل ، وسبى أهلها جميعا ، وظلوا أسرى فى (بابل) حتى سنة ٥٣٨ قبل الميلاد عندما تولى حكم الفرس الملك (قورش) ابن (قمبيز) ففك أسرهم وسمح لهم بالعودة الى مملكتهم ، بعد أن جثوا تحت قدميه واخترعوا له نصا فى التوراة يزعم أن (قورش هو المسيح المنتظر) . وجاء (الاسكندر) سنة ٣٢٢ قبل الميلاد واحتل فلسطين ، وتبعه بطليموس الأول ، ثم (انطيوخوس) اللوقى اليونانى ملك سوريا سنة ٢٠٣ قبل الميلاد .

واستولى الرومان على مملكتهم فى عهد القيصر (بومبى) ، ولما قام اليهود بالثورة على الحكم الرومانى ، دمر الرومان القدس من جديد ، ومحوا الهيكل وبنوا فوقه معبدا لكبير آلهتهم (الجوبتر) .. وكان ذلك فى عهد الامبراطور (تيطس) سنة ٧٠ قبل الميلاد الذى أباد منهم ما وصلت اليه يده الطويلة العنيفة ، ولم ينج من عقابه الصارم الا من لاذ منهم بالفرار فى آفاق الارض البعيدة . ثم جاء الفتح الاسلامى لفلسطين سنة ٦٣٦ ميلادية ولم يكن بفلسطين آنذاك الا اقلية ضئيلة يهودية .. ومن ذلك التاريخ وفلسطين عربية مسلمة اللهم الا ردحا من الزمن أيام الحروب الصليبية ، ولكنها سرعان ما عادت الى العرب على يد البطل العربى (صلاح الدين الايوبى) .

ومما يؤكد ان اليهود كانوا اقلية ضئيلة ، ليس لها أى وزن سياسي او اجتماعى فى الفترة السابقة للفتح الاسلامى لفلسطين — ما جاء فى وثيقة استلام زمام الامور فيها ، والتى حضر لتوقيعها الخليفة (عمر بن الخطاب) بنفسه فى فلسطين — لقد اشترط المسيحيون فى شروطهم التسليم — « الا يسكن بايليا أحد من اليهود » وضمن لهم الخليفة هذا الشرط .. وما ذلك الا شعور منه بعدم أى وجود لليهود من شأنه أن يكون له احترامه أو مجرد ثقله .. على الرغم من مرور اكثر من أربعة قرون على ما أنزله بهم الرومان فى قلعة (الماسادا) .

هذه هى جذور ما يسمى بـ (الشعب اليهودى) .. ولكنها جذور عفنة ابلت الاعاصير ساقها وقصفت الرياح فروعها ، وجفت من زمن بعيد أوراقها وصارت هشيما تذروه الرياح فأين اذن الشعب اليهودى .. ؟

هل هو أولئك الصهاينة المستعمرون الموجودون من ربع قرن بفلسطين المحتلة .. ؟ ان الواقع يؤكد — كما ذكر آنفا — أنه لا وجود لما يمكن أن يطلق عليه اسم (الشعب اليهودى) .. وأن أولئك الصهاينة الموجودين بفلسطين المحتلة ليسوا شعبا تحت اى منظار ، وبأى مقياس .. لا بمقياس

التاريخ ، ولا بمقاييس الحضارة والاجتماع .. ولا بمقاييس الواقع .. انهم ليسوا سوى أقلية يهودية عربية ، واكثرية مجلوبة جلبنا من (شذاذ الآفاق) من الشرق والغرب ، خليط متنافر متزاحم لا تجمعه وحدة العقيدة — كما يزعمون — وانما تجمعهم الاطماع والاحقاد .. فهل يمكن ان يسمى هذا شعبا .. ؟

وهؤلاء .. ليسوا شعب الله المختار .. ولا كذلك أجدادهم الأقربون ولم يخترهم الله .. ؟ السفكهم دماء عباده الأبرياء .. ؟ التكبر فى الارض بغير الحق .. ؟ أم لسعيهم بالفساد بين الناس واكلهم الربا .. ؟ أم لاجترائهم على شرائع الله ومقدساته فى الارض .. ؟

ولماذا اختار الله لهم فلسطين بالذات .. وهى مهد مقدساته .. ؟ الأنهم عاشوا فيها زمنا .. ؟ أم لأنهم خير خلق الله واجدرهم برعاية المقدسات .. ؟ ان التاريخ — كما سبق — يؤكد أن فترات تواجد اليهود على أرض فلسطين اقل بدرجة لا تقارن بالوجود المصرى ولا بالوجود العربى عليها .. سواء بعد الفتح الاسلامى أو قبله ..

ولماذا يمنحهم ربهم أرضه المقدسة (أرض الميعاد) .. ؟

ان الكتب المقدسة والتاريخ يؤكدان أن اليهود — منذ كانوا — اكثر خلق الله عقوقا لربهم ، واجتراء وتطاولا عليه ، وقتلة الانبياء والمصلحين ومحرقى الكتب والشرائع المقدسة ، ولقد منحهم الله الفرصة تلو الفرصة للاستقامة ، وفضلهم على العالمين زمنا بما منحهم من انبياء ، وانعم عليهم من نعم ولكنهم تطاولوا وتمادوا فى طغيانهم فسلط الله عليهم — فى كل جيل — رسل انتقامه يمزقونهم كل ممزق ، ويشردونهم بددا حينا بعد حين .

ان اناسا هذا ماضيهم — وهو حافل بالضياع والانتقام — لا يمكن أن يصدق عاقل أنهم (شعب الله المختار) الا اذا اقتنعنا بأن الثواب يكون للعاصى وأن المكافأة يستحقها المسيء ..

ولكن يبقى سؤال : لماذا اخترع اليهود هذه الاسماء : (شعب الله المختار) ، (أرض الميعاد) ، (الشعب اليهودى) .. ؟

يجيبنا العالم الانجليزى المعاصر (جون اليجرو) الاستاذ المتخصص فى اللغات الشرقية فيقول :

« ان كل هذه (الخرافات) التى آمن بها اليهود قد ظهرت بين سنتين معروفتين فى تاريخهم سنة ٥٨٦ قبل الميلاد .. عندما جاء الملك البابلى (بختنصر) وهدم أورشليم (القدس) وهدم معبد سليمان ، وأحرق أخشابه ، وأخذ كل ما فيه من ذهب ، وحطم قدس الاقدام حيث أودع اليهود (وصايا موسى العشر) .

والسنة الثانية عندما انهدم المعبد مرة ثانية سنة ٧٠ ميلادية عندما تقدم الرومان وهدموا هذا المعبد عليهم واحرقوهم .. ثم حاول بعض

اليهود أن يقفوا فى وجه الرومان ، واعتصموا بقلعة (ماسادا) حتى هلكوا جميعا ..

بعد هاتين السنتين تفجرت عن اليهود هذه الافكار التى تقوم بتعويض ما فقدوه فهم أناس لا أرض لهم .. لأنهم مطرودون من كل أرض .. ولذلك اخترعوا لأنفسهم أنهم مشردون بلا أرض ، ولكن الله اختار لهم أرض فلسطين ، انها خرافات يهودية .. خرافات جياع مشردين ، منبوذين ، مكروهين لا جذور لهم .. بلا حوائط .. بلا أرض .. جلسوا فى مهب الريح الرملية فى الصحراء وامتدت أيديهم الى أعشاب مخدرة .. وراحوا يتخيلون ، ويصدقون أوهامهم .. ولكنهم حتى لو صدقوها وجنوا بها ، فهى أوهام لم تنزل من السماء ، وانما نبتت من الارض ، التى ليست أرضهم ولن ينعم اليهود بالراحة فى أى عصر ما دام الدم والدمار ، والحقد أسلوبهم فى الحياة » .

ولا عجب أن يجىء فى (توراة اليهود) نفسها ما يؤكد راى هذا العالم ــ غير العربى ــ ففى الاصحاح السادس والعشرين من (سفر التثنية) وصف للشعب اليهودى بأنه (لقيط) وفى الاصحاح السادس عشر جاء فى سفر (حزقيال) وصف للشعب اليهودى بأنه (مثل الغانية الداعرة التى تدفع فلوسا لمن يزنى بها) .

والدارس لتاريخ اليهود يلفت نظره بوضوح أنهم مفتونون بالأرض ، حريصون على (كيان مستقل) لهم ، مغرمون بالتحكم والتملك ، ولما لم تسعفهم الارض برغائبهم تجنوا وافتروا على السماء ، واختلقوا الوعود المقدسة وتفننوا فى اختراع القصص الغيبية لاكتساب شرعية ما ليس من حقهم ، وهم فى سبيل تحقيق أطماعهم الشخصية مستعدون للتعاون ولو مع الشيطان متنكرين لكل مبدأ متعامين عن كل دين .

ولم يكن (وعد بلفور) بتمكين اليهود من وطن قومى لهم في فلسطين هو أول وعد حصلوا عليه لاقامة هذا الوطن فى نفس المكان .. مكافأة لهم على عمالتهم .. ففى القرن الخامس قبل الميلاد حصلوا على نفس الوعد من الاستعمار الفارسى نظير قيامهم بدور تخريبى فى العراق من الداخل حتى يسهل احتلال الجيش الغازى له ــ على نحو ما سبقت الاشارة اليه ــ وبلغت المؤامرة مداها وانطلقت الجيوش الفارسية سنة ٥٣٦ قبل الميلاد فى أكبر حركة استعمارية عرفها الشرق فى العصور القديمة ، فاستولت على العراق وأجزاء من شبه جزيرة العرب ، وسوريا ، ولبنان وفلسطين . ولما دهم الفرس مصر بقيادة (قمبيز) استعانوا فى استعمارها أيضا باليهود ، أو بتعبير أدق وضع اليهود أنفسهم فى خدمتهم للتآمر على الشعب المصرى .

وقد تم العثور على وثائق باللغة (الآرامية) ــ اليهودية ــ فى جزيرة (فيلة) بأسوان تثبت هذا التآمر .

وعندما غزا الاسكندر الشرق ، وتمكن من رد الغزو الفـارسى على أعقابه مدحورا ، حاول اليهود احتواءه وبذلوا جهودا مكثفة ، استغلوا خلالها أسلحتهم التقليدية المعروفة من حيلة وذكاء ، ومكر ودهاء ليسكونوا محل ثقته .. ولكنه عاملهم بمنتهى اليقظة والحذر .. ولئن كان اليهود قد استطاعوا أن يحصلوا منه على بعض المزايا ، كأن جعل لهم شخصية قومية متميزة واتاح لهم حكم أنفسهم بأنفسهم فى الشام — فى ظلال الحكم اليونانى — الا أنه حرم عليهم المناصب السياسية الخارجية ، ولم يمكنهم من التدخل فى الشئون العسكرية ، ولم يسمح لهم بالتدخل فى الامور الاقتصادية .. وجعل ذلك مقصورا على اليونانيين وحدهم ..

وبعد اليونان جاء الرومان ، وحاول اليهود التعاون معهم فى سياستهم الاستعمارية ، ووصل بهم الامر — وهم أصحاب الكتاب السماوى — الى الوقوف بجوار وثنية الرومان ضد (يوحنان المعمدان) .. وليت تآمرهم انتهى بقتله فحسب ، بل تآمروا على السيد المسيح عليه السلام ، محاولين الفتك به والقضاء عليه ، كما تآمروا من بعده على المسيحيين فى (نجران) اذ دفعوا (ذو نواس) آخر ملوك حمير الى حرقهم . وعندما جاء الاسلام وبرغم وجود اتفاقيات صداقة وحسن جوار بينهم وبين المسلمين فى اول صدر الاسلام الا أن هذا لم يمنعهم من أن يتآمروا مع الوثنيين من قريش ضد الدعوة الاسلامية التى تقوم على التوحيد .

وقبيل غزوة الاحزاب ذهب جماعة منهم الى قريش بزعامة (حيى بن اخطب) بهدف التعاون معه لتدمير الدعوة الاسلامية ، ولقد ترددت قريش فى أول الأمر وقال قائلها للوفد اليهودى : يا معشر اليهود انكم أهل الكتاب الاول واهل العلم ، بما أصبحنا نختلف فيه مع محمد .. افديننا خير ام دينه ؟ قال اليهود : بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه .

ويشير القرآن الكريم الى ذلك : ((**ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ، أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا**)) .

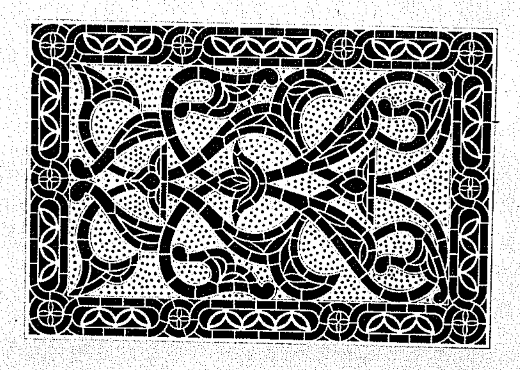
وحول تفضيل وثنية قريش على توحيد محمد عليه السلام يقول الدكتور (اسرائيل ولفنسون) فى كتابه « تاريخ اليهود فى بلاد العرب » كان من واجب هؤلاء اليهود الا يتورطوا فى هذا الخطأ الفاحش ، والا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الاصنام افضل من التوحيد الاسلامى ، ولو أدى بهم الامر الى عدم اجابة مطلبهم .. هذا فضلا عن انهم بالتجائهم الى عبادة الاصنام انما كانوا يحاربون أنفسهم ويناقضون تعاليم التوراة التى توصيهم بالنفور من أصحاب الاصنام والوقوف معهم موقف الخصومة .

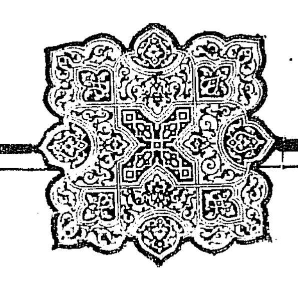
٨

واذا كان التآمر من سمات اليهود – كما يروى التاريخ – **فانه يروى** أيضا أن الغدر واثارة الشغب ، وحب الذات هى صفات من أبرز خصائصهم . وهى الصفات نفسها التى جعلت الرومان يقلبون لهم ظهر المجن ، ويمزقونهم كل ممزق ، وهى أيضا نفس مبررات (هتلر) لممارسة الاسلوب الذى اتبعه معهم الرومان والفرس ، فاليهود هم اليهود فى كل زمان ومكان ، نبغوا فى (العمالة) طريقا لبلوغ أطماعهم وتحقيق مآربهم .. كالمتسلقات من النباتات التى لا يستقيم لها صعود وارتفاع الا على عود تستند اليه . وهم – لكى يصلوا الى أغراضهم – لا يهمهم على أى ركيزة يرتكزون .

وفى العصر الحديث كانت ركيزة اليهود (أوروبا) ثم انكمش دورها وصارت ركيزتهم أمريكا .. ومهما طال الزمن . فسوف ينكمش دور أمريكا لأن عدالة السماء تطارد اليهود بما اقترفوه .. فى كل عصر .. ولعنة الضحايا الابرياء تلاحقهم بما أجرموه فى كل جيل ، و **((ان ربك لبالمرصاد))** .

وانه لمن واجب العرب .. كل العرب ، ومن واجب المسلمين .. كل المسلمين .. بل من واجب الانسانية جمعاء ، أن يدرك الجميع أبعاد التآمر اليهودى ، وخطورة أحلامهم التوسعية الجامحة النابعة من نفوس مريضة ، تتراكم فيها مركبات نقص شريرة .. فما حلمهم (من النيل الى الفرات) يصور غاية مطامعهم ، وانما هو – على ما نعتقد – خطوة على طريق مطامحهم الخرافية للسيطرة على العالم كله واذلاله ان اتيحت لهم فرصة الاستمرار على هدى تعاليمهم التى اخترعها لهم حاخاماتهم ضيقوا الافق ذوو التفكير البربرى والطوية المريضة والتى تقول : « تقرب الى الله بقتل غير يهودى » أوليست سياستهم هى – كما يحكى القرآن الكريم – **((ليس علينا فى الأميين سبيل))** .. ؟





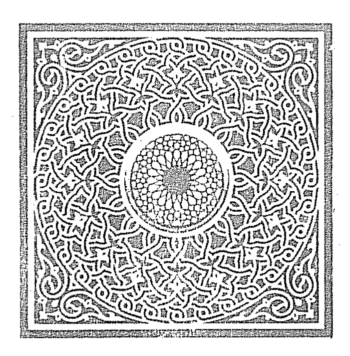
(بقية الوحدة الاسلامية)
كان غير ذلك فى أية وحدة في التاريخ ، وما أظنه يكون غير ذلك فى أية وحدة فى المستقبل ، ((**وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون**)) . وإذن فهيهات أن تصلح ظروف الدعة والرفاء والرخاء لقيام وحدة يرجى لها البقاء .

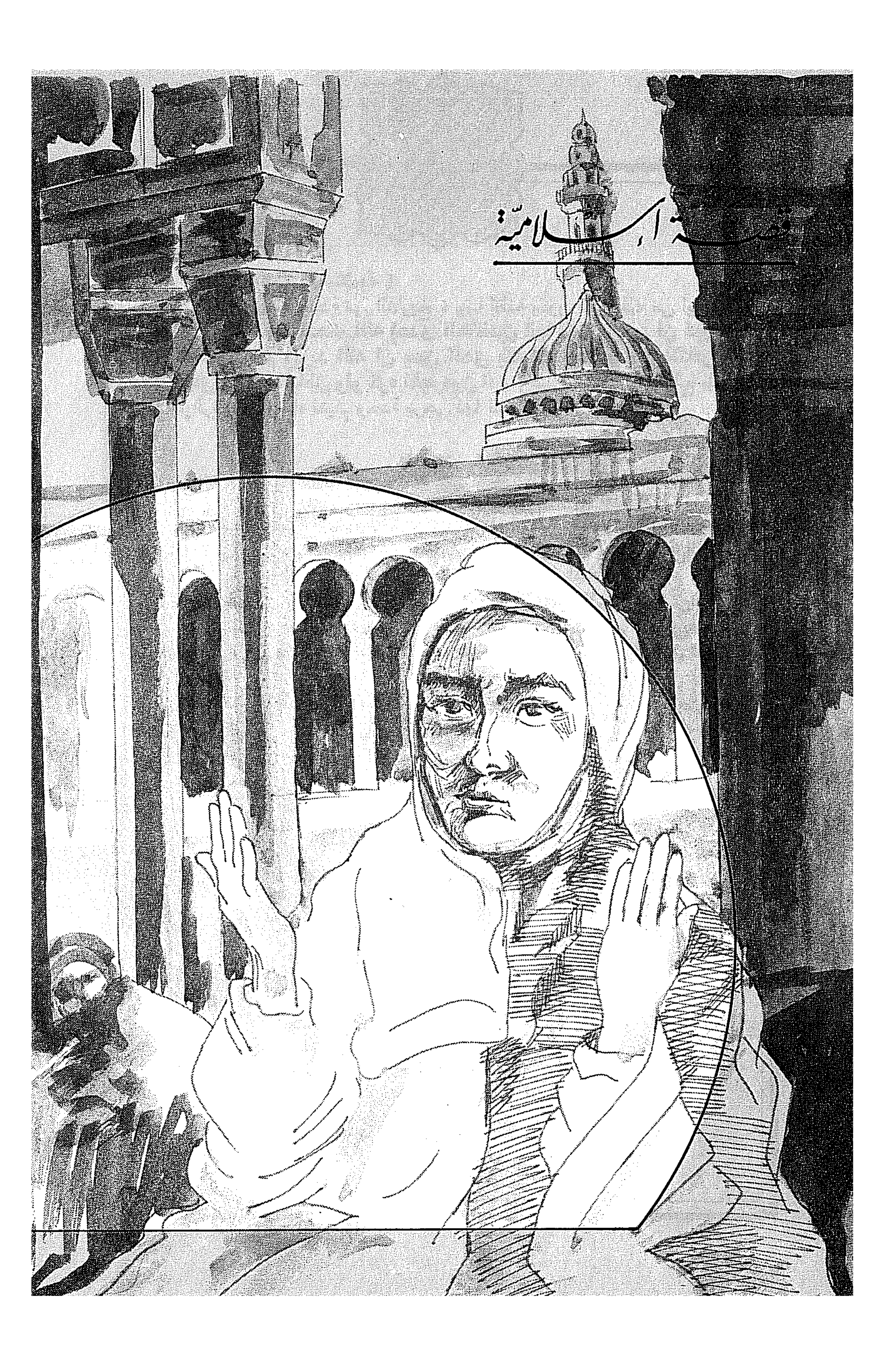
* * *

وظروف استمرار الوحدة أو عوامل دعمها وتقويتها ووقايتها تتلخص فى وجود مرجع أعلى يرجع اليه عند ظهور بوادر الخلاف ، تكون له الكلمة الحاسمة ، والطاعة الواجبة ، على جميع الأطراف عن اقتناع واذعان وخضوع ورضا .. ذلك المرجع الذى توفره الوحدة الاسلامية هو شريعة الله سبحانه المتمثلة فى كتاب الله وسنة رسوله ((.. **فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**))

هذه بعض ملامح للشكل الذى ترك لنا أن نختاره للوحدة من واقع التجربة : تناولت الموضوع والغاية ، كما تناولت عوامل الإنشاء وعوامل الوقاية ، لا أدعى أننى أصبت بها نهاية القول ، ولكن أدعى أننى طرقت بابه .

إنما الأمر الذى أود أن نلتفت اليه بقوة فى ظروف الأمة الاسلامية الراهنة وما تعانيه من تمزق وحيرة ، وما تتلهف اليه من اهتداء الى طريق النجاة .. هو أن نجاتها فى وحدتها ، وأن وحدتها ليست سرابا اذا سلكت اليها المنهج الميسر ، منهج الاعتصام بحبل الله ، وهو منهج يملكه الفرد ، كما تملكه الجماعة وتملكه الدولة ، فكلهم مسئول عنه . والله الموفق .




قصة اسلاميّة

صانع المعجزات



للأستاذ عزت محمد ابراهيم

كان الوقت قد جاوز العشاء بقليل ، وقد بدت واجهة الحرم المطلة على (جياد) بمئذنتيها الشامختين غارقة فى الاضواء ، وقد جعل المصلون يتهادون خارجين من الحرم تلهج ألسنتهم بالحمد والشكر ، وما لبثت جموعهم أن تفرقت يمنة ويسرة ، كل الى وجهته .

كان جليا أن جموع المصلين أكثر من المعتاد ، فقد كان موسم الحج قد هلت تباشيره ، وبدأ شارع (جياد) مائجا بالحركة ، مضطربا بالناس ، ذاهبين وآيبين ، وعلى جانبيه صفت مقاعد هنا وهناك أمام بيوت المطوفين ، قد اتخذ منها بعض وفود الرحمن مجالس ينعمون فيها بنسمات الليل المنعشة ، وتتعلق ابصارهم بالحرم امامهم فتشيع فى نفوسهم الراحة والسكينة بعد عناء الجهد والتعب فى الوصول الى مهوى افئدتهم ومرتجى آمالهم .

وفى بيت من بيوت (جياد)كانت تعيش أسرة قليلة العدد ، لم تكن تجاوز الثلاثة أفراد : أم وابنتها وابنها ، ولم يكن الابنان هما كل ما للأم من أبناء ، ولكنهما كانا كل من بقى معها من أبنائها ، فقد تزوج الآخرون ، واستقل كل منهما ببيت أصبح له فيه بنون وبنات يزورونهما بين الوقت والآخر ، ولولا ما ألم بها من مرض ، وما الح عليها من علة ، لكانت أسعد الناس وأهنأهم بحياتها .

لم تكن قد بلغت من الكبر عتيا ، ولم تكن قد ردت الى أرذل العمـــر ، ولكنها كانت تبدو فى مرضها وشحوبها كمن طعن به السن ، وأصبح على شفا النهاية التى لا مفر منها لانسان .

ومن خصاص نافذة فى البيت كانت الابنة تطل على شـــارع (جياد) ويتعلق بصرها بالحرم في خشوع وابتهال ، لعل لسانها كان يلهج بالدعاء لشفاء أمها التى اضناها المرض وأسقمتها الآلام ، ولعلها كانت ترقب مجيء اخيها ليبدد عنها الوحشة الضاربة أطنابها فى البيت الذي خيم عليه الهدوء والسكون .

كان الناس ينحدرون من أعلى الشارع الى أسفله ، أو يصعدون من أسفله الى أعلاه ، ويختلط بعضهم ببعض فيخيل اليها أن شارعهم — وهي تطل عليه من عل — هو مجرى سيل ، فمن ناحية تكتنفه العمارات المرتفعة، وعلى الاخرى يستقر جبل (قبيس) قد انتشرت فوقه البيوت والمساكن حتى أصبح كأنه مدينة قائمة بذاتها .

وكرت بذاكرتها الى أيام خلت فانفرجت شفتاها عن بسمة خفيفة وهى تقول محدثة نفسها : بل هو على الحقيقة مجرى سيل . ما كان أشد ولعها — وهى طفلة غريرة — بمشاهدة السيل في تدفقه وجريانه حاملا فى طريقه اشياء كثيرة متنوعة ، كانت تتبعها بعينيها أثناء مسيرها فتحسبها سفنا تمخر عباب بحر متلاطم الامواج ، زاخر الاثبـــاج ، ولعلها كانت تسرع الى أمها فتمسك بتلابيبها حتى تأتى بها الى النافذة لتشاهد معها ذاك السيل المتدفق ، وتلك الاشياء الصغيرة المتنوعة التى لا تقوى على اعتراض طريقه فتستسلم لتياره ، ذكرت أمها فترقرقت الدموع فى عينيها ، ها هى ذى طريحة الفراش منذ ما يقرب من العام ، لا تكاد تغادره الا لقضـــــــاء حاجة لا مناص من قضائها ، ثم تعود اليه ، خائرة القوى ، شاحبة اللون ، تتراقص شفتاها توجعا وشكاية من هذه الآلام التى تنتابها بين الحين والآخر .

ما اكثر ما تناولت من دواء ، وما أكثر من عادها من أطباء ، ولكن العلة هى العلة ، والآلام هى الآلام .

اتجهت الى أمها متثاقلة الخطى ، وأجلستها فوق فراشها ، وامسكت بقارورة صبت من سائلها شيئا فوق ملعقة قربتها من فمها فابتلعته على كره ومضض ، ثم انزلقتالي فراشها وقد اتسعت عيناها ولمع فيهما بريق وهي تتطلع الي ابنتها مشفقة من عنائها وتعبها ، وكأنما تريد أن تقول : لا فائدة — يا بنية — ولا رجاء ، فلم تشقين على نفسك ؟

ولم تنبس الابنة بكلمة ، وانما انتبذت من نفسها مكانا قصيا ، وأطلقت العنان لعبراتها تبلل بها خديها ، ودخل أخوها على حين غفلة منها فرآها على ما هى عليه فتخاذلت ساقاه ، وخيل اليه أنهما لا تقويان على حمله ، وانه سيتهاوى على الارض كأنه بنيان قد انقض فجاة . قال يسأل أخته فى انفاس متتابعة :

ـ ماذا بك ؟ هل ألم بها شيء .. ؟ هل أصابها مكروه .. ؟

ولم تجب ، وانما مسحت عينيها بمنديل في يدها ، ثم اتخذت مجلسا فوق مقعد القت بنفسها فوقه القاء ، وظل الابن ذاهلا لا يدرى شـــيئا ، وأحست الأم بمقدمه فنادت في صوت ضعيف متهالك :

ـ فواز ، فواز ، أين أنت .. ؟ هل أتيت يا بني .. ؟

وسمع (فواز) الصوت الضعيف المتهالك يحمل اسمه ، فثاب اليه رشده ، وردت اليه روحه ، وانتظمت أنفاسه التي كادت أن تنقطع خشية وتوجسا ، وهرع الى أمه يحتضنها ويدعو لها بالبرء والشفاء ، ثم عاد الى أخته يكيل لها اللوم والتقريع ، ولكنها تطلعت اليه يكسو وجههـــا الحزن والأسى وهي تقول :

ـ الى متى ستظل على هذه الحال .. ؟ ان فؤادي يتمزق كل يوم عشرات المرات ، ليت الله أن يشفيها أو ..

وغص حلقها فلم تكمل كلامها ، وانما عادت العبرات تنهمر فوق خديها منطلقة العنان .

وقلب (فواز) كفيه ، يضرب الواحدة بالاخرى وهو يقول :

ـ ارادة الله ، وماذا في وسعي أو وسعك أن نفعله ؟ لم ندخر جهدا ، ولم نبخل ـ على علاجها والتماس الدواء لها ـ بمال ، وليس في طاقتنا بعد ذلك الا أن نبتهل الى الله أن يشفيها ويكتب لها البرء والنجاة . هل في وسعنا غير ذلك ؟ هو وحده بيده كل شيء ، ولكل أجل كتاب ، واذا حانت الآجال فلا مهرب ولا مفر .

وبدا كمن يفكر في شيء ، أو كمن يتذكر شيئا ، وانفرجت أسارير وجهه وهو يقول لأخته في ابتهاج كمن يزف اليها بشرى :

ـ لقد سمعت عن طبيب في (جده) له سيرة حسنة على الســـنة الناس ، فهم يلهجون باسمه ، ويمدحون فيه المهارة ويشيدون بالمقدرة ، ولعل الله أن يجعل الشفاء على يديه ، فاذا كانت الغداة فسأذهب بها اليه من يدرى ؟ لعلها بعد ذلك تصبح غير ذات أسقام .

وفي عصر اليوم التالي ، كان (فواز) قد أعد العدة للذهاب بأمه الى ذاك الطبيب . تحاملت الأم على نفسها مستندة على ذراع ابنها وهو يكاد أن يحملها حملا حتى استقرت في داخل السيارة . واتخذ (فواز) مكانه أمام مقود السيارة وقد غمرته فجأة مشاعر الفرح والسرور . وسار بسيارته الهويني في شارع (جياد) حتى اذا بلغ منتهاه انحرف عن يمينه ثم توقف هنيهة ملتفتا الى أمه يريد أن يلتمس شيئا يسرى به عنها فقال مفتر الثغر ضاحك السن :

ـ ألا تلحظين شيئا يا أماه على هذا الشارع .. ؟

ردت مبتسمة :

ـ بلى يا بنى ، لكأنى به قد ازداد سعة ورحابة .

شاعت الفرحة فى أسارير (فواز) وهو يقول :

ـ انه لكذلك ، أنظرى الى الجبل عن يمينك ، ألا ترين أثر الهدم فيه ، لقد اقتطع منه جزء كبير ، أضيف الى الشارع فأصبح على ما ترين .

ومضت بهما السيارة متجهة الى (الغزة) ، ثم الى (ريع الحجون) فى طريقها الى (جده) .

لاذت الأم بالصمت غير راغبة فى كلام أو حديث ، ولكن عقلها لم يكن يكف عن التفكير ، تارة فى مرضها الذى أعيا الاساة ، وأخرى فى هذا الطريق الذى لم تقع عليه عيناها منذ زمان طويل .

وبلغت السيارة مشارف (جده) ، ووقعت عينا الأم على صخرتين كبيرتين تتوسطان الطريق فقالت فى فرح كفرح الاطفال :

ـ « أم السلم » ، أليس كذلك .. ؟

التفت اليها (فواز) وهو يشاركها فرحها قائلا :

ـ بلى ، انها هى .

قالت الأم :

ـ أعرفها من هاتين الصخرتين ، ومن الطريق حين يهم بالارتفاع صاعدا .

قال (فواز) منشرح الصدر :

ـ ومن هذا البناء الذى يتوسط الطريق ، ويستقر بداخله شرطى الجوازات ، هل نسيت .. ؟

وعاد الصمت يلفهما بردائه ، وعادت الأم تفكر وتتأمل وهى تتطلع بعينيها يمنة ويسرة :

ـ ما أسرع ما يمتد العمران ، لو استمر الحال على ما هو عليه فما أظن الا أن (مكة) و (جده) ستتصل احداهما بالاخرى ، أو يكون بينهما من المسافة ما لا يكاد يذكر .

وصل (فواز) الى مبتغاه ، فأوقف سيارته ، وخرج وأمه تتحامل عليه تحاملا شديدا ، ودخلا الى عيادة الطبيب ، وجلست الأم فى غرفة للنساء ، وانتظر هو مع المنتظرين فى غرفة الرجال ، وحان دور الأم فاتجهت الى الطبيب الذى جعل يسأل ويستفسر عن أصل الداء وأعراضه وبدايته ، وفحص مستأنيا ، وخرجت المريضة منبسطة الاسارير تقص على ابنها ما رأت وما سمعت ، وهى راضية مستبشرة .

وارتاح (فواز) لراحتها ، ثم عادا أدراجهما الى السيارة .

لم تكن غير لحظة تلك التى انبسطت فيها أسارير الأم وتلك التى رضيت فيها واستبشرت ، ثم ما لبثت أن عادت الى التجهم والاكتئاب ، وعاد ذهنها الى تفكير القانط الذى دهمه اليأس من جميع أقطاره حتى لم يكن يجد لنفسه منفذا أو مخرجا .

وما هى الا ساعة أو تزيد قليلا حتى كان (فواز) يتهادى بسيارته متجها الى بيته فى (جياد) مارا بـ (السوق الصغير) وهو يتمهل فى سيره تارة ، ويتوقف أخرى حتى يتيح لافواج الخارجين من (الحرم) عبور الشارع بعد صلاة العشاء .

تطلعت الأم ناحية (الحرم) وبدا لـ (فواز) كأنما قد استشف ما يدور فى خلدها ، فقال مبتسما :

— هيا بنا ندخل .

وفتح باب السيارة ، واخذ بيد أمه يعينها على الخروج .

كان (الحرم) متلألئا بالانوار ، يتردد فى جوانبه التهليل والتكبير ، والناس فى رحابه بين ساع وطائف ، وقائم وقاعد ، منهم من يسعى بين (الصفا) و (المروة) ، ومنهم من يطوف بالكعبة متعلقا بأستارها تارة ، متمتما بالدعاء تارة أخرى ، ومنهم من يقوم ويقعد قد اتخذ من مقام ابراهيم مصلى ، ومنهم من جلس فى خشوع وابتهال باسطا بين يديه كتاب الله يقرأ بعض آياته .

اقتربت الأم من الكعبة ، وجلست ساكنة ، قد ران عليها الصمت والخشوع ، وغير بعيد منها جلس ابنها (فواز) ، وما هى الا لحظة حتى نهضت منتصبة القامة مستقيمة العود ، لكأنما قد دب فيها فجأة دبيب الصحة والعافية ، أو كأنما قد بدلت فى لمحة خلقا جديدا ، وهرع (فواز) يلحق بها ممسكا بيدها وهو يقول فى اشفاق :

— ولكنك لا تقدرين يا أماه ، ليس فى طاقتك ذلك ، حسبك الجلوس على مقربة منها ، اذا كنت قد عقدت العزم على الطواف فدعينى آت لك بمحفة وأستأجر لك من يحملك فوقها .

ولكنها لم تلق اليه بالا ، ولا أصاخت له سمعا ، وانما بدات الطواف وهى تحس كأن طاقة قوية قد تدفقت فى كيانها فجأة ، فهى تشـــيع فيه الصحة والعافية ، وتمده بالقدرة على الحركة والنشاط . وجعل (فواز) يرنو اليها مشدوها لا يكاد أن يصدق ما تراه عيناه ، وأخذ يحدث نفسه قائلا : لقد كنت أحملها حملا ، لقد ظلت طريحة الفراش زمنا ، اية قوة تلك التى واتتها على غير توقع وانتظـــار ، انها لم تعد مريضـــة ، لقـــد زايلها المرض وانكشفت عنها غمته .

وفرغت الأم من طوافها ، وقد غمرت وجهها ســــعادة قد نبعت من سويداء قلبها ، ثم اتجهت الى (مقام ابراهيم) تركع أمامه وتسجد ، وتقوم وتقعد ، وابنها لا يحول عنها عينيه ، وهو يكاد يقفز من مكانه فرحا ، ثم لم يلبث أن رفع يديه الى الله شـــكرا واعترافا بما اسبغ من فضـــل ، وبمـــا انعم من نعمـــة .

وخرجا من الحرم معا ، والأم تدب على قدمين قويتين ، واتخذت

مجلسها فى السيارة بغير مساعدة او مساندة ، وأمسك (فواز) بالمقود ثم التفت الى امه يقول ضاحكا :

ــ لم اشتر الدواء بعد ، سأذهب لشرائه .

ــ كلا ، لا حاجة لى به ، لم يعد بى مرض ، حمدا لله على ما أنعم وأفاد ، لعل الله قد أجرى على خاطرك ذكر هذا الطبيب لكى يحدث ما حدث وليس سواه .

وفى البيت كانت الابنة تنتظر بقلب واجف ، ولم تكد ترى أمها حتى اعتراها ما اعترى (فواز) وهو مع أمه فى رحاب الحرم ، وتطلعت اليهما تقول فى دهشة :

ــ عجبا ، هذا من فعل الطبيب !

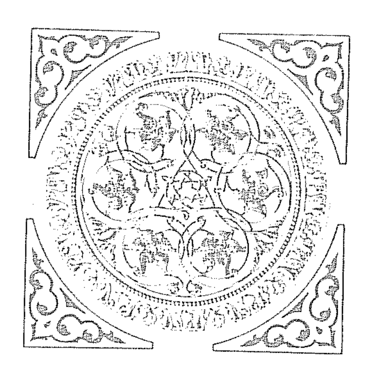
واعترضت الأم مستنكرة :

ــ بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء ، ويسـبغه على من يشاء ، لا تأتينى بعد اليوم بدواء يا بنية ، وحسبى كل يوم ان أذهب الى هذا الحرم الآمن المطمئن ففيه الدواء لكل الادواء .

قلب (فواز) وجهه بين امه واخته ، واتخذ لنفسـه الى جانب الأم مجلسا ، وشغله التفكير والتدبير فأخذ يناجى نفسه قائلا :

ــ لا وجه لغرابة او استغراب ، ولا محل لعجب او دهشة ، انما هو فعل الايمان وأثره فى النفوس ، ولو خلصت النيات ، وصفت القلوب ، واتجهت الناس الى بارئهم بقلوب صافية غير مشوبة بشوائب واخلاط ، لما الم بهم مرض ، وما اعترضت حياتهم علل واوجاع ، تنغص عليهم الحياة ، وتفسد عليهم سعادتها وبهجتها .

انه الايمان ، صانع المعجزات ، لا يخفى اثره ولا ينكر فضله ، هو دواء لكل الادواء : أدواء النفس وأدواء الجسد معا .





صورة من الرسالة المفتوحة التى وجهها مكتب المؤتمر الاسلامى العام فى عمان لملوك ورؤساء الدول الاسلامية ، والمتضمنة النداء لهم بنصرة الحق وازالة الخطر المحدق بالارض المحتلة والقدس خاصة .

فى حلكة هذا المنعطف التاريخى وتدافع الخطوب والاحداث التى تحيط بامة الاسلام ، نتوجه اليكم ناقلين صدى صرخات الايتام الذين حرموا عطف الابوة ، ونحيب الأمهات اللواتى فقدن الابناء ، وحيرة الأرامل اللواتى فقدن حنان الازواج ، باسم مئات الآلاف من المشردين الذين يفترشون الارض ويلتحفون السماء ، بعد أن تنكر لهم ضمير الانسانية ، حين طردوا من بيوتهم وديارهم ليفرض عليهم اللجوء والتشريد .

باسم الاسلام الذى جمعتنا عقيدته نتوجه اليكم معلقين الآمال الكبيرة على مؤتمركم الخير أن تتذكروا فى كل قرار يتخذ ومع كل بيان يصدر انصاف الحق وأهله وخذلان الباطل ومشايعيه ، خاصة وانكم تلتقون باسم الاسلام وشريعة التوحيد وبعد أن عرفت الدنيا كلها ما وقع على مقدساتنا من جراء الاحتلال اليهودى الغاشم وما آلت اليه الاوضاع فى القدس دون أن يقع فى ذهن العدو الغاصب أن القدس لها الاهمية الكبيرة لدى شعوب الاسلام ودوله ..

أيها السادة ،

حين نذكر القدس بشكل خاص ، نذكرها ونحن نغص بكلماتنا ، كقبلة اولى للمسلمين حين كانت الدعوة الاسلامية فى بدايتها تبحث لها عن هوية ولقد التزم العرب والمسلمون فى كل العصور صيانة المقدسات الدينية وتامين الوافدين لها من كل ملة ونحلة وأشاعوا فى بيت المقدس جوا من الدعة والطمانينة حتى تؤدى رسالتها المقدرة كواحة للأمن ومهدا للسلام على الارض .

وانكم لتعلمون أن القدس ليست في الكيان الاسلامي مجرد مدينة من تلك المدن الكثيرة التي تخضع لمد الزمن وجزره ، لا وليست حاضرة خبرى نرتبط بالمقدسات والذكريات التي يمكن الاستغناء عنها بغيرها ، انها للوجود الاسلامي — عقيدة وحضارة وأوطانا — ذلك الرمز الشامخ الذي يعني بقاؤه أو زواله بقاء الكيان أو اندثاره من الوجود .

ان القدس في تاريخنا هي خط الدفاع الاخير والخندق الذي لا يجوز بعده التراجع ، فاذا ابتلعها الخطر كان على الامة الاسلامية أن تختار خيارها الحاسم بين الوجود والعدم . وها قد عادت القدس اليوم يغمرها طوفان أسود كئيب حين دخل المستعمر القزم باحات مسجد عمر وقبة الصخرة المشرفة وأخذ يعبث بالمقدسات ويغير واقع المدينة وواقع سكانها ويفرض عليها شراذم الوافدين الغرباء .

لقد قدم العدو الدليل تلو الدليل على أن هدفه المرسوم هو تدمير الكيان الاسلامي في المدينة المقدسة وفرض الوجه اليهودي الزائف عليها ، ولقد شرع منذ حرب حزيران عام (١٩٦٧) يفتعل الاسباب لتحقيق هذا الهدف ، ففي الرابع من آب من ذلك العام ، نشرت مجلة (تايم) الامريكية حوارا مع المؤرخ اليهودي (اسرائيل الداد) حول اعادة بناء هيكل سليمان فقال « اننا نقف في مرحلة حيث كان سليمان في القدس ، أما المسجد الاقصى فهو موضوع بحث ، ولكن من يدري فقد تحدث هزة أرضية » ، والهزة الارضية المقصودة ستاتي بفعل الحفريات التي تجري تحت مبنى المسجد الاقصى وكان الحريق المفتعل داخل المسجد خطوة أولى نحو هدمه ، وفي الاسبوع الثالث من احتلال البقية الباقية من القدس في عام (١٩٦٧) م اصدر البرلمان اليهودي قانونا بضم القدس الشرقية الى دولة الاحتلال متحديا بذلك قراري الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (٢٢٥٣) تاريخ (٤ تموز ١٩٦٧) ورقم (٢٢٥٤) تاريخ (١٤ تموز ١٩٦٧) ومنذ ذلك التاريخ أخذت سلطات الاحتلال اليهودي ترغم السكان العرب على التنازل عن ملكية أراضيهم وتطرد من يرفض الانصياع لذلك ، رغم الاحتجاجات والقرارات الدولية التي شجبت هذه التصرفات الهمجية والوسائل البربرية الصهيونية التي خطط لها وأشرف عليها زعماء اليهودية العالمية .

أيها السادة ،

تعلمون أن أول مؤتمر اسلامي عقد كان موضوعه الرئيسي ما أصاب المسجد الاقصى في القدس بعد الحريق الذي اندلع فيه على يد سلطات الاحتلال اليهودي ، وعندئذ بدأت علائم الحياة ودلائل العافية تظهر على الجسم الاسلامي للالتفاف حول العقيدة السامية ، ولا ننسى أن انعقاد مؤتمركم هذا جاء بعد العدوان اليهودي في رمضان الماضي على اخوتكم العرب فكان علاقة ايمان وتكاتف ضد الخطر المشترك وليؤكد من جديد أن أرض الاسراء هي جزء لا يتجزأ من الوطن الاسلامي لا سبيل للتخلي عنها أو التفريط في شيء منها .

وفي هذا الظرف العصيب الذي تظهر فيه المشاريع المتآمرة والتي تود نزع اسلامية القدس عنها سواء عن طريق التدويل أو التهويد ، ينعقد مؤتمركم العتيد ليعلن أن الشعوب الاسلامية لن تتنازل عن قدسها والسيادة على مقدساتها الى اى جهة كانت مهما بذلت فى سبيل ذلك ، وستبقى القدس بؤرة توتر فى العالم ما دام الوضع السائد على ما هو عليه من تنكر لحقوق الشعب المشرد والمقدسات الاسيرة .

ايها السادة ،

ازاء هذه الاحداث وما ترونه من نذر تلوح فى الاجواء الدولية تقودها الكتل والمنظمات الدولية المتصارعة ، تبرز ضرورة حيوية للتضامن الاسلامى ، ولا بد للمواقف الاسلامية من أن تزداد وضوحا فى دعمها للحق العربى وللضغط على الدول الكبرى التى تقف ظهيرة للعدوان اليهودى .

ونجد من واجب الدول الاسلامية المشاركة الفعالة فى معركة البترول الحالية لتشعر قوى الطغيان أن دعم الظلم والوقوف مع المعتدين سيكلفهم الكثير فى اقتصادهم ومالهم ومصالحهم ، وظننا أن اخوتنا فى البلاد الاسلامية كلها يشاركوننا الشعور بأن من يساند المعتدى شريك فى الجريمة ، فكيف اذا كانت الفريسة مقدسات الاسلام وقبلته الاولى كما أن الاحداث تدفعنا للمطالبة بايجاد تكتل اسلامى عسكرى ليكون الدرع الواقى والمظلة التى يقف تحت سقفها التجمع الاسلامى وقاية من الاخطار المحيطة ودفعا للضيم وازالة للاعتداء عن كل شبر من أرض الاسلام يتعرض لأى نوع من التآمر ، وأولها ازالة الحيف الذى يلف مقدساتنا فى القدس وفلسطين والذى اذا ما تهاونت الدول الاسلامية فيه ولم تفكر فى ازالة غيمته ، سيكون الباب الذى يلجه العدو الغاصب للوصول الى مدينة محمد (صلى الله عليه وسلم) والكعبة المشرفة — لا سمح الله .

راجين لمؤتمركم النجاح ولشعب باكستان المسلم — الذى حمل لواء الدعوة لهذا الاجتماع — مزيدا من القوة ليكون ظهيرا ونصيرا للاسلام وقضايا المسلمين .

((ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)) .

صدق الله العظيم

المؤتمر الاسلامى العام
(لبيت المقدس)
عمان — الأردن



في الأذان .. ؟

السؤال :

بعض المؤذنين يفتح الراء في التكبيرة الاولى في الأذان فيقول : الله اكبرَ ، الله أكبر ، فهل يجوز ذلك .. ؟

فهد السحيم ـ الاحساء

الاجابة :

يستحب أن يقف المؤذن على التكبيرة الاولى بالسكون ، ويجوز أن يصلها بالتكبيرة الثانية ، وفي هذه الحالة يجوز له اسكان الراء وتحريكها بالضم حركة اعراب وتحريكها بالفتح بنقل حركة اسم الجلالة في التكبيرة الثانية الى الراء ، وأما التكبيرة الثانية فلا بد من اسكان رائها وتحريكها خطأ .

الصلاة على النبي

السؤال :

ما معنى الصلاة في قول الله تعالى : « ان الله وملائكته يصلون على النبي » .. ؟

عثمان بنونه ـ البحرين

الاجابة :

الصلاة من الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم تشريف له وزيادة تكرمة فهي رحمة خاصة ، وقيل هي ثناء منه سبحانه على حبيبه ومصطفاه ، والصلاة على النبي من الملائكة دعاء له بزيادة الانعام والاكرام .

قال ابن عباس : ان الله تبارك وتعالى يبارك لنبيه في أمره ويزيد في قدره ، والملائكة يدعون ربهم أن يرفع ذكره .

وصلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم طلب من الله تعالى ودعاء له أن يزيد في انعامه واحسانه وفضله على رسوله ، وما من كمال الا وعند الله اكمل منه وما من احسان الا يفوقه احسانه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

معاشرة الزوجة بعد الطلاق

السؤال :

رجل طلق زوجته ، ولم يخبرها بهذا الطلاق ، واستمر يعاشرها معاشرة الأزواج بعد وقوع الطلاق ، فهل يحل ذلك شرعا .. ؟

على الكرخي ـ الموصل

الاجابة :

الطلاق الذى أوقعه الزوج ان كان رجعيا ، فمماشرته لزوجته بعده اذا كانت قبل انقضاء عدتها منه شرعا كانت رجعة ، ولو لم تعلم بالطلاق ، واذا كانت بعد انقضائها ، أو كان الطلاق بائنا كانت مماشرته محرمة ، ويجب التفريق بينهما ..

الطلاق قبل العدة
والطلاق بعد العدة

السؤال :

رجل طلق زوجته طلقة اولى رجعية ، واثناء العدة وقبل مراجعتها قال لها « أنت طالق مرة ثانية » ثم قال لها وهى لا تزال فى العدة « أنت طالق ثلاثا » فما هذا الطلاق ، وهل يختلف الحكم اذا كانت فى العدة أو خرجت منها .. ؟

ابو اليزيد الجمل — الاردن

الاجابة :

الطلاق الثانى والطلاق الثالث اللذان صدرا من المطلق والزوجة فى عدة الطلاق الرجعى الاول يقعان ، وبذلك تصبح بائنة منه بينونة كبرى ، فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره بشروطه الشرعية ، واذا صدر الطلاق الثانى والثالث بعد انقضاء العدة فلا يقعان لأن المرأة حين الطلاق لم تكن محلا للطلاق ، فيجوز العقد عليها برضاها ومهر جديد .

حكم تسعير مواد التموين

السؤال :

ما حكم الشرع فى تسعير مواد التموين وغيرها وما الحكم فى البيع اكثر من السعر المحدد .. ؟

بندر خليفة — الكويت

الاجابة :

تسعير المواد التموينية فى أوقات الأزمات عمل ضرورى تقتضيه المصلحة العامة لتيسير العيش لجميع الأفراد على سواء ، ويدخل ذلك فى باب السياسة الشرعية التى تجعل لولى الأمر فى مثل هذه الظروف حق التخصيص والتحديد والتسعير استنادا الى قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) وتجعل طاعته فيما يجريه فى ذلك حتما ومخالفته اثما والعقوبة عليها حقا .

وكذلك الحكم فى تسعير غيرها مما يحتاج اليه فى المعيشة كالملابس ومواد البناء ، ويحرم البيع بأكثر من السعر المحدد والله أعلم .

زواج المطلقة قبل الدخول

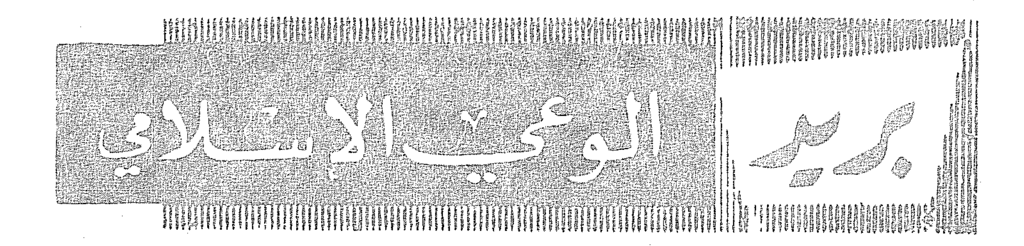
السؤال :

رجل طلق زوجته قبل الدخول بها ، فهل يحل لها ان تتزوج بآخر قبل انقضاء عدتها .. ؟

آدم فضل — السودان

الاجابة :

المطلقة قبل الدخول والخلوة بها تبين من زوجها ، لا عدة عليها ، ويجوز لها التزوج بآخر عقب الطلاق قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها » .



إعداد : عبد الحميد رياض

وزع فى جنوب تايلاند مصحف مزور على حســـاب جماعة التبشـــير (تمجاريك)

وقد قام الحاج حسن الأستاذ بالمدرسة الحسنية فى منطقة (فطانى) بمراجعته وبيان الأخطاء الواردة فيه وفيما يلى هذا التصحيح :

السورة	الآية	الخطا	الصــــواب
آل عمران	١٣٠	يا أيها الذيم ولهم عذاب اليم	يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا
	١٤٣	وأنتم لا يشترون	وأنتم تنظرون
	١٨٨	من العذاب آمنوا	من العذاب ولهم عذاب اليم
	١٩٩	خاشعين لله تنظرون	خاشعين لله لا يشترون
المائدة	٩٣	ليس عليك وعلى والدتك	ليس على الذين آمنوا
	١١٠	ولو عليك وعلى والدتك	اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك
الأنعام	٧٧	لأكونن ما تستعجلونه	لأكونن من القوم الضالين
	٩٨	لأكونن يفقهون	قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون
	١٠٨	فيسبعوا لله عدوا	فيسبوا الله عدوا
الأعراف	٤٦	وعلى الأعراف اجال	وعلى الأعراف رجال
النور	٥٦	لدلكم ترحمه ن	لعلكم ترحمون
يس	٦٦	لطمسنا على هذا ذكر	لطمسنا على أعينهم
الصافات	٣٩	وما تجرون ولا تزر وازرة	يرضه لكم ولا تزر وازرة
الزمر	٧	يرضه لكم الا ما كنتم	وما تجزون الا ما كنتم
المؤمن	٥٧	اخلق السموات	لخلق السموات
الزخرف	٨٠	لا نسمع مرهم	لا نسمع سرهم

بسم الله الرحمن الرحيم

MOHAMED RASSOUL, M. A.
GDS-DIPLOM

ISLAMIC INFORMATION CENTRE

5 Köln 80 (Dünnwald)
Leimbachweg 2
Telefon: Köln 602811

الموضوع = امداد مركز الدعوة الاسلامية بالمطبوعات التعليمية باللغة الالمانية

خطاب دورى موجه الى الحكومات الاسلامية ووزارات الاوقاف والشئون الاسلامية بها والهيئات العاملة على نشر الدعوة الاسلامية

Datum: تاريخ خاتم البريد

حضرات الاخوة الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

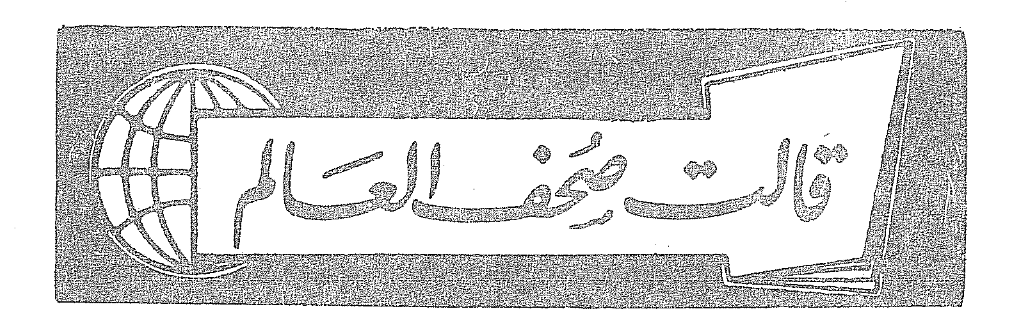
الدعوة الى سبيل الله عز وجل مفتوحة للجميع ، بل هى واجب وفرض عين على كل مسلم قادر يملك العلم والوسائل لذلك الامر . وانطلاقا من هذا المبدأ الاسلامى قام محرر هذا الكتاب بتكوين مركز للدعوة الاسلامية مع بعض الاخوة الذين اكرمهم الله سبحانه وتعالى بطلاقة اللسان الالمانى وسعة العلم والحجة ، فانبروا يدعون فى كل مناسبة وكل مكان ، وقد لمسوا مع هذا العمل توفيق المولى عز وجل ولاقوا نجاحا بفضل الله كانوا لا يتوقعونه بهذه السرعة . فان عدد المهتمين بالاسلام يزداد يوما بعد يوم وانهدمت فى كثير من الاذهان هذه الصورة المقيتة التى شكلتها الكنيسة عن الاسلام والمسلمين منذ العصور الوسطى .

لقد اصبحت حاجتنا ماسة الى مطبوعات مختلفة باللغة الالمانية توضح الصلاة والزكاة والحج والصوم واحكام العبادات بصفة عامة وارشادات عن احكام الاسلام وشرح لتعاليمه الى اخر هذه الكتيبات التعليمية .
كذلك نحن فى حاجة الى مراجع اسلامية باللغة العربية ذات قيمة علمية للاستناد اليها فى البحث والتوسع فى اقراع الحجة بالحجة .
واننا لكبيرى الامل عند الله سبحانه وتعالى ان تتقضى حاجتنا على اياديكم وتتكرموا بارسال مافى وسعكم وطاقتكم من كتب ومطبوعات على العنوان التالى

Mr. Mohamed Rassoul
Islamic Information Centre
5 Cologne 80, Leimbachweg Nr. 2
Western Germany

نتقدم اليكم بالشكر سلفا وندعو الله ان يجزيكم عنا خير الجزاء ويوفقكم الى مايحبه ويرضاه .

محمد رسول
مركز الدعوة الاسلامية بالمانيا الغربية



الايمان طريقنا الى النصر بحول الله

ليس النصر فى معركة من المعارك فى تاريخ الأمة الاسلامية الا ثمرة للجهود ، وليس هو الاصل أو الهدف كما علمنا الاسلام فى تاريخه المجيد ، وان دراسة التاريخ الاسلامى الاول تدل على أن عددا كبيرا من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بذلوا نفوسهم فى سبيل اعلاء كلمة الحق ، وتطبيق تعاليم النبى صلى الله عليه وسلم ونالوا الشهادة فى سبيلها ، ولم تشهد عيونهم بوادر النصر ، ولكن السنتهم كانت تلهج (فزت ورب الكعبة) ان هذا الايمان بوعد الله ونصره والشوق الى الشهادة فى سبيل الله هو الطريق المضمون المجرب لتحقيق النصر ، وما النصر الا من عند الله .

اننا لا ننظر الى معركة العاشر من رمضان من ناحية الاعتبارات العسكرية والمنجزات الحربية ، بكل تقدير واعتراف بالنصر الذى اعترف به وحتى الدوائر الغربية — وانما ننظر الى الاساسيات التى حققت هذا التقدم فى النضال وبوادر الامل والتفاؤل التى ابرزتها الحرب ، وكل ما حقق العرب فى هذا المجهود الحربى كان نتيجة لتغيير أساسى فى الفكر وتحول جذرى فى طبيعة الاستعداد والتنفيذ ، وتغير فى مصدر الكفاح ومنبع القوة ، فاذا سارت القيادة العربية فى الطريق الذى اكتشفته فى الحرب فانى واثق بأنها ستواصل النصر .. وتحقق النصر النهائى مهما تكاثفت قوى العدوان .

انى اريد أن أوضح لا اومن بالدعم الأمريكى أو الدعم السوفياتى ، فانهما يمكن أن يكونا عاملين من العوامل ، ولكن المسلمين حطموا أسطورة الدعم فى معركتهم الأولى فى بدر ، فانتصر المسلمون رغم القلة ، واجهوا نكسة فى حنين رغم الكثرة ، فيختلف فى ذلك نظر المسلمين عن نظر غيرهم اختلافا جوهريا وعلى هذا الأساس يقوم صرح مجدهم ويستمدون منه قوتهم وانطلاقهم .

عن صحيفة الرائد الهندية

في سبيل الاصـــلاح

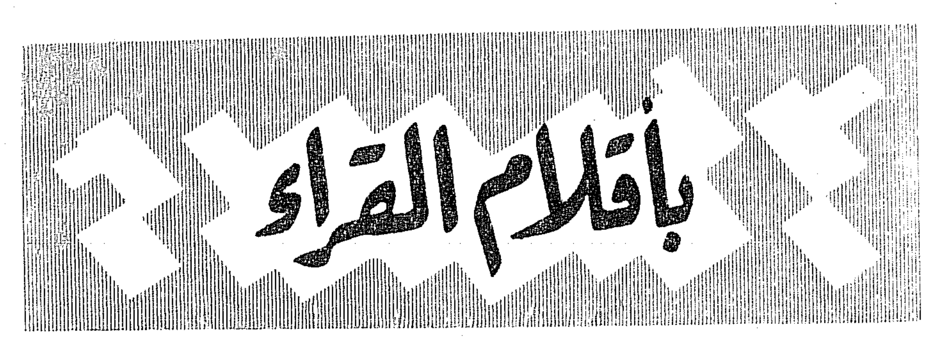
ضمني بالامس مجلس مع طائفة من الناس الذين أعرفهم والذين لا أعرفهم ، قضينا فيه ساعتين من الزمن ، تحدث فيه الحاضرون أحاديث لا تفيد في دنيا ولا في دين ، لا تخرج عن كونها كلاما غثا تافها ، وكلمات مهلهلة تذهب مع الريح ولا يبقى لها اثر في النفس ، وهي الى ذلك لا تخلو من الطعن بالناس وذكر معايبهم ومثالبهم وتوجيه سهام النقد اليهم بالحق حينا وبالباطل احيانا .

فقلت في نفسي لو ان أمثال هؤلاء عرفوا ما للوقت من قيمة ، وان كل ساعة تنقضي من عمر أحدهم تضيع عليه وانه مسؤول عنها ، وان كلامه محسوب عليه (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) أو أنهم عرفوا ذلك لما أضاعوا ساعات اعمارهم في اللغو الباطل والكلام الفارغ ، فالمؤمن اليقظ العاقل لا يتحدث الا بما ينفعه ولا يحضر الا المجالس التي تزيده علما وتمنحه خلقا وأدبا وتكسبه نفعا في أمور دينه وفي مصالح دنياه ، وهو مأمور بترك اللغو وهو الساقط من القول الذي لا خير فيه ولا نفع ، لان الانسان العاقل انما يتكلم لجلب منفعة أو لدفع مضرة فاذا خلا عنهما كان كلامه عبثا لا طائل تحته وقد وصف الله سبحانه عباده المؤمنين بقوله «والذين هم عن اللغو معرضون » وبقوله« واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه» وربما كان اللغو وبالاعلى صاحبه ، لانه لا يخلو من عبث وكذب وغيبة وبذاءة

وورد في الحديث أنه لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس ، من بينها (عن عمره فيم أفناه) وأيام عمر المؤمن محسوبة له أو عليه ، فهـو يستفيد منها ويشغلها بالخيرات والعبادة وطلب العلم والنصيحة والكسب الحلال والحديث النافع ، وقد ورد في الاثر من حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه ، يعني أن ما ينطق به اللسان معدود من العمل ويكتب في الحسنات أو في السيئات وهذا ما يشير اليه الحديث الشريف (وهل يكب الناس في النار على وجوههم الا حصائد السنتهم ؟) قال تعالى (لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس) واللسان يورد صاحبـــة موارد العطب ، ومن حفظ لسانه اراح نفسه ، ويروى عن الامام مالك بن أنس رحمة الله انه قال كل شيء ينتفع بفضله — أي بزيادته — الا الكلام فان فضله يضر ، وقال الفضل بن عياض شيئان يقسيان القلب كثرة الكلام وكثرة الاكل . .

ونختم حديثنا بان ننصح القراء ان يختاروا الموضوعات النافعة عنـــدما يتحدثون في مجالسهم ، فمن كان منهم يحفظ قصة طريفة ذات مغزى أو خبرا طريفا وصحيحا من أخبار التاريخ ، أو رأيا من الآراء الأدبية أو العلمية النافعة التي تصلح موضوعا للنقاش الهادىء المثمر فليحدث بها أخوانه وأن كان لا يحسن شيئا من ذلك فليكن مستمعا مستفيدا . .

عن صحيفة الدعوة السعودية



كيف يتكرر جيـــل الصحابة من جديد ؟

لقد خرجت هذه الدعوة جيــلا من الناس ــ جيل الصـــحابة رضوان الله عليهم ــ جيلا مميزا فى تاريخ الاسلام كله وفى تاريخ البشرية جميعه ثم لم تعد تخرج هذا الطراز مرة أخرى . . نعم وجد أفراد من ذلك الطراز على مدار التاريخ ولكن لم يحدث قط أن تجمع مثل ذلك العدد الضخم فى مكان واحد ، كما وقع فى الفترة الأولى من حيــاة هذه الدعوة .

هذه ظاهرة واضحة واقعة ، ذات مدلول ينبغى الوقوف امامه طويلا ، لعلنا نهتدى الى سره .

ان قرآن هذه الدعوة بين أيدينا ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه العملى وسيرته الكريمة ، كلها بين أيدينا كذلك ، كما كانت بين أيدى ذلك الجيل الأول ، الذى لم يتكرر فى التاريخ ، ولم يغب الا شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل هذا هو السر ؟

لو كان وجود شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم حتميا لقيام هـــذه الدعوة ، وايتائها ثمراتها ، ما جعلها الله دعوة للناس كافة . وما جعلها آخر رسالة ، وما وكل أمر الناس فى هذه الأرض الى آخر الزمان .

ولكن الله سبحانه تكفل بحفظ الذكر ، وعلم ان هذه الدعوة ستقوم بعـــد رسول الله صلى الله عليه وسلم وستؤتى ثمارها فاختاره الى جواره بعد ثلاثة وعشرين عاما من الرسالة ، وأبقى هذا الدين من بعده الى آخر الزمان . . واذن فان غيبـــة شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفسر تلك الظاهرة ولا تعللهـــا .

فلنبحث اذن وراء سبب آخر . لننظر فى النبع الذى كان يستقى منه هذا الجيل الأول فلعل شيئا قد تغير فيه . ولننظر فى المنهج الذى تخرجوا عليه فلعل شيئا قد تغير فيه كذلك .

كان النبع الأول الذى استقى منه ذلك الجيل هو نبع (القرآن) القرآن وحده . فما كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه الا اثرا من آثار ذلك النبع . فعندما سُئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : (كان خلقه القرآن) .

كان القرآن وحده اذن هو النبع الذى يستقون منه ويتكيفون به ويتخرجون عليه ، ولم يكن ذلك كذلك لأنه لم يكن للبشرية يومها حضارة ولا ثقافة ولا علم ولا مؤلفات ولا دراسات . .

كلا . . فقد كانت هناك حضارة الرومان وثقافتها وكتبها وقانونها الذى ما تزال أوربا تعيش عليه ، أو على امتداده . وكانت هناك مخلفات الحضـــارة

الاغريقية ومنطقها وفلسفتها وفنها ، وهو ما لا يزال ينبوع التفكير الغربى حتى اليوم . وكانت هناك حضارة الفرس وفنها وشعرها وأساطيرها وعقائدها ، ونظم حكمها كذلك .. وحضارات أخرى قاصية ودانية .. كما كانت اليهودية والنصرانية تعيشان فى قلب الجزيرة .

فلم يكن إذن عن فقر فى الحضارات العالمية والثقافات يقصر ذلك الجيل على كتاب الله وحده .. فى فترة تكوينه .. وانما كان ذلك عن (تصميم) مرسوم ونهج مقصود . يدل على هذا القصد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى فى يد عمر بن الخطاب رضى الله عنه صحيفة من التوراة وقوله : « .. وانه لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له الا أن يتبعنى » .

وإذن فقد كان هناك قصد من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقصر النبع الذى يستقى منه ذلك الجيل .. فى فترة التكوين الأولى على كتاب الله وحده ، لتخلص نفوسهم له وحده ، ويستقيم عودهم على منهجه وحده . ومن ثم غضب أن رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستقى من نبع آخر .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد صنع جيل خالص القلب خالص العقل ، خالص التصور ، خالص التكوين من أى مؤثر آخر غير المنهج الإلهى ، الذى يتضمنه القرآن الكريم .

ذلك الجيل استقى إذن من ذلك النبع وحده . فكان له فى التاريخ ذلك الشأن الفريد ، ثم ماذا حدث ؟ اختلطت الينابيع !

صبت فى النبع الذى استقى منه الأجيال التالية فلسفة الاغريق ومنطقهم ، وأساطير الزمن وتصوراتهم واسرائيليات اليهود ولاهوت النصارى . وغير ذلك من رواسب الحضارات والثقافات .

واختلط هذا كله بتفسير القرآن الكريم ، وعلم الكلام ، كما اختلط بالفقه والأصول أيضا . وتخرج على ذلك النبع المشوب سائر الأجيال بعد ذلك الجيل . فلم يتكرر ذلك الجيل أبدا .

وما من شك أن اختلاط النبع الأول كان عاملا أساسيا من عوامل ذلك الاختلاف البين بين الأجيال كلها وذلك الجيل المميز الفريد .

هناك عامل أساسى غير اختلاف طبيعة النبع . ذلك هو اختلاف منهج التلقى عما كان عليه فى ذلك الجيل الفريد .

إنهم فى الجيل الأول لم يكونوا يقربون القرآن بقصد الثقافة والاطلاع . ولا بقصد التذوق والمتاع . إنما كان احدهم يتلقى القرآن ليتلقى أمر الله فى خاصة شأنه وشأن الجماعة التى يعيش فيها وشأن الحياة التى يحياها هو وجماعته . يتلقى ذلك الأمر ليعمل به فور سماعه ، كما يتلقى الجندى فى الميدان الأمر اليومى ليعمل به فور تلقيه ومن ثم لم يكن أحدهم ليستكثر منه فى الجلسة الواحدة ، لأنه كان يحس أنه انما يستكثر من الواجبات التكاليف التى يجعلها على عاتقه . فكان يكتفى بعشر آيات حتى يحفظها ويعمل بها . كما جاء فى حديث ابن مسعود رضى الله عنه .

هذا الشعور .. شعور التلقى للتنفيذ .. كان يفتح لهم من القرآن آفاقا من المتاع ، وآفاقا من المعرفة لم تكن لتفتح عليهم لو أنهم قصدوا اليه بشعور البحث والدراسة والاطلاع ، وكان ييسر لهم العمل ويخفف عنهم ثقل التكاليف ،

ويخلط القرآن بذواتهم ، ويحوله فى نفوسهم وفى حياتهم الى منهج واقعى والى ثقافة متحركة لا تبقى داخل الأذهان ولا فى بطون الصحائف ، انما تتحول آثارا وأحداثا تحول خط سير الحياة .

ان هذا القرآن لا يمنح كنوزه الا لمن يقبل عليه بهذه الروح . روح المعرفة المنشئة للعمل . انه لم يجىء ليكون كتاب متاع عقلى ، ولا كتاب أدب وفن ، ولا كتاب قصة وتاريخ ، وان كان هذا كله من محتوياته انما جاء ليكون منهاج حياة . منهاجا اليها خالصا (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) الاسراء : ١٠٦ .

لم ينزل هذا القرآن جملة ، انما نزل وفق الحاجات المتجددة ، ووفق النمو المطرد فى الأفكار والتصورات ، والنمو المطرد فى المجتمع والحياة .. ووفق المشكلات العملية التى تواجهها الجماعة المسلمة فى حياتها الواقعية . وكانت الآية أو الآيات تنزل فى الحالة الخاصة والحادثة المعينة تحدث الناس عما فى نفوسهم ، وتصور لهم ما هم فيه من الأمر ، وترسم لهم منهج العمل فى الموقف ، وتصحح لهم أخطاء الشعور والسلوك ، وتربطهم فى هذا كله بالله ربهم ، وتعرفه لهم بصفاته المؤثرة فى الكون .

فيحسون حينئذ أنهم يعيشون مع الملأ الأعلى ، تحت عين الله ، فى رحاب القدرة . ومن ثم يتكيفون فى واقع حياتهم وفق ذلك المنهج الإلهى القويم . منهج التلقى للتنفيذ والعمل هو الذى صنع الجيل الأول . ومنهج التلقى للدراسة والمتاع هو الذى خرج الأجيال التى تليه . وما من شك أن هذا العامل الثانى كان عاملا أساسيا كذلك فى اختلاف الأجيال كلها عن ذلك الجيل المميز الفريد .

هناك عامل ثالث جدير بالانتباه والتسجيل ،لقد كان الرجل حين يدخل الاسلام يخلع على عتبته كل ماضيه فى الجاهلية . كان يشعر فى اللحظة التى يجىء فيها الى الاسلام أنه يبدأ عهدا جديدا منفصلا عن حياته التى عاشها فى الجاهلية .

وكان يقف من كل ما عهده فى جاهليته موقف المرتاب الشاك الحذر المتخوف ، الذى يحس أن كل هذا رجس لا يصلح للاسلام .

فاذا غلبته نفسه مرة . واذا اجتذبه عاداته مرة . واذا ضعف عن تكاليف الاسلام مرة .. شعر فى الحال بالإثم والخطيئة ، وأدرك فى قرارة نفسه أنه فى حاجة الى التطهر مما وقع فيه . وعاد يحاول من جديد أن يكون على وفق الهدى القرآنى ..

كانت هناك عزلة شعورية كاملة بين ماضى المسلم فى جاهليته وحاضره فى اسلامه .

واخيرا يجب أن يضع كل منا فى اعتباره ان هدفنا الأول أن نعرف : ماذا يريد منا القرآن أن نعمل ؟ ما هو التصور الكلى الذى يريد منا أن نتصور ؟ كيف يريد القرآن أن يكون شعورنا بالله ؟ كيف يريد أن تكون أخلاقنا وأوضاعنا ونظامنا الواقعى فى الحياة ؟

مصطفى أحمد حسن

أخبار العالم الاسلامي

اعداد : الأستاذ فهمي الامام

الكـــويت :

● يرأس سمو أمير البلاد المعظم وفد الكويت الى مؤتمر القمـــة الاسلامى المنعقد حاليا فى لاهور .

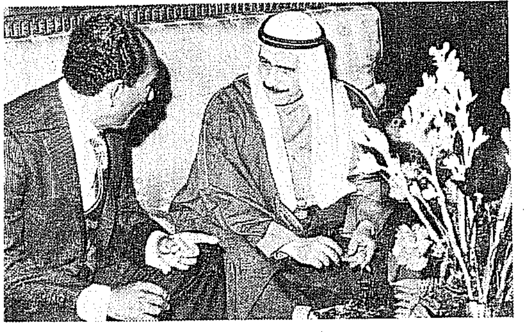
● زار البلاد فى الشهر الماضى بعض كبار الشخصيات العربية والاسلامية من بينهم رئيس جمهورية مصر العربية ورئيس الجمهورية العربية السورية ورئيس المجلس الأعلى لجمهـــورية الصومال الديمقراطية .

● أعلنت وزارة التربيـــة النتـــائج النهائية لمسابقة القرآن الكريم ، وقد حصل ٧٢ طالبا وطالبة على جوائز ماليـــة .

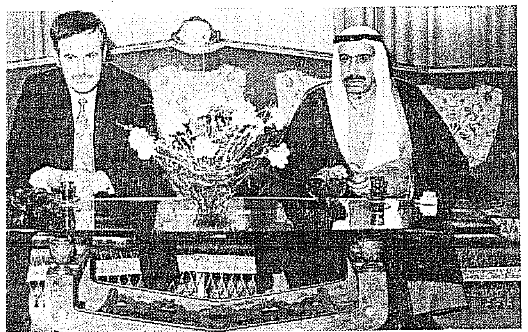
مصـــر :

● وافقت ادارة الأزهر علىالسماح لخريجـــات كلية البنات الاســـلامية بدخول مسابقة مبعوثى الأزهر الى البلاد العـــربية والاسلامية ، وذلك للعمل كمدرسات ومرشدات دينيـــات ورائدات اجتماعيات .

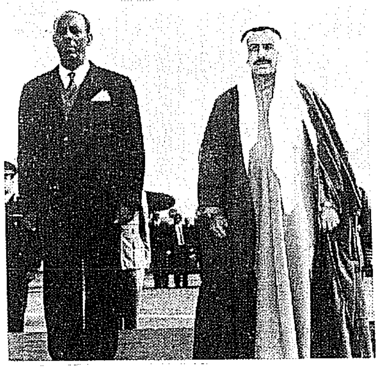
● بحث الدكتور عبد العـــزيز كامل نائب رئيسالوزراء للشئون الدينيـــة مع السيد ياسر عرفات قضية عروبة



● صاحب السمو ورئيس جمهوريـــة مصر العربية يتبادلان وجهات النظر .



● صاحب الســـمو الأمير المعظم ورئيس الجمهورية العربية السورية فى قصر السلام .



● صاحب السمو الأميـــر المعظم والرئيس الصـــومالى على منصـــة الشرف أثناء عـــزف السلامين الصومالى والكويتى .

مدينـــة القــدس وتعبئة الطــاقات الاسلامية للدفاع عنها وتحريرها .

● يعقد فى القاهرة اجتماع للخبراء العســكريين العــرب وذلك لبحث مشروع انشاء قاعدة عربية متطـورة للصناعات الحربية .

السـعودية :

● يقوم وفد رابطة العالم الاسلامى بزيارة الصــومال ، ويجرى الوفــد سلسلة من المباحثات واللقاءات تتعلق بالقضايا الاسلامية ، ودعم الصلات الأخوية بين المسلمين .

● اقترح وزير التجارة الســعودى انشاء معرض إسلامى فى جدة .

فلســطين :

● بلغ عدد الجمعيات الخيرية داخل الأرض المحتلة ١٧٥ جمعية .. مهمتها مساعــدة المواطنين الفلســطينيين تدعيما لصــمودهم ، ومحافظة على أراضــيهم ، وتقــدم القــروض والمساعدات المجانية لهم .

● اخبار متفرقة ●

الجــابون :

● أعلن الرئيس الغابونى الحاج عمر بونغو موافقته على افتتاح مكتب جديد لرابطة العالم الاسلامى فى غابون . يكون مقره فى العاصــمة ليبرفيل ، وتنطلق منه الدعوة الاســلامية فى ساحل افريقيا الغربى .

هولنــده :

● يبلغ عدد المسلمين فى هولنــده حوالى (٣٠) الفا ، تشــكلت لهــم جمعيــة اسلامية تهـدف الى تعبئة جهودهم لخدمة الدعوة الاسلامية .

باكســتان :

● يعقد مؤتمر القمة الاسلامى فى لاهور .. ويحضره أكثر من ٣٠ دولة اسلامية .

● وضعت باكستان مشروعا لانشاء مؤسســة للعــلوم الاسلامية تقــوم بتمويل عدد من مراكز الأبحاث وتدريب العلماء والفنيين فى العالم الاسلامى .

ميونيــخ :

● أفتتح فى مدينة ميونيخ مســجد جديد يضم مكتبة وقاعة واستراحة .. والمسجد يخدم (٣٠) الف مسلم فى ميونيخ .. وهو سادس مسجد فى المانيا الغربيــة .

اليــابان :

● تصدر رابطــة المسلمين اليابانيين نشرة باسم « صوت الاسلام » باللغة اليابانيــة مع ملخصــات باللغـــة الانجليزية .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	صفر ١٣٩٤	فبراير ١٩٧٤	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
السبت	١	٢٣	٤٥٠	٦٢٠	١٢١	٣١٩	٥٤٢	٧٠٠	١١ ٨	١٢٣٨	٩١٩	٩٣٤	١١٨
الاحد	٢	٢٤	٤٩	١٩	١	١٧	٤٣	١	٦	٣٦	١٨	٣٤	١٨
الاثنين	٣	٢٥	٤٨	١٨	١	١٧	٤٤	٢	٤	٣٤	١٧	٣٣	١٨
الثلاثاء	٤	٢٦	٤٧	١٧	١	١٧	٤٤	٢	٣	٣٣	١٧	٣٣	١٨
الاربعاء	٥	٢٧	٤٦	١٦	١	١٨	٤٥	٣	١	٣١	١٦	٣٣	١٨
الخميس	٦	٢٨	٤٥	١٥	١	١٨	٤٦	٤	١٠٥٩	٢٩	١٥	٣٢	١٨
الجمعة	٧	مارس	٤٤	١٤	٠٠	١٨	٤٦	٤	٥٨	٢٨	١٤	٣٢	١٨
السبت	٨	٢	٤٣	١٣	٠٠	١٩	٤٧	٥	٥٦	٢٦	١٣	٣٢	١٨
الاحد	٩	٣	٤٢	١٢	٠٠	١٩	٤٨	٦	٥٤	٢٤	١٢	٣١	١٨
الاثنين	١٠	٤	٤١	١١	٠٠	١٩	٤٨	٦	٥٣	٢٣	١٢	٣١	١٨
الثلاثاء	١١	٥	٤٠	١٠	٠٠	٢٠	٤٩	٧	٥١	٢١	١١	٣٠	١٨
الاربعاء	١٢	٦	٣٩	٩	٠٠	٢٠	٥٠	٨	٤٩	١٩	١٠	٣٠	١٨
الخميس	١٣	٧	٣٨	٨	٠٠	٢٠	٥١	٩	٤٧	١٧	٩	٣٠	١٨
الجمعة	١٤	٨	٣٧	٧	١١٥٩	٢٠	٥١	٩	٤٦	١٦	٨	٢٩	١٨
السبت	١٥	٩	٣٦	٦	٥٩	٢١	٥٢	١٠	٤٤	١٤	٧	٢٩	١٨
الاحد	١٦	١٠	٣٥	٥	٥٩	٢١	٥٢	١٠	٤٣	١٣	٧	٢٩	١٨
الاثنين	١٧	١١	٣٤	٤	٥٩	٢١	٥٣	١١	٤١	١١	٦	٢٨	١٨
الثلاثاء	١٨	١٢	٣٣	٣	٥٩	٢١	٥٤	١٢	٣٩	٩	٥	٢٨	١٨
الاربعاء	١٩	١٣	٣٢	٢	٥٨	٢١	٥٤	١٢	٣٨	٨	٤	٢٧	١٨
الخميس	٢٠	١٤	٣١	١	٥٨	٢٢	٥٥	١٣	٣٦	٦	٣	٢٧	١٨
الجمعة	٢١	١٥	٣٠	٥٥٩	٥٨	٢٢	٥٦	١٤	٣٤	٤	٢	٢٦	١٨
السبت	٢٢	١٦	٢٨	٥٨	٥٧	٢٢	٥٦	١٤	٣٢	٢	١	٢٦	١٨
الاحد	٢٣	١٧	٢٧	٥٧	٥٧	٢٢	٥٧	١٥	٣٠	٠٠	٠٠	٢٥	١٨
الاثنين	٢٤	١٨	٢٦	٥٦	٥٧	٢٢	٥٨	١٦	٢٨	١١٥٨	٥٥٩	٢٥	١٨
الثلاثاء	٢٥	١٩	٢٥	٥٥	٥٧	٢٢	٥٨	١٦	٢٧	٥٧	٥٩	٢٤	١٨
الاربعاء	٢٦	٢٠	٢٤	٥٣	٥٧	٢٣	٥٩	١٧	٢٥	٥٥	٥٨	٢٤	١٨
الخميس	٢٧	٢١	٢٢	٥٢	٥٦	٢٣	٥٩	١٧	٢٣	٥٣	٥٧	٢٣	١٨
الجمعة	٢٨	٢٢	٢١	٥١	٥٦	٢٣	٩٠٠	١٨	٢١	٥١	٥٦	٢٣	١٨
السبت	٢٩	٢٣	٢٠	٥٠	٥٦	٢٣	١	١٩	١٩	٤٩	٥٥	٢٢	١٨
الاحد	٣٠	٢٤	١٨	٤٨	٥٥	٢٣	١	١٩	١٧	٤٧	٥٤	٢٢	١٨

أم المؤمنين
السيدة عائشة رضي الله عنها

اســـــمها : عائشة بنت أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأمها : أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانيــة .

مولدهـــــا : ولدت بعد البعثة بأربع سنين فى مكة .

كنيتهـــــا : كناها الرسول بأم عبد الله . . نسبة الى عبد الله بن الزبير ــ ابن أختها ــ .

زواجهـــــا : كانت أول من تفتح لها قلب الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاة السيدة خديجة رضى الله عنها بثلاث سنين . وهى الوحيدة التى تزوجها الرسول بكرا . عقد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى بنت ست سنوات ودخل بها فى المدينة وهى بنت تسع سنوات ، وكان ذلك فى شوال من السنة الأولى للهجرة .

روايتها للحديث : كانت راوية حافظة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وروى عنها كثير من الصحابة والتابعين . . وكانت ذات أثر عميق فى نشر تعاليم الاسلام . . وكانت عالمة بالحديث والفقه وعلم الفرائض .
فقد عاشت عائشة لتكون المرجع فى الحديث والسنة . وليأخذ المسلمون عنها نصف دينهم .

مكانتهـــــا : كانت أثيرة عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلما نزل به المرض دعا نساءه فاستأذنهن أن يمرض فى بيتها فأذن له أن يكون حيث أحب . . وتوفى فى بيتها . .
تقول عائشة رضى الله عنها : « أعطيت خلالا ما أعطيتها امرأة : ملكنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا بنت سبع ، وأتاه الملك بصورتى فى كفه لينظر اليها ، وبنى بى لتسع ، ورأيت جبرائيل ، وكنت أحب نسائه اليه ، ومرضته فقبض ولم يشهده غيرى والملائكة » .

وفاتهـــــا : توفيت عائشة أم المؤمنين فى السادسة والستين من عمرها بالمدينة المنورة فى ١٧ رمضان سنة ٥٧ هـ . ودفنت بالبقيع ، وصلى عليها أبو هريرة . رحمها الله ورضى عنها .

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع — ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى — ص.ب : (١٣٢) .
بنغـازى : مكتبة الخـراز — ص.ب : (٢٨٠) .

المغـرب : الدار البيضاء — السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

تونـس : مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شـارع فرنسـا .

لبنـان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عـدن : مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧) .

الأردن : عمـان : وكالة التوزيع الأردنيـة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـدة : مكتبة مكـة — ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـة — ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة — ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العـراق : بغداد : وزارة الأعلام — مكتب التوزيع والنشر .

البحـرين : المكتبة الوطنية : شارع بـاب البحرين .

قطـــر : الدوحـة : مؤسسة العروبة — ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مطبعة دبى .

الكـويت : مكتبة الكـويت المتحـدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت